

الجامعة الإسلامية بغزة - فلسطين

كلية أصول الدين

قسم التفسير وعلوم القرآن

الدراسات العليا

سورة النمل (دراسة تحليلية وموضوعية)

بحث لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالب

حسن محمد حسن البليسي

إشراف الدكتور

رياض محمود جابر قاسم

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

اسم البحث

(سورة النمل - دراسة تحليلية وموضوعية)

اسم الباحث : حسن محمد حسن البليبي .

تاريخ المناقشة : ٢٦/١/٢٠٠٤م .

عدد صفحات البحث : ٣٥٨ صفحة .

لجنة المناقشة : ١- د. رياض قاسم مشرفاً ورئيساً .

٢- د. وليد العامودي مناقشاً داخلياً .

٣- د. زهدي أبو نعمة مناقشاً داخلياً .

هدف الدراسة :

استهدفت دراسة منهج القرآن الكريم من خلال سورة النمل وحلوله لكثير من القضايا المعاصرة .

منهج الدراسة : اعتمد الباحث المنهج التحليلي والموضوعي للسورة .

نتائج الدراسة :

١- أن كتاب الله هو كتاب هداية ونور ومنهاج حياة .

٢- وحدة دعوة الأنبياء وجديتهم في تبليغ الرسالة .

٣- انتصار الحق المتمثل بدعوة الأنبياء على أعدائهم .

توصيات الدراسة :

أوصت الدراسة أن القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه ، وعليه يجب الاستمرار في البحث عن توجيهاته وأحكامه للاستفادة منها في حياتنا .

توقيع مشرف الدراسات العليا

توقيع مشرف الطالب

.....

.....

Thesis Title

Student : Hassan Mohammad Hassan Al-balbeesy .

Date of Viva : 26.1.2004

Number of pages : 358 pages.

Viva Committee

- | | |
|-----------------------|--------------------------|
| 1- Dr. Riyad Kasim | Supervisor & Chairperson |
| 2- Dr. Walid El-Amodi | Internal Examiner |
| 3- Dr. Zohdi Abu Nema | Internal Examiner |

Study Aims :

To show the approach of Hoky Quran through Al-Namel sourah.

Research Methodology : Describitive and analysis.

Conclusions:

- 1- The Holy Quran is the best book in our life.
- 2- The victory of the truth.
- 3- The interest of phrophets in conveying the message.

Recommendations:

To write more studies about Holy Quran and benefit from its rules in our life.

Student supervisor's Signature

Postgraduates supervisor's Signature

.....

.....

اسم البحث

(سورة النمل - دراسة تحليلية وموضوعية)

اسم الباحث : حسن محمد حسن البليبي .

تاريخ المناقشة : ٢٦/١/٢٠٠٤م .

عدد صفحات البحث : ٣٥٨ صفحة .

لجنة المناقشة : ١- د. رياض قاسم مشرفاً ورئيساً .

٢- د. وليد العامودي مناقشاً داخلياً .

٣- د. زهدي أبو نعمة مناقشاً داخلياً .

هدف الدراسة :

استهدفت دراسة منهج القرآن الكريم من خلال سورة النمل وحلوله لكثير من القضايا المعاصرة .

منهج الدراسة : اعتمد الباحث المنهج التحليلي والموضوعي للسورة .

نتائج الدراسة :

١- أن كتاب الله هو كتاب هداية ونور ومنهاج حياة .

٢- وحدة دعوة الأنبياء وجديتهم في تبليغ الرسالة .

٣- انتصار الحق المتمثل بدعوة الأنبياء على أعدائهم .

توصيات الدراسة :

أوصت الدراسة أن القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه ، وعليه يجب الاستمرار في البحث عن توجيهاته وأحكامه للاستفادة منها في حياتنا .

توقيع مشرف الدراسات العليا

توقيع مشرف الطالب

.....

.....

Thesis Title

Student : Hassan Mohammad Hassan Al-balbeesy .

Date of Viva : 26.1.2004

Number of pages : 358 pages.

Viva Committee

- | | |
|-----------------------|--------------------------|
| 1- Dr. Riyad Kasim | Supervisor & Chairperson |
| 2- Dr. Walid El-Amodi | Internal Examiner |
| 3- Dr. Zohdi Abu Nema | Internal Examiner |

Study Aims :

To show the approach of Hoky Quran through Al-Namel sourah.

Research Methodology : Describitive and analysis.

Conclusions:

- 1- The Holy Quran is the best book in our life.
- 2- The victory of the truth.
- 3- The interest of phrophets in conveying the message.

Recommendations:

To write more studies about Holy Quran and benefit from its rules in our life.

Student supervisor's Signature

Postgraduates supervisor's Signature

.....

.....

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه وسنته إلى يوم الدين .

القرآن الكريم هو كتاب الله أنزله لهداية البشرية جمعاء ولإخراجها من ظلمات الكفر والجهالة إلى نور العلم والهداية ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن عبودية العباد إلى عبودية رب العباد .

فقد جعل الله - تبارك وتعالى - القرآن الكريم معجزة محمد بن عبد الله ﷺ والحجة الدائمة على الخلق ونبراساً للدعاة إلى يوم القيامة ، يستمدون من نبعه الهداية ويقتبسون من نوره مشاعل الحضارة ، ويجدون بين ثناياه البراهين السواطع التي تزيل الشبهات والوساوس من الصدور فكل متدبر للقرآن الكريم يلمس وفاءه لحاجات البشر في مختلف عصورهم ، فهو زاخر بأنواع المعارف ، فكل من يرغب في الحصول على لآلئه عليه الغوص في أعماقه ، وقد امتدح الله تعالى هذه الأمة الداعين إلى الله في كل مكان والمعظمة له والمعلمة لكتابه فقال : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران: ١١٠) .

فشرف العلم بشرف المعلوم ، وليس أشرف من كتاب الله كتاباً أبداً ، فهو الأساس المتين الذي تبنى عليه جميع العلوم الإسلامية والنبع الصافي الذي يتجدد إعجازه ، فكان هم العلماء أن يعرفوا أسرارهم وينهلوا من علومه ، فهؤلاء العلماء هم قدر الله لحفظ كتابه ونشره على عباده فأحببت أن أكون من الباحثين الدراسين لكتابه تعالى ، فوقع اختياري بعد توفيق الله - تعالى - على سورة من سور

القرآن لتكون موضوعاً لبحثي ودراستي وهي (سورة النمل - دراسة تحليلية وموضوعية) سائلاً المولى - القدير - التوفيق والسداد لإخراج هذا البحث بما يليق بكتاب الله - تعالى - إنه نعم المولى ونعم النصير .

أسباب اختيار الموضوع :

١- إبراز منهج القرآن الكريم : لما كان موضوع السور المكية في القرآن الكريم هو بيان أصول العقيدة ومنها : وحدانية الله تعالى ، وإثبات عقيدة البعث والحساب وإثبات النبوة وخلق الملائكة وإبطال الشرك ، ورد شبهات المنكرين ، فرأيت أن أقوم بهذه الدراسة آملاً من الله أن أخلص لبيان ما يلي :
أ- الكشف عن طريقة القرآن الكريم في عرضه المشكلات التي تهم الأمة الإسلامية والحلول القرآنية لذلك ، من خلال سورة النمل .

ب- إبراز منهج القرآن الكريم في الاستدلال على آيات العقيدة التي تمثل طابعاً خاصاً في التربية الإيمانية وتقويتها في الأمة ؛ لأن بها يأتي نصر الله لقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الروم: ٤٧) .

ج- بيان الموضوعات المختلفة التي اشتملت عليها السورة وإيضاحها وتحقيق الغرض من ذلك .

٢- عظمة ما تناولته السورة من موضوعات التقى فيها العلم والإيمان .

٣- تعدد الدعاة إلى الله - تعالى - سواء كانوا من الجن أو الإنس أو الطير أو الحيوان أو الشجر أو الحجر ، وفي ذلك دعوة للانضمام لهؤلاء الدعاة لقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ (محمد: ٣٨) .

٤- انتصار الحق مع قلة أهله وهزيمة الباطل مع كثرة أعوانه ، وفي ذلك أمل للدعاة أصحاب العقيدة بالنصر والتمكين .

٥- بعد البحث لم أجد أحداً تناول هذه السورة كدراسة تحليلية وموضوعية منفردة ومحكمة فأحببت أن أتشرف في بيان مقاصد السورة وإظهارها .

الدراسات السابقة للموضوع :

بعد البحث والمطالعة في مكتبة الجامعة الإسلامية ، لم أجد أي رسالة علمية تناولت هذه السورة كدراسة علمية .
وبعد مراسلة مركز فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض في المملكة العربية السعودية أفادنا أنه لم يتناول أحدٌ من الباحثين سورة النمل بدراسة تحليلية موضوعية .

أهداف البحث :

- ١- إبراز الوحدة الموضوعية في سورة النمل وعلاقتها مع السور التي قبلها والتي بعدها .
- ٢- الربط بين الجوانب التحليلية والموضوعية وإظهارها كسبيكة متكاملة من خلال التفسير التحليلي والموضوعي للسورة حسب ضوابط التفسير المتبعة .
- ٣- استخلاص المفاهيم القرآنية من السورة للإفادة منها في مجالات الدعوة وإبراز ذلك كحلول واقعية لمشكلات المسلمين المعاصرة .
- ٤- بيان الموضوعات المختلفة التي اشتملتها السورة وإيضاحها وتحقيق الغرض من ذلك .

منهج الباحث في البحث

* الالتزام بقواعد التفسير المتعارف عليها وهي :

- أ- التفسير بالمأثور لأنه خير ما يفسر به القرآن الكريم .
- ب- العمل بالضوابط التي وضعها العلماء للتفسير بالرأي المحمود الجائز .
- ج- الاستدلال بالآيات وعزوها إلى سورها بذكر اسم السورة ورقم الآية .
- د- الاستدلال بالأحاديث النبوية الشريفة التي تخدم البحث والحكم عليها بما حكم عليها العلماء إن أمكن .
- هـ- بيان معاني المفردات الغريبة سواء في الآيات أو الأحاديث من المعاجم اللغوية .
- و- الترجمة للأعلام غير مشهورين من كتب الأعلام .
- ز- الرجوع إلى المصادر العلمية الحديثة التي تخدم البحث وإثباتها .

منهج الباحث في التفسير التحليلي والموضوعي

أولاً : في التحليلي :

- تقسيم السورة إلى مقاطع متناسبة في المعاني ودراسة كل مقطع على حدة ، واتبعت في تفسير المقاطع وشرحها المنهج التالي :
- أ- إظهار تناسب المقاطع مع بعضها البعض .
 - ب- وضع عنوان لكل مقطع يناسب المعنى .
 - ج- إظهار التحليل اللغوي للمفردات بالرجوع إلى أمهات كتب التفسير القديمة والحديثة ما أمكن .
 - د- إظهار الجمال البياني والصور الفنية .
 - هـ- بيان اللطائف البلاغية .
 - و- إعراب ما يلزم إعرابه .
 - ز- بيان القراءات المختلفة مع تجنب الشاذ منها .
 - ط- بيان الأحكام الفقهية .
 - ظ- بيان المعنى الإجمالي لكل مقطع والدروس المستفادة منها .
- ### ثانياً : في الموضوعي :

- أ- بيان الموضوعات التي تناولتها السورة ودراستها دراسة موضوعية والاستشهاد بالآيات والأحاديث التي تخدم كل موضوع منها .
- ب- التركيز على إبراز المحور الرئيس في السورة (الرسالة وجدية القيادة) .
- ج- إظهار المحاور الفرعية التي تناولتها السورة وربطها مع المحور الرئيس .
- د- ربط المحاور مع جو السورة العام وإخراج الموضوعات بالصورة المعالجة لقضايا الأمة المعاصرة والاستفادة منها .
- هـ- إظهار وجوه الإعجاز المختلفة في السورة ودراستها في مبحث خاص من مباحث التفسير الموضوعي .

خطة وهيكلية البحث :

ولتحقيق ذلك تم تقسيم البحث إلى : تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة .

التمهيد : تعريف عام بسورة النمل ، ويشتمل على :

أولاً : أسماء السورة ووجه التسمية .

ثانياً : زمن نزول السورة .

ثالثاً : الجو الذي نزلت فيه السورة .

رابعاً : عدد آيات السورة .

خامساً : علاقة سورة النمل بسورة الشعراء التي قبلها .

سادساً : علاقة سورة النمل بسورة القصص التي بعدها .

الفصل الأول : التفسير التحليلي للسورة ، ويشتمل على أحد عشر مبحثاً :

المبحث الأول : رسالة القرآن - الآيات من (١-٦) .

المبحث الثاني : موسى - عليه السلام - بالواد المقدس - الآيات من (٧-١٤) .

المبحث الثالث : قصة داود وسليمان - عليهما السلام - الآيات من (١٥-٢٠) .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : جنود سليمان عليه السلام .

المطلب الثاني : دعوة سليمان - عليه السلام - لملكة سبأ وقومها -

الآيات من (٢١-٤٤) .

المبحث الرابع : دعوة صالح - عليه السلام - لقوم ثمود - الآيات من (٤٥-٥٣) .

المبحث الخامس : قصة لوط - عليه السلام - لأهل سدوم - الآيات من (٥٤-

٥٨) .

المبحث السادس : أدلة الوجدانية والقدرة - الآيات من (٥٩-٦٥)، وفيه مطلبان :

المبحث السابع : لا يعلم الغيب إلا الله .

المبحث الثامن : إنكار المشركين للبعث - الآيات من (٦٦-٧٥) .

المبحث التاسع : إثبات نبوة محمد ﷺ - الآيات من (٧٦-٨١) .

المبحث العاشر : أمارات يوم القيامة - الآيات من (٨٢-٩٠) .

المبحث الحادي عشر : الاشتغال بعبادة الله تعالى - الآيات من (٩١-٩٣) .
الفصل الثاني : التفسير الموضوعي لسورة النمل ، ويشتمل على تمهيد
وأحد عشر مبحثاً .

التمهيد : التعريف بالتفسير الموضوعي ، وفيه :

أولاً : نشأة علم التفسير الموضوعي .

ثانياً : تعريف التفسير الموضوعي .

ثالثاً : ألوان التفسير الموضوعي .

رابعاً : أسباب ظهور التفسير الموضوعي .

خامساً : أهمية التفسير الموضوعي .

المبحث الأول : المحاور الرئيسية والفرعية في السورة ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التعرف على المحور الأساس وإظهاره وهو "الرسالة
وجدية القيادة".

المطلب الثاني : التعرف على المحاور الفرعية وإظهارها وهي :

المحور الأول : علم الله المطلق بالظاهر والباطن ، وعلمه بالغيب .

المحور الثاني : أدلة الوجدانية والقدرة الإلهية .

المبحث الثاني : رسالة القرآن ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الرسالة القرآنية - دعوة ومنهاج وتشمل تمهيد ومسألتيان :

المسألة الأولى : أنواع الهداية في القرآن الكريم .

المسألة الثانية : هداية القرآن في توجيه الإنسان بالخصوص .

المطلب الثاني : التعريف بالقصص القرآني .

المطلب الثالث : القصة القرآنية ، وفيها ثلاثة مسائل :

المسألة الأولى : أسلوب القصة القرآنية .

المسألة الثانية : تعريف القصة وأهدافها .

المسألة الثالثة : الفرق بين القصة القرآنية وغيرها .

المطلب الثالث : القصص القرآني كما تعرضها سورة النمل ،

وفيه أربعة مسائل :

المسألة الأولى : قصة موسى عليه السلام .

المسألة الثانية : قصة داود وسليمان عليهما السلام .

المسألة الثالثة : قصة صالح عليه السلام .

المسألة الرابعة : قصة لوط عليه السلام .

المبحث الثالث : قصة موسى - عليه السلام - ومعجزاته ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : موسى - عليه السلام - ودعوته ، ويشتمل على أربع مسائل :

المسألة الأولى : التعريف بنبي الله موسى عليه السلام .

المسألة الثانية : موسى - عليه السلام - بالواد المقدس وبعثته .

المسألة الثالثة : وعود ووفاء .

المسألة الرابعة : محاجة موسى عليه السلام .

المطلب الثاني : معجزات موسى عليه السلام ، وفيه تمهيد ومسألان :

التمهيد :

المسألة الأولى : آيات الله لفرعون وقومه .

المسألة الثانية : هلاك فرعون وجنوده .

المبحث الرابع : نعم الله الجليلة على داود وسليمان عليهما السلام ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : نعم الله على داود عليه السلام .

المطلب الثاني : نعم الله على سليمان عليه السلام .

المبحث الخامس : الحوار في القرآن الكريم ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الحوار .

المطلب الثاني : طبيعة الحوار في القرآن .

المطلب الثالث : أهداف الحوار .

المبحث السادس : قصة صالح عليه السلام ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تعريف بنبي الله صالح وقومه .

المطلب الثاني : دعوة صالح عليه السلام .

المبحث السابع : دعوة لوط عليه السلام ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التعريف بنبي الله لوط عليه السلام وقومه .

المطلب الثاني : دعوة لوط عليه السلام .

المبحث الثامن : من أمارات القيامة ومقدماتها ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : إخراج الدابة .

المطلب الثاني : النفخ في الصور .

المطلب الثالث : تسيير الجبال .

المبحث التاسع : الشورى ، وفيها تمهيد وثلاثة مطالب :

التمهيد : الشورى ضرورة بشرية .

المطلب الأول : الشورى وأهميتها في الإسلام .

المطلب الثاني : فوائد الشورى .

المطلب الثالث : الفرق بين الشورى والديمقراطية .

المبحث العاشر : الناصحون ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : النملة .

المطلب الثاني : الهدد .

المطلب الثالث : الحكمة بلقيس .

المبحث الحادي عشر : الإعجاز العلمي في سورة النمل ، وفيه تمهيد

وخمسة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الإعجاز العلمي .

المطلب الثاني : توافق قواعد العلم مع القرآن الكريم .

المطلب الثالث : التحدي القرآني على مر الزمان (الماضي الحاضر المستقبل)

المطلب الرابع : التحدي القرآني في سورة النمل .

المطلب الخامس : أمثلة تطبيقية ، وفيه ثلاث مسائل :

المسألة الأولى : في عالم النبات .

المسألة الثانية : في عالم البحار .

المسألة الثالثة : في عالم الإنسان .

الفصل الثالث : المتشابه اللفظي والمشكل في السورة ، ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : المتشابه اللفظي في سورة النمل ، ويشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول : معنى المتشابه لغة واصطلاحاً .

المطلب الثاني : أقسام المتشابه .

المطلب الثالث : حكمة ورود المتشابه .

المطلب الرابع : المتشابه في سورة النمل .

المبحث الثاني : المشكل في سورة النمل ، ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : معنى المشكل .

المطلب الثاني : المشكل في سورة النمل .

خاتمة البحث ، وتشتمل على أهم النتائج المستخلصة من البحث .

الفهارس :

أولاً : فهرس الآيات القرآنية المستشهد بها من غير سورة النمل ، وقد

رتبت الآيات حسب ترتيب سور القرآن في المصحف .

ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية .

ثالثاً : فهرس المصادر والمراجع الوارد ذكرها في البحث .

رابعاً : فهرس الموضوعات .

التعريف بالقراء الأربعة عشر (١) :

١- ابن عامر : هو أبو نعيم أو أبو بكر أو أبو عمر عبد الله بن عامر بن يزيد

ابن تميم بن ربيعة اليحصبي ، توفي عام ١١٨هـ (الشام) .

٢- ابن كثير : أبو محمد أو أبو معبد عبد الله بن كثير الداري ، توفي عام

١٢٠هـ (مكة) .

(١) انظر النشر في القراءات العشر للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري

المتوفى سنة ٨٣٣هـ ، ح ١ ، ص ٩٩-١٨٩ .

- ٣- **عاصم** : أبو بكر عاصم بن أبي النجود الأسدي ، توفي عام ١٢٧هـ —
(الكوفة) .
- ٤- **أبو عمرو** : زبّان بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحصين
البصري ، توفي عام ١٥٤هـ .
- ٥- **حمزة** : أبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات الكوفي ، توفي عام ١٥٦هـ —
(الكوفة) .
- ٦- **نافع** : أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني ، توفي عام
١٦٩هـ (المدينة)
- ٧- **الكسائي** : أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الكسائي
النحوي الكوفي ، توفي عام ١٨٩هـ (الكوفة) تلميذ حمزة .
- ٨- **أبو جعفر** : يزيد بن القعقاع المدني القاريء ، توفي عام ١٣٠هـ (المدينة) .
- ٩- **يعقوب** : أبو محمد يعقوب بن إسحاق الحضرمي ، توفي عام ٢٠٥هـ —
(بصري) .
- ١٠- **خلف** : أبو محمد خلف بن هشام بن طالب بن البزار ، توفي عام ٢٢٩هـ .
- ١١- **الحسن البصري** : الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد البصري ، توفي
١١٠هـ (البصرة) .
- ١٢- **أبو محيصن** : محمد بن عبد الرحمن السهمي المكي ، توفي عام
١٢٣هـ (مكي) .
- ١٣- **يحيى اليزيدي** : يحيى بن المبارك بن المغيرة أبو محمد العدوي البصري ،
توفي عام ٢٠٢هـ (البصرة) .
- ١٤- **الشنبوزي** : محمد بن أحمد بن إبراهيم بن يوسف بن العباس بن ميمون
أبو الفرج الشنبوري الشطوي البغدادي ، توفي عام ٣٨٨هـ .

شكر وتقدير

أقدم بشكري وتقديري و عرفاني لكل من ساهم في إخراج هذا البحث إلى حيز الوجود ، سواء شارك بجهده أم بتوجيهه أو حثه من أساتذة كرام موجهين وأخص بالذكر الدكتور رياض قاسم الذي أعطاني الكثير من وقته وجهده .

وكذلك أتوجه بالشكر والتقدير للدكتور وليد العامودي ، والدكتور زهدي أبو نعمة اللذان وافقا على مناقشة الرسالة لإثرائها علمياً .
كما وأقدم شكري وتقديري للأستاذ محمد عوض الله موجه اللغة العربية في وكالة الغوث على مراجعته لجزء كبير من الرسالة ، راجياً من الله - تعالى - التوفيق والسداد والأجر العظيم للجميع في الدنيا والآخرة إنه نعم المولى ونعم النصير .

الباحث

الإهداء

إلى المعظمين لله تعالى ، الرافعين لواء التوحيد .
إلى الدعاة لدين الله في كل مكان .
إلى الرافعين لرايات الحق والجهاد .
إلى الباحثين عن آيات الله في الأنفس والآفاق .
إلى المتخصصين في العلوم الدينية والدينية .
إلى والديّ وإخوتي وأخواتي وزوجتي وأولادي وأحبائي
وأصدقائي وأساتذتي .
إليكم جميعاً أقدم هذا الجهد المتواضع راجياً من الله تعالى أن
يجعل ثواب هذا الجهد في ميزان حسناتي إنه نعم المولى
ونعم النصير .

التمهيد

تعريف عام بسورة النمل

أولاً : أسماء السورة ووجه التسمية :

للسورة ثلاثة أسماء وهي :

الأول : سورة النمل وهو أشهرها (١) .

وجه التسمية :

سميت سورة النمل بهذا الاسم لإيراد قصة وادي النمل فيها ، ونصيحة نملة بقية النمل بدخول جحورهن حتى لا يتعرضن للدوس من قِبَل جنود سليمان - عليه السلام - دون قصد .

قال تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا اتَّوَا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (النمل: ١٨) . ففهم سليمان - عليه السلام - (الذي علمه الله منطلق الطير والدواب) كلام النمل فتبسم من قولها ودعا ربه أن يلهمه شكره على ما أنعم به عليه (٢) .

الثاني : سورة الهدد (٣) .

وجه التسمية بهذا الاسم :

إن لفظ الهدد لم يذكر في سورة من سور القرآن غيرها (٤) ، ولأن الهدد جندي من جنود سليمان - عليه السلام - الذي كان حريصاً على نشر دين الله ، والدعوة إلى طاعته والانقياد له .

قال تعالى : ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لِأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ (النمل: ٢٠-٢١) .

(١) انظر صحيح البخاري - كتاب التفسير - باب "وأندر عشيرتك الأقربين" ، ح ٦ ، ص ٤٧٦ .

(٢) انظر التفسير المنير للأستاذ وهبة الزحيلي - ح ١٩ - ص ٢٥٢ .

(٣) انظر أحكام القرآن للإمام أبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن عربي - ح ٣ - ص ١٤٤٨ .

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور - ح ١٩ - ص ٢١٥ .

الثالث : سورة سليمان عليه السلام (١) .

وجه التسمية :

سميت بهذا الاسم لأن ما ذكر في السورة من ملك سليمان - عليه السلام -
جاء مفصلاً ولم يذكر مثله في غيرها (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ * وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ
فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ (النمل: ١٦-١٧) .

* هناك خلاف بين أهل العلم حول أسماء السور في القرآن ، أهي توقيفية
أم اجتهادية ؟

قال الإمام الزركشي : (ينبغي البحث عن تعداد الأسماء . أهو توقيفي
أو بما يظهر من المناسبات ؟ فإن كان الثاني أي ما يظهر بالمناسبات
فلم يعد الفطن أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي
اشتقاق أسماء لها وهو بعيد) وقال : (ينبغي النظر في اختصاص كل سورة بما
سميت به) .

ولا شك أن العرب تراعي في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر
أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه أو تكون معنى أحكم
أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى ، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب
العزیز ؛ كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقريظة ذكر قصة البقرة المذكورة فيها
وعجيب الحكمة فيها (٣) .

يقول الأستاذ فضل حسن عباس : "الأكثر من ذهبوا إلى أن أسماء

السور توقيفية .

(١) انظر الإتيان في علوم القرآن للسيوطي - ح ١ - ص ١٢٠ .

(٢) انظر التحرير والتنوير - ح ١٩ - ص ٢١٥ .

(٣) البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي - ج ١ - ص ٢٧٠ .

بدليل : أن كثيراً من السور جاءت آثار تنبيء عن أسمائها كقوله ﷺ : **(إقروا الزهراوين ، البقرة وآل عمران)** (١) .

ولا يعقل ألا يكون لكل سورة اسم خاص تعرف به في عهد النبي ﷺ .
وقال آخرون : إن التسمية اجتهادية حسبما يظهر للمتدبر" (٢) .

ويرى الباحث أن أسماء السور توقيفية من النبي ﷺ بدليل وجود آثار عدة لرسول الله ﷺ يصرح فيها بأسماء السور ، ولا مانع من وجود أسماء اجتهادية للسورة .

ثانياً : متى نزلت سورة النمل ؟

سورة النمل هي السورة السابعة والعشرون بحسب الرسم العثماني ،
والثامنة والأربعون في عداد نزول السورة ، وقد نزلت قبل الهجرة فهي إذن
مكية ، وكان نزولها بعد سورة الشعراء وقبل سورة القصص (٣) .

"وهي ثلاث وتسعون آية وألف ومائة وتسع وأربعون كلمة ، وأربعة آلاف
وسبعمائة وتسعة وتسعون حرفاً (٤٧٩٩)" (٤) .

وهي مكية بالإجماع بين العلماء ، كما حكاها ابن عطية والقرطبي
والسيوطي (٥) .

ثالثاً : الجو الذي نزلت فيه :

نزلت سورة النمل في المرحلة المتقدمة من بداية الجهر بالدعوة الإسلامية
بعد ثلاث سنين من مبعث النبي ﷺ والتي اتصفت بالمرحلة السرية في الدعوة .
فلما نزل قول الله تعالى في سورة الشعراء : **﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾**
(الشعراء: ٢١٤) بدأ النبي ﷺ بالجهر بالدعوة . كما يروي الإمام البخاري رحمه
الله في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت **﴿وَأَنْذِرْ**

(١) صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين - باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة حديث ٢٥٢ ، ص ٤٠٣ .

(٢) إتيان البرهان للأستاذ فضل عباس - ح ١ - ص ٤٤٥ .

(٣) انظر : البرهان في علوم القرآن - ح ١ - ص ١٩٣ .

(٤) اللباب في علوم القرآن للإمام أبي حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي - ح ١٥ - ص ١٠٣ .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي - ح ١٣ - ص ١٦٥ ، وانظر : إتيان في ح ١ - ص ١٨ .

عَشِيرَتِكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي : يا بني فهر ، يا بني عدي - لبطون قريش - حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو ، فجاء أبو لهب وزعماء قريش ، فقال النبي ﷺ : أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تُغيّر عليكم أكنتم مصدقي ؟ قالوا : نعم ، ما جربنا عليك إلا صدقاً ، قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، فقال أبو لهب : تباً لك سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا ؟ فنزلت ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ (المسد: ١-٢) (١) .

أدركت قريش أن أمر محمد ﷺ أخطر من مجرد الكلام في الإلهيات ، وأنه إنما يدعو لدين جديد لا مكان فيه لأصنامهم وتمائيلهم وآلهتهم المزعومة ومراكزهم الاجتماعية . دين لا آلهة فيه ، بل إله واحد هو الله ، ولا مشرع فيه غير الله ، ولا حاكم فيه سوى الله ، دين يواجه مكة بما تكرهه ، ويواجه سادة قريش بما يقلق (٢) .

رأت قريش اتباع الوسائل السلمية في مواجهة الواقع الجديد من خلال المحاولات التالية :

المحاولة الأولى : اللجوء إلى عمه أبي طالب :

يروى الحاكم في مستدرکه عن عقيل بن أبي طالب (*) قال : جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا : إن ابن أخيك يؤذينا في نادينا وفي مجلسنا فانه عن أدانا ، فقال لي : يا عقيل ائت محمداً ، قال : فانطلقت إليه فأخرجته من مجلس ، قال طلحة : بيت صغير ، فجاء في الظهر في شدة الحر فجعل يطلب الفيء

(١) صحيح البخاري - كتاب التفسير باب "وأندر عشيرتك الأقربين" ح ٦ ، ص ٤٧٦ .

(٢) انظر أنبياء الله - أحمد بهجت - ص ٤٠٨ .

(*) عقيل بن أبي طالب الهاشمي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخو علي وجعفر لأبيهما ، قال له النبي صلى الله عليه وسلم : "إني أحبك حبين حباً لقربتك وحباً لما كنت أعلم من حب عمي إياك وكان عقيل ممن خرج مع المشركين إلى بدر مكرهاً فأسر يومئذ وفداه عمه العباس ، شهد غزوة مؤتة مع المسلمين ، توفي عقيل في خلافة معاوية ، انظر : أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير - ح ٣ - ص ٢٦٥ .

يمشي فيه من شدة حر الرمضاء فأتيناهاهم ، فقال أبو طالب : إن بني عمك زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم وفي مجلسهم فانتبه عن ذلك .

فحلق النبي ﷺ ببصره إلى السماء فقال : ما ترون هذه الشمس ، قال : نعم ، قال ﷺ : " ما أنا بأقدر على أن أدع ذلك منكم على أن تشعلوا منها شعلة" ، فقال أبو طالب : ما كذبنا ابن أخي قط فارجعوا (١) . فلما رأت قريش أن عمه لم يستطع أن يثنيه عن ذلك كانت لهم محاولة أخرى .

المحاولة الثانية : تقديم عروض أخرى لعلها تجدي في ثنيه عن دعوته ، فعرضوا عليه المال والجاه السيادة مقابل ترك الدين الجديد فأبى .

أخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبو يعلى والحاكم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل وابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال : اجتمعت قريش يوماً فقالوا : انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا ، فليكلمه ولينظر ماذا يردّ عليه ؟ فقالوا : ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة ، فقالوا : أنت محمداً يا أبا الوليد ، فأتاه فقال : يا محمد أنت خير أم عبد الله ؟ أنت خير أم عبد المطلب ؟ قال : فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت ، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك . أما والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك ، فرقت جماعتنا وشتت أمرنا وعبت ديننا وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحراً وأن في قريش كاهناً ، والله ما تنتظر إلا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف ، يا رجل إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً ، وإن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجنك عشراً ، فقال رسول الله ﷺ فرغت ؟ قال : نعم . فقال رسول الله ﷺ : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حَم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ (فصلت: ١-٣) حتى بلغ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ

(١) المستدرك على الصحيحين في الحديث - ج ٣ - ص ٥٧٧ .

وَتَمُودَ ﴿فصلت: ١٣﴾ قال عتبة : حسبك حسبك ، ما عندك غير هذا ؟ قال : لا ، فرجع إلى قريش فقالوا : ما وراءك ؟ قال : ما تركت شيئاً أرى أنكم تكلمونه به إلا كلمته فقالوا : فهل أجابك ؟ قال : والذي نصبها نبياً ما فهمت شيئاً مما قال غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ، قالوا : ويلك يكلمك الرجل بالعربية وما تدري ما قال ؟ قال : ولا والله ما فهمت شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة (١) .

بعد ما لم تجد هذه العروض - بالمال والجاه والنساء كان حتماً أن تبدأ الحرب بين أهل الإيمان وأهل الجحود والطغيان .

فقد ناصبت قريش بكل ما لديها من قوة رسول الله ﷺ ومن معه العداء في شتى الاتجاهات من ضرب وقتل وسجن وكان من أشد أعداء الله عداءً للإسلام أبو لهب وأبو جهل وعتبة وغيرهم كثير ، واتبع المشركون أساليب في مواجهة النبي ﷺ ومقاومته منها :

أولاً : الإعراض :

يروى الإمام أحمد في مسنده : قال أبو طالب : يا ابن أخي إن قومك يشكونك ، يزعمون أنك تشتم آلهتهم وتقول وتقول وتفعل وتفعل فقال : يا عم إني إنما أريدهم على كلمة واحدة تدين لهم بها العرب وتؤدي إليهم العجم الجزية . قال وما هي نعم وأبيك عشراً ؟ قال : (لا إله إلا الله) . قال : فقاموا وهم ينفضون ثيابهم وهم يقولون : أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب (٢) .

لو تأملنا ردود أفعال الكافرين والمشركين لأحسنا بالعجب من جهل قوم يحسبون أن الأصل تعدد الآلهة ويدهشهم أن يكون هناك إله واحد يعبد ، فعبر الله - جل في علاه - عن ذلك حيث قال : ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ (ص: ٤ ، ٥) .

(١) المستدرک علی الصحیحین فی الحدیث للحاکم النیسابوری - ح ٢ ص ٢٥٣ .

(٢) مسند الإمام أحمد - حدیث ٣٤٠٩ ، ج ١ ، ص ٥٩٨ .

ثانياً : التكذيب :

يبين ذلك ما يرويه ربيعة بن عباد بن بني الدليل (*) وكان جاهلياً فأسلم قال : رأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول : (يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) والناس مجتمعون عليه ووراءه رجل وضيء الوجه أحول ذو غديرتين (**). يقول : إنه صابيء كاذب يتبعه حيث ذهب فسألت عنه فقالوا : هذا عمه أبو لهب (١) .

ثالثاً : الإيذاء والتعذيب :

روى الإمام البخاري عن عبد الله (٢) رضي الله عنه قال : بينا النبي ﷺ ساجد حوله ناس من قريش جاء عقبة بن أبي معيط بسلى جزور فقذفه على ظهره النبي ﷺ فلم يرفع رأسه ، فجاءت فاطمة - عليها السلام - فأخذته من ظهره ودعت على من وضعه ، فقال النبي ﷺ : اللهم عليك الملائكة من قريش أبا جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأميمة بن خلف أو أبي بن خلف - شعبة الشاك - فرأيتهم قُتلوا يوم بدر فألقوا في بئر غير أميمة بن خلف أو أبي تقطعت أوصاله فلم يلق في البئر (٣) .

ولم يقتصر التعذيب على النبي ﷺ فحسب بل لحق أصحابه كذلك ، ومن ذلك ما يرويه الإمام البخاري عن خباب يقول : "أتيت النبي ﷺ وهو متوسد بردة وهو في ظل الكعبة - وقد لقينا من المشركين شدة - فقلت : يا رسول الله ،

(*) ربيعة الدبلي - صحابي جليل عمّر طويلاً ، توفي بالمدينة أيام الوليد بن عبد الملك ، روى له عبد الله ابن أحمد - أسد الغاية - ح ٢ ص ٢١٣ .

(**) ذو غديرتين : أي ضفيريّتين وهو الشعر المتروك حتى يطيل خلف الأذنين ، المعجم العربي الأساسي ، ص ٨٨٧ .

(١) كتاب السنن الكبرى للبيهقي - ح ١ ص ٧٦ .

(٢) عبد الله هو ابن مسعود جزماً ، وذكر ابن التين أن الداودي قال الظاهر أنه عبد الله بن مسعود لأنهم في الأكثر إنما يطلقون عبد الله غير منسوب إليه ، انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ح ٧ ، ص ٢٠٧ .

(٣) صحيح البخاري - كتاب مناقب الأنصار - باب ما لقي النبي وأصحابه من المشركين بمكة ، حديث رقم ٣٥٩ ، ح ٥٥ ، ص ١٢١ .

ألا تدعو الله لنا ؟ فقعد وهو محمر الوجه فقال : لقد كان من قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد ، ما دون عظامه من لحمه أو عصبه ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه ، ولَيَتِمَّنَّ اللهُ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت (*) ما يخاف إلا الله" زاد بيان "والذئب على غنمه" (١) .

هذا هو حال النبي ﷺ وأصحابه مما يواجهونه من معاملة المشركين ، وفي مقابل ذلك كان النبي ﷺ وأصحابه يزيدون شدة وصلابة لأنهم يحملون رسالة من الله تعيد إلى العالم رشده الذي فقده ، وإنسانيته التي ضاعت منه وكرامته التي أهدرت وحرمته التي صودرت .

وقد كان من الضروري لانتشار الدعوة تهيئة الإنسان الذي يحمل صورة واضحة لعظمة الله ورسالة الإسلام ، فحرص النبي ﷺ على تحرير الإنسان من غريزة الخوف وحب البقاء وأن الآجال بيد الله والأرزاق بيد الله والأمن بيد الله والقوة بيد الله والنصر من الله ، وبهذا المنهج الإيماني شق النبي طريقه لنشر دعوته واستعذب الآلام ثمناً لحرية الآخرين ولرفع راية التوحيد (٢) .

رابعاً : الحصار الاقتصادي :

حاصرت قريش النبي ﷺ وآل هاشم وذلك حين لم يجد نفعاً بالضرب ولا التعذيب ولا صهر الرجال في حرارة الشمس الملتهبة في الصحراء ، وكلما

(*) صنعاء : موضع باليمن سميت صنعاء باسم الذي بناها وهو صنعاء بن أزال بن عبير ، تقع على خط الاستواء ، وهي من الاعتدال من الهواء ، لها تسعة أبواب لا يدخلها غريب إلا بإذن أهلها ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٤٨٣ .

حضرموت : سميت بهذا الاسم نسبة إلى حضرموت بن القحطان ، نزل هذا المكان فسمي به ، فهو اسم موضع واسم قبيلة ، شرقي عدن قرب البحر تعرف بالأحقاف وبها قبر هود عليه السلام ، معجم البلدان ج ٢ ، ص ٣١١ .

(١) صحيح البخاري - كتاب مناقب الأنصار - باب ما لقي النبي ﷺ من المشركين - ح ٥ ص ١٢١ .

(٢) انظر أنبياء الله ، ص ٤١٣ .

حاولت قريش أن تتال من النبي ﷺ وأصحابه تكاثر المسلمون واستعذبوا في الله الأذى واشتدوا صلابة أمام أعداء الله .

والحصار قديماً وحديثاً من عادة المجرمين وقطاع الطرق فهو يؤذي ويضيق في الأرزاق والمعاملات والعقود ، وهذا ما استعملته قريش ضد المسلمين ، فقد تحالفت قريش أن لا يبايعوا بني هاشم ولا يناكحوهم ولا يؤوؤهم وحصروهم في الشعب حتى يعودوا إلى ما كانوا عليه من الشرك ، ويسلموا إليهم النبي ﷺ ، فيرد عليهم أبو بكر رضي الله عنه ويقول : "أنحن نفر عنه وندعه ما لكم كيف تحكمون" ؟ (١) .

وكان مآل الحصار أن انتهى ، وفتح الله لرسوله ﷺ فتحاً مبيناً ، وأتم نعمته عليه ونصره نصراً عزيزاً ، ولم يقتصر الحصار على الحصار الاقتصادي بل كان هناك حصار آخر منعت قريش فيه المسلمين من أن يظهروا تلاوة القرآن والطواف بالبيت معتمرين ، ثم جاء يوم عاد فيه رسول الله ﷺ ومن معه إلى حيث خرجوا بعد هجرة طويلة ويبشر المصطفى أصحابه بذلك حيث يروي الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : "نزل غداً إن شاء الله بخيف (٢) بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر (٣) ، وذلك أن قريشاً وبني كنانة تحالفت على بني هاشم وبني المطلب أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يُسلموا إليهم رسول الله ﷺ .

هذا هو الجو الذي نزلت فيه سورة النمل جو مليءً بالتحدي مليءً بألوان العذاب المعنوي والجسدي ، فكانت السورة بآياتها المقروءة والمكتوبة البينة الواضحة للرد على المشركين وجاءت متحدية لهم ومؤكدة لهم أن القرآن هو من

(١) انظر دراسة في السيرة للدكتور عماد الدين خليل ، ص ٨٨ ، وفقه السيرة النبوية محمد سعيد البوطي ، ص ٨٦ .

(٢) الخيف : الوادي ، وهو ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء .

(٣) صحيح مسلم - كتاب الحج - باب استحباب النزول بالمحصب يوم النفر والصلاة به ، ح ١ ، ص ٦٨٢ .

عند الله نزل به الأمين جبريل على قلب النبي ﷺ لهداية البشر وسعادتهم في الدنيا والآخرة ، فالإيمان به واجب ومخالفته كفر ، ومآل الكافرين النار .

وليس القرآن من كهانة الكهان أو شعر الشعراء أو نثر الأدباء ، إنما هو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولقد حكم سادة قريش بأن القرآن ليس بشعر ولا سجع ولا من كهانة الكهان ، وإنما هو قرآن كما وصفه أبو عبد شمس (*) المشرك قال : " والله إن لقوله لحلاوة وإن أصله لعذق (١) وإن فرعه لجناه (٢) ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل (٣) .

هذه شهادة الحق تصدر عن أحد سادة قريش لتزيد المؤمنين بدعوة الإسلام تمسكاً بها ولترد على المشركين شبهاتهم حول القرآن ورسول الله ﷺ فقد جاءت السورة لتواسي النبي ﷺ وتثبت الأقدام وتوضح منهاج الله بنصرة أوليائه وهزيمة أعدائه .

رابعاً : عدد آياتها :

اختلف العلماء في عدد آياتها على أقوال :

- ١- هي ثلاث وتسعون في عدّ الكوفي .
 - ٢- هي أربع وتسعون في عدّ الشامي والبصري وعطاء .
 - ٣- هي خمس وتسعون في عدّ المكي والمدنيين (٤) .
- فالاختلاف واقع في آيتين اثنتين ، فقد عدّ المكي (٥) والمدنيان (١) «أولوا بأس شديد» آية ... ، وهي جزء من الآية رقم (٣٣)

(*) هو أبو عبد شمس (الوليد بن المغيرة ، أحد زعماء قريش ، تهذيب سيرة ابن هشام ، ص ٥٧ .

(١) العذق : النخلة ، المعجم العربي الأساسي ، ص ٨٢٩ .

(٢) الجناه : ما يجنى ، المعجم العربي الأساسي ، ص ٢٧١ .

(٣) انظر تهذيب سيرة ابن هشام - ص ٥٨ .

(٤) فنون الأفتان في عجائب علوم القرآن للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي - ص ١٢٨ .

(٥) فالعد المكي منسوب إلى مجاهد بن جبر وهو من علماء مكة ومن أكثر رواة التفسير عن ابن عباس ، "ثقة" مات سنة ١٠٤هـ ، روى له أصحاب السنن ، تقريب التهذيب لابن حجر ، ح ٢ ص ١٧٨ ، وعبد الله بن كثير وهو إمام أهل مكة في القراءة وأحد القراء السبعة ، صدوق ، مات سنة ٢٩٦ ، المصدر السابق ، ح ١ ص ٣٣١ .

عند الكوفي (*) ، وعدّ الشامي (٢) والمكي والمدنيان والبصري (٣) «قوارير» آية ... ، وهي جزء من الآية رقم (٤٤) عند الكوفي (٤) .

والذي يراه الباحث هو ثلاث وتسعون آية اعتماداً على العد الكوفي الذي يشتمل عليه المصحف العثماني برواية حفص عن عاصم وهو المتداول في العالمين العربي والإسلامي .
سبب هذا الخلاف في العدد :

أن النبي ﷺ كان يقف على رؤوس الآي للتوقف ، فإذا علم محلها وصل للتمام فيحسب السامع أنها ليست فاصلة (٥) .

ولا سبيل إلى معرفة آيات القرآن إلا بتوقيف من الشارع لأنه ليس للقياس والرأي مجال فيها بدليل أن العلماء عدوا (المص) آية ، ولم يعدوا نظيرها وهو (المر) آية ، وعدوا (يس) آية ولم يعدوا نظيرها وهو (طس) آية (٦) .

خامساً : علاقة سورة النمل بما قبلها (سورة الشعراء) وما بعدها (سورة القصص) :
١- من حيث النزول : نزلت السور الثلاث في مكة مرتبة بحسب ترتيبها في المصحف .

٢- من حيث المقدمة : السور الثلاث متشابهة ليس فقط في الأحرف بل في الافتتاح ، فسورة الشعراء ﴿ طسم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ (الشعراء : ١-٢) ، وسورة النمل ﴿ طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابِ

(١) المدني على ضربين : مدني أول ومدني أخير ، فالأول : منسوب إلى نقل أهل الكوفة عن أهل المدينة رسلاً لم يسموا فيه أحداً ، والمدني الأخير : منسوب إلى أبي جعفر "يزيد بن القعقاع وصهره شيبه بن نصاح" ، انظر فنون الأفتان ، ص ٧٥ ، وانظر تقريب التهذيب ، ح ٢ ص ٣١١ .

(*) هو أبو بكر عاصم بن أبي النجود الأسدي ، توفي عام ١٢٧ هـ ، النشر في القراءات ، ج ١ ، ص ٩٩-١٨٩ .
(٢) الشامي : منسوب إلى عبد الله بن عامر اليحصبي ، وهو إمام أهل الشام في القراءة ، توفي بدمشق يوم عاشوراء سنة ١١٨ هـ ، تقريب التهذيب ، ح ١ ص ٣١٨ .

(٣) البصري : منسوب إلى عاصم بن ميمون الجحدري ، وهو أحد التابعين الحفاظ الذين ندبهم الحجاج إلى عد حروف القرآن ، فنون الأفتان ، ص ٧٣ .

(٤) انظر فنون الأفتان - ص ٧٢-٧٤ .

(٥) انظر البرهان في علوم القرآن - ح ١ ص ٢٥١-٢٥٢ .

(٦) انظر فنون الأفتان - ص ٧٥ .

مُبِينٍ ﴿ (النمل : ١) ، وسورة القصص ﴿ طسم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿ (القصص : ١-٢) .

فكأن السور الثلاث تصب في بحر واحد وتتحدث عن محور واحد ومقصد واحد ، وهو بيان أن هذا الكتاب هو من عند الله أنزله على محمد رسول الله ﷺ ، وأنه معجز في نفسه متحدٍ لغيره مُبين في آياته مزيل لكل ملتبس ، هدى وبشرى للمؤمنين .

فالسور الثلاث تعرض نماذج من آيات هذا القرآن ومعجزاته ، وكذلك نماذج من النبوات وما فيها من حكم وعبر ، وتأتي نبوة محمد ﷺ حلقة واضحة من حلقاته ، بل هي آخر الحلقات المتممة لكمالها .

والسور الثلاث تبين المعاني العليا في جوانب الإسلام المتعددة كالأخلاق وأسس العقيدة والعبادات والشورى ، وأن النصر حليف هذه الأمة الموحدة .

فالسور الثلاث اشتركت في بيان قصة موسى عليه السلام ، كما تضمنت تسلية النبي ﷺ عما يواجهه من زعماء قريش ، وبيان نجات أتباع الأنبياء والرسول وفوزهم في الدارين ، وسوء مآل المعاندين والجاحدين والظالمين .

٣- من حيث الموضوعات : بينت السور الثلاثة تشابهاً في الموضوعات التي تناولتها مثل بيان أصول العقيدة ، وهي التوحيد والنبوة والبعث وإثبات كون القرآن منزلاً من عند الله ، وفي إقامة الحجة على أن أصل الرسالات من الله تعالى ، ووحدة دعوة الرسل عليهم صلوات الله تعالى ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ .

ورغم التشابه الموضوعي فإن لكل سورة خصائصها الخاصة ، وطريقتها الخاصة ، وجرسها ومعانيها ، ومن ثم نجد في السور الثلاث من الإعجاز أنواعاً من حيث صلة السور ببعضها ، فكل سورة عبير خاص من التنوع في العرض وانتقاء المعنى والروعة في اختيار اللفظ في مدح القرآن ومخاطبة الرسل ونصرتهم وكل ذلك بالحق الواضح المبين .

سادساً : علاقة سورة النمل بسورة الشعراء التي قبلها :

١- إن سورة النمل كالتتمة لما قبلها في بيان قصص بعض الأنبياء كقصة داود وسليمان عليهما السلام .

٢- سورة النمل تفصيل لما أجمل في سورة الشعراء وبخاصة قصة موسى عليه السلام وقصة صالح - عليه السلام - وقصة لوط عليه السلام .

٣- وحدة دعوة الرسل - عليهم صلوات الله وسلامه - ففي سورة الشعراء تكلمت السورة عن دعوة نوح عليه السلام حيث قال تعالى على لسان نوح : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ وفي سورة النمل قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ .

٤- في سورة الشعراء بينت السورة حال من عقروا الناقة فقال تعالى : ﴿ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴾ (آية : ١٥٧) ، وفي سورة النمل بين عددهم ، قال تعالى : ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ .

٥- تورد السورتان النهاية المظلمة للظلمة ومن بينهم الذين عقروا الناقة ، ففي الشعراء قال تعالى : ﴿ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴾ ، وفي النمل ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ ﴾ آية ٥٨ .

٦- في سورة الشعراء فصلت الآيات التي حملها موسى - عليه السلام - إلى فرعون ، فموسى - عليه السلام - عرف فرعون على الله فقال تعالى على لسان موسى : ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، قال فرعون : ﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، قال موسى عليه السلام : ﴿ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ ، ﴿ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴾ .

٧- وفي سورة النمل تهيئة موسى - عليه السلام - للقاء فرعون حيث أمد الله موسى عليه السلام بالآيات الواضحة كاليد والعصا ، قال تعالى : ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾ آية ١٠ . وقال تعالى : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ

تَخْرُجُ بَيِّضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿ آية ١٢ .

٨- في سورة الشعراء ذكر سبحانه وتعالى اتهام المشركين لمحمد ﷺ بأنه شاعر وأنه تلقى القرآن من الشيطان فنفي ذلك ، قال تعالى : ﴿ هَلْ أُنبِئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيَاطِينُ * نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ * وَالشُّعْرَاءَ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ الشعراء آية ٢٢١-٢٢٤ . وفي سورة النمل قال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَلْقَىٰ الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ النمل آية ٦ .

٩- سورة الشعراء من حيث التسمية أول دليل على أن الشعر يفارق القرآن من حيث علو منزلة القرآن في مقامه واستقامة منهاجه وعز مرامه وصدق وعده ووعيده وعدله في تبشيره وتهديده ، قال تعالى : ﴿ وَالشُّعْرَاءَ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ الشعراء ٢٤ ، وقال تعالى في وصف القرآن : ﴿ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النمل:٢) .

١٠- سورة الشعراء بينت حرص النبي ﷺ على هداية الناس أجمعين ، قال تعالى : ﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ الشعراء ٣ ، وفي سورة النمل امتثال المؤمنين لأوامر الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ النمل ٣ .

١١- سورة الشعراء تحدثت عن إعراض المشركين عن قبول رسالة النبي ﷺ قال تعالى : ﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ * فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءٌ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ الشعراء ٥-٦ وفي سورة النمل تتحدثت عن سبب ذلك الإعراض وجزاء إعراضهم في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخِرُونَ ﴾ النمل ٤-٥ .

١٢- في سورة الشعراء تبدو حكمة الله واضحة بأن الله لم ينزل آية لإيمان المنكرين قهراً ، فقد جعل آي القرآن منهاج حياة معجزاً في نواحيه ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ نَشَأَ نَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾

الشعراء ٤ . وفي سورة النمل ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمِنْ أُمَّتِي فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ النمل ٩٢ .

١٣- وفي ختام سورة الشعراء قال تعالى : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ الشعراء ٢٢٧ ، وفي سورة النمل قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَةً لَّهُمْ أَعْمَالُهُمْ فَأَهُم بِعَمَلِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَاهِبُونَ ﴾ النمل ٤-٥ .

١٤- في سورة الشعراء قال تعالى : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾ الشعراء ٢١٣ ، وفي سورة النمل قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ تَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرُهُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ النمل ٩١ .

١٥- وفي سورة الشعراء قال تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ الشعراء ٢١٤ ، وفي سورة النمل قال تعالى : ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمِنْ أُمَّتِي فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ النمل ٩٢ .

١٦- في سورة الشعراء قال تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ الشعراء ٢١٧-٢١٩ ، وفي سورة النمل قال تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ النمل ٩٣ .

سابعاً : علاقة سورة النمل بسورة القصص التي بعدها :

١- تعتبر سورة القصص مفصلة لما جاء موجزاً في سورة النمل في قصة موسى - عليه السلام - مبتدئةً ببيان استعلاء فرعون وظلمه وذبحة أبناء بني إسرائيل الموجب لإلقاء موسى - عليه السلام - عند ولادته في اليم خوفاً عليه من فرعون وقتله للقبطي الذي استوجب فراره من مصر إلى مدين وزواجه من ابنة شعيب - عليه السلام - ثم مناجاته ربه وبعثه إياه رسولاً إلى فرعون .

٢- ففي سورة النمل بينت ما يتناسب مع الجو الواضح من التحدي فكان قوله تعالى : ﴿ يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيِّ الْمُرْسَلُونَ ﴾ بينما في سورة القصص يظهر طابع الصراع بين الحق والباطل فكان لا بد أن يكون الصراع واضحاً من البداية حيث يولد موسى عليه السلام في السنة التي كان فيها فرعون يذبح الأولاد ، ويصل موسى - عليه السلام - إلى بيت فرعون ، وكما أن الله حفظ موسى في اليم حفظه في قصر فرعون ، قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقَيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (القصص:٧) .

٣- سورة النمل بينت جحود فرعون لكل ما جاء به موسى من الآيات ولم تبين مصير فرعون وجنوده ، قال تعالى : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (النمل:١٤) ، وفي سورة القصص بينت الآيات عاقبة المفسدين ، قال تعالى : ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ (القصص:٤٠) .

٤- في سورة النمل فصل الله تعالى في إهلاك المخالفين من قوم صالح وقوم لوط لأبيائهم ، قال تعالى : ﴿ وَمَكْرُوهًا مَكْرًا وَمَكْرًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (النمل: ٥٠-٥١) ، وفي سورة القصص أوجز في بيان إهلاكهم ، قال تعالى : ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ (القصص:٤٠) ، وقال تعالى : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾ (القصص:٨١) .

٥- في سورة النمل ذكر إجمالي لآيات الله سبحانه ، قال تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٩٣) ، وفي سورة القصص ذكر لآيتين من آيات الله سبحانه وهما الليل والضياء ، قال تعالى :

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ (٧١) .

٦- في سورة النمل بيان حرص قادة النمل على النمل ، قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١٨) ، وفي سورة القصص بيان حرص أهل الإيمان على الأنبياء ، قال تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ (٢٠) .

٧- في سورة النمل تسليية للنبي ﷺ وتطمين له ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ (٧٠) وفي سورة القصص توضيح للنبي ﷺ أن الهداية ليست بيده وأنها بيد الله وحده ، قال تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (٥٦) .

٨- في سورة النمل ذكر بعض أشراف الساعة وعلاماتها : قال تعالى : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ (٨٢) ، وفي سورة القصص إشارة موجزة إلى يوم القيامة ، قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (٦٢) .

الفصل الأول

التفسير التحليلي للسورة

ويشتمل على أحد عشر مبحثاً :

- المبحث الأول : رسالة القرآن .
- المبحث الثاني : موسى عليه السلام بالواد المقدس .
- المبحث الثالث : قصة داود وسليمان عليهما السلام .
- المبحث الرابع : دعوة صالح عليه السلام .
- المبحث الخامس : قصة لوط عليه السلام .
- المبحث السادس : أدلة الوحدانية والقدرة الإلهية .
- المبحث السابع : لا يعلم الغيب إلا الله .
- المبحث الثامن : إنكار المشركين للبعث .
- المبحث التاسع : إثبات نبوة محمد ﷺ بالقرآن الكريم .
- المبحث العاشر : من أمارات القيامة .
- المبحث الحادي عشر : الاشتغال بعبادة الله وحده وتلاوة القرآن .

المبحث الأول رسالة القرآن

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول

القرآن كتاب هداية للمؤمنين

قال تعالى : ﴿طَس تَلِكْ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ * هُدًى وَبُشْرَى
لِلْمُؤْمِنِينَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾
(النمل: ١-٣) .

أولاً : التحليل اللفظي :

طس : تقرأ (طا . سين) (١) .

قال سيد قطب : "الأحرف المقطعة للتنبيه على المادة الأولية التي تتألف
منها السورة والقرآن كله وهي متاحة لجميع الناطقين بالعربية وهم يعجزون أن
يؤلفوا منها كتاباً كهذا القرآن بعد التحدي والإفحام" (٢) .

اختلف العلماء في الحروف التي في أوائل السور من حيث تفسيرها على
قولين (٣) :

الفريق الأول : قالوا هي مما استأثر الله تعالى بعلمه ، وعليه فيرد علمها إليه
سبحانه وتعالى ولم يفسروها ، واستدلوا على ذلك بأنه لم يثبت عن رسول الله ﷺ
في هذه الفواتح شيء يصلح للتمسك به ، أما ما تكلم عنه الصحابة الكرام في ذلك
فمختلف ، فلو كان مأخوذاً عن النبي ﷺ لاتفقوا عليه وكتبوه ورفعوه إليه ولا سيما
عند اختلافهم واضطراب أقوالهم (٤) .

الفريق الثاني : قالوا بأنها تفسر ويجب التكلم فيها وتفسيرها لأن الله لم ينزلها
عبثاً ولا سدى بل لحكم كثيرة ومعانٍ تتخرج عليها (٥) ، واستدلوا على ذلك

(١) التفسير المنير - ج ١٩ ص ٢٥٦ .

(٢) في ظلال القرآن للشهيد سيد قطب - ج ٥ ص ٢٦٢٦ .

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي - ج ١ ص ١٧٢ .

(٤) انظر فتح القدير للشوكاني - ج ١ ص ٤٠-٤١ ، وانظر البرهان - ج ١ ص ١٧٣ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ج ١ ص ١٧٢-١٧٣ .

بقولهم : هي إشارة إلى حروف الهجاء أعلم الله بها العرب حين تحداهم بالقرآن أنه مؤتلف من حروف هي التي منها بناء كلامهم ، ليكون عجزهم عنه أبلغ في الحجة عليهم إذ لم يخرج عن كلامهم ، وإن العرب استعملت تلك الحروف ، وكانوا يعرفون أن لها مدلولاً متداولاً عنهم فلم ينكروها ولم يستغربوها بدليل أن النبي ﷺ تلا (حم) فصلت ، و(ص) وغيرها .

والذين قالوا إنها تفسر اختلفوا في تفسيرها إلى أكثر من ثلاثين قولاً :

منها : هي سرُّ الله في القرآن والله في كل كتاب من كتبه سرٌّ .

ومنها : إن لكل كتاب صفة ، وصفة هذا الكتاب حروف التهجي .

ومنها : أنها أسماء السور .

ومنها : أنها قسم أقسمه الله وهو من أسماء الله .

ومنها : أنها اسم الله الأعظم إلا أنا لا نعرف تأليفه منها (١) .

ومنها : إن العرب كانوا إذا سمعوا القرآن لغوا فيه ، وقال بعضهم ﴿ لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ ﴾ (فصلت: ٢٦) فأنزل الله هذا النظم البديع ، ليعجبوا منه ويكون تعجبهم سبباً لاستماعهم ، واستماعهم له سبباً لاستماع ما بعده ، فترق القلوب وتلين الأفتدة (٢) .

ومنها : قول القاضي أبي بكر (٣) .

"إنما جاءت الأحرف المقطعة في أوائل السور على نصف حروف المعجم ، كأنه قيل من زعم أن القرآن الكريم ليس بأية فليأخذ الشطر الباقي ، ويركب عليه لفظاً معارضة للقرآن" (٤) .

(١) الجامع لأحكام القرآن - ج ١ ص ١٧٣ .

(٢) البرهان في علوم القرآن - ج ١ ص ١٧٥ .

(٣) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله المعافري المعروف بابن العربي أحد فقهاء اشبيلية توفي في المغرب سنة ٥٤٤ ، المعجم العربي الأساسي ، ص ٨٣٠ .

(٤) انظر البرهان في علوم القرآن - ج ١ ص ١٦٧ .

ويرى الباحث أن هذه الحروف المقطعة في فواتح السور مما استأثر الله بعلمه ، مع الاعتراف بأن في إنزالها حكمة الله - عز وجل - لا تبلغها عقولنا ولا تهتدي إليها أفهامنا .

ويكاد يجمع العلماء على أن هذه الحروف تشير إلى إعجاز القرآن فكأن الله قال للعرب إن هذه الحروف التي ألف منها القرآن بين أيديكم فأتوا بشيء من مثله ولكن أنى لهم ذلك ، قال تعالى : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ٢٣) .

وأما الحكمة فالأقوال فيها كثيرة ومنها :

"إن هذه الحروف من أعجب المعجزات والدلالات على صدق النبي ﷺ ، ألا ترى أن هذه الحروف لا ينطق بها إلا من تعلم القراءة ، وهذا النبي الأُمي ﷺ قد نطق بها ، وفي هذا إعجاز للعقول المتبصرة ودلالة على أن هذه الحروف هي وحي من الله " (١) .

ومنها " إن الله خلق العالم منظماً محكماً متناسقاً متناسباً ، والكتاب السماوي إذا جاء مطابقاً لنظام الله في كونه موافقاً لإبداعه سائراً على منهاجه دل ذلك على أنه من عند الله " (٢) .

تلك : اسم إشارة للمفرد المؤنث البعيد .

أي الآيات العالية المقام البعيدة المرام البديعة النظام (٣) .

قال الإمام القرطبي رحمه الله : أي هذه السورة آيات القرآن وآيات كتاب مبين (٤) .

آيات القرآن : جمع آية والآية تطلق على ما يأتي :

(١) انظر مناهل العرفان للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ، ح ١ ص ٢٣٢-٢٣٣ .

(٢) المصدر السابق ، ح ١ ص ٢٣٤ .

(٣) انظر نظم الدرر - ج ٥ ص ٤٠٥ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٣ ص ١٦٥ .

- ١- المعجزة : ومنه قوله تعالى : ﴿ سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (البقرة : ٢١١) أي معجزة واضحة .
- ٢- العلامة : ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (البقرة : ٢٤٨) أي علامة .
- ٣- العبرة : ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء : ٨) أي عبرة لمن يعتبر .
- ٤- الأمر العجيب : ومنه قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾ (المؤمنون : ٥٠) .
- ٥- الجماعة : ومنه قولهم : خرج القوم بأيتهم ، أي بجماعتهم والمعنى أنهم لم يتركوا وراءهم شيئاً .
- ٦- البرهان والدليل : نحو قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ﴾ (الروم : ٢٢) والمعنى أن من براهين وجود الله واقتداره واتصافه بالكمال : خلق عوالم السماوات والأرض واختلاف الألسنة والألوان .
- أما الآية في الاصطلاح : فهي طائفة ذات مطلع ومقطع مندرجة في سورة من القرآن والعلاقة واضحة بين المعاني اللغوية والاصطلاحية واضحة لأن الآية من القرآن معجزة ولو باعتبار انضمام غيرها إليها ثم هي علامة على صدق من جاء بها ﷺ . وفيها عبرة وذكرى لمن أراد أن يتذكر ، وهي من الأمور العجيبة لمكانها من السموات والإعجاز ، وفيها معنى الجماعة لأنها مؤلفة من جملة كلمات وحروف وفيها معنى البرهان والدليل على ما تضمنته من هداية وعلم وعلى قدرة الله وعلمه وحكمته وعلى صدق رسوله في رسالته (١) .
- قال الإمام الشوكاني : "قد وصفت الآيات القرآنية بأوصاف ثلاثة في قوله تعالى : ﴿ طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (النمل : ١) .

(١) مناهل العرفان - ج ١ ص ٢٣٨ - ٣٣٩ .

الأولى : القرآنية : الدالة على كونه مقروءاً مع الإشارة إلى كونه قرآناً عربياً معجزاً .

والثانية : الكتابية : الدالة على كونه مكتوباً مع الإشارة إلى كونه متصفاً بصفة الكتب المنزلة .

والثالثة : الإبانة الدالة لمعانيه لمن يقرؤه حيث بان معناه واتضح إعجازه بما اشتمل عليه من البلاغة (١) .

القرآن : مصدر قرأ يقرأ قراءةً وقرآناً ، ومادة قرأ تدل على الجمع والضم ، فالجمع لأنه يجمع السور فيضمها ، والضم لأنه يضم الكلمات والحروف والآيات التي تكون السورة ، ومن السور يكون القرآن (٢) .
واصطلاحاً : هو كلام الله الذي أنزله على نبيه ﷺ كتاباً وقرآناً وفرقاناً (٣) .

قال بعض العلماء : تسمية هذا الكتاب قرآناً من بين كتب الله لكونه جامعاً لثمرة كتبه بل لجمعه ثمرة جميع العلوم (٤) .

كما أشار تعالى : ﴿ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (يوسف: ١١١) ، وقوله تعالى : ﴿ تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (النحل: ٨٩) .

وكتاب : والكتاب مصدر كتب يكتب كتاباً وكتابةً ، أي ما يكتبه فيه ، وجمعه كتب ، وسمى كتاباً لجمعه أنواع العلوم والقصص والأخبار على أبلغ وجه (٥) .
مبين : من أبان يبين إبانة فهو مبين ومنه قوله تعالى : ﴿ حَمَّ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ (الزخرف والدخان : ١) أي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وما تحتاج إليه الأمة (٦) .

هُدَى : مصدر هَدَى يَهْدِي هُدًى وَهَدِيًّا وَهَدَايَةً ، والمعنى أرشده ودله (٧) .

(١) انظر فتح القدير - ج ٤ ص ١٥٦ .

(٢) انظر لسان العرب - ج ١ ص ١٢٨-١٢٩ .

(٣) المصدر السابق - ج ١ ص ١٢٩ .

(٤) معجم مفردات ألفاظ القرآن - ص ٤١٤ .

(٥) لسان العرب - ج ١ ص ٦٩٨ .

(٦) المصدر السابق - ج ١٣ ص ٦٨ .

(٧) المعجم العربي الأساسي - ص ١٢٥٩ .

هُدَى ضد الضلال وهو الرشاد (١) .

والهُدَى والهداية في موضوع اللغة واحد لكن خصَّ الله - عز وجل -
لفظة الهُدَى بما تولاه وأعطاه واختص به دون ما هو إلى الإنسان نحو ﴿ هُدَى
لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .

والاهتداء يختص بما يتحراه الإنسان على طريق الاختيار إمّا في الأمور
الدنيوية أو الآخروية ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ
وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (الأنعام: ٩٧) (٢) .

بشرى : مفرد بشريات التي تعني الخبر السار الذي يلحق بمن آمن بالقرآن
وصدقه فالتعبير القرآني على هذا النحو يجعل مادة القرآن وماهيته هُدَى وبشرى
للمؤمنين في كل فج وطريق ، ويطلع عليهم بالبشرى في الدنيا والآخرة وهما
مستمران وحاصلان في آياته (٣) .

للمؤمنين : اللام لام الاختصاص أي اختصاص المؤمنين بالهدى والبشرى لأنهم
المصدقون به والمهتدون به والمطبقون له المدركون لمعانيه وتوجيهاته (٤) .
يقيمون : أي يديمون فعلها ويحافظون عليها (٥) .

الصلاة : هي الركوع والسجود ، والجمع صلوات وهو اسم يوضع موضع
المصدر وهي العبادة المخصوصة وسميت صلاة لما فيها من الدعاء والاستغفار
وأصلها الدعاء . والصلاة من الله رحمة ، ومن المخلوقين والملائكة والإنس
والجن : القيام والركوع والسجود والدعاء والتسبيح ومن الطير والهوام التسبيح .
قال الزجاج (٦) : الأصل في الصلاة اللزوم أي لزوم ما فرض الله (٧) .

(١) لسان العرب - ج ١٥ ص ٣٥٤ .

(٢) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن - ص ٥٣٦-٥٣٩ .

(٣) انظر جامع البيان ج ١١ ص ١٦١ .

(٤) انظر التفسير الكبير - ج ٢٤ ص ١٧٨ .

(٥) معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم - ص ٤٣٢ .

(٦) الزجاج هو أبو إسحاق ابن السرى (توفي ٣١١هـ) من أئمة اللغة والنحو بغدادى المولد ، المعجم العربى
الأساسى ، ص ٥٧٠ .

(٧) لسان العرب - ج ١٤ ص ٤٦٥ .

يؤتون : من أتى يُؤتي إيتاءً ويؤتون للجماعة ، والإيتاء هو الإعطاء (١) .
الزكاة : من زكى يُزكى تركية ، إذا أدى من ماله زكاته ، ومعنى الزكاة الطهارة والنماء والبركة والمدح وكله استعمل في القرآن ، فالزكاة طهرة للأموال وزكاة الفطر طهرة للأبدان (٢) .

الآخرة : يُعَبَّرُ بالدار الآخرة عن النشأة الثانية كما يُعَبَّرُ بالدار الدنيا عن النشأة الأولى (٣) .

يوقنون : أي يصدقون ويعلمون بوجود الآخرة بالاستدلال ، وبهذا وكأنه سبحانه وتعالى جعل معرفة المبدأ طرفاً أولاً ومعرفة المعاد طرفاً آخر ، وجعل الطاعة بالنفس والمال متوسطاً بينهما (٤) .

البلاغة :

تلك آيات القرآن : إشارة بالبعيد بدلاً من القريب لبيان رفعة القرآن وعلو شأنه كما أضاف الآيات إلى القرآن والكتاب المبين على سبيل التفضيم والتعظيم .
وكتاب مبين : نكر الكتاب لئبهم بالتنكير فيكون أفخم له (٥) .

هدى وبشرى : التعبير بالمصدر بدلاً من اسم الفاعل للمبالغة بقوة تسببه في الهدى ، ووصف الكتاب بالهدى والبشرى جاء على سبيل المجاز العقلي ، وإنما الهادي والمبشر هو الله أو الرسول ﷺ بسبب الكتاب (٦) .

للمؤمنين : اللام للاختصاص أي هم المميزون بإقامة الصلاة وإعطاء الصدقات . وهم بالآخرة هم يوقنون : الابتداء بالجملة الاسمية اهتماماً بمضمونها لأنه باعث على فعل الخيرات ، وتقديم بالآخرة للاهتمام بها وتكرار الضمير هم لإفادة الحصر والاختصاص والتقدير ما يوقن بالآخرة إلا هؤلاء (٧) .

(١) معجم مقاييس اللغة - ج ١ ص ٣٤ .

(٢) انظر لسان العرب - ج ١٤ ص ٣٥٨ .

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن - ص ٩ .

(٤) انظر التفسير الكبير - ج ٢٤ ص ١٧٨ .

(٥) المصدر السابق - ج ٩ ص ٢٥٢ .

(٦) انظر التحرير والتنوير - ج ١٩ ص ٢١٨-٢١٩ .

(٧) انظر التحرير والتنوير - ج ١٩ ص ٢١٩ .

يوقنون :صيغة المضارع المستمر تفيد أنهم مستمرين على ذلك لا يحدون عنه.

القراءات :

طس : تقرأ طا . سين (١) .

فإطاء تقرأ بالتفخيم "أي بالفتح" (٢) والإمالة (٣) .

القرآن : تقرأ بالتحقيق والتسهيل .

أما التحقيق أي تحقيق الهمز فقراءة الجمهور ما عدا أبا جعفر وورش

اللذان قراءا بالتسهيل .

الإعراب :

طس : لا تعرب لأنها مما استأثر الله بعلمه ولا يمكن الوقوف على

إعرابها .

أما الفريق الذي قال بأنها لها معان تخرج فيرون أنها أسماء السور

أو ما شابه ذلك فيكون :

طس : محلها الرفع على الابتداء ، أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره هذا اسم

السورة طس (٤) .

هم يوقنون : هم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ ، ويوقنون الجملة الفعلية في

محل رفع خبر المبتدأ (٥) ، وجملة هم يوقنون خبرهم الأولي .

اللطائف :

١- في قوله تعالى : ﴿طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين﴾ (النمل: ١) ، غلب

على أسماء كلام الله المنزل على محمد ﷺ القرآن والكتاب . قال الدكتور

(١) التفسير المنير ج١٩ ص ٢٥٢ .

(٢) الفتح عبارة عن فتح القاريء لفيه بلفظ الحرف وهو فيما بعده ألف أظهر يقال له التفخيم ، انظر النشر ج٢ ص ٢٩ .

(٣) الإمالة أن تتحو بالفتحة نحو الكسرة ، وبالألف نحو الياء مثل "كثيرا" وهو المحض وربما قبل له الكسرة أيضاً "قليلا" وهو بين بين اللفظتين وهي جائزة في القراءة - انظر النشر - ج٢ ص ٣٠ .

(٤) انظر فتح القدير - ج٤ ص ١٥٥ .

(٥) الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل - بهجت صالح - ج٨ ص ٢٦٨ .

محمد عبد الله دراز : "رُوعي في تسميته قرآناً كونه مثلواً بالألسن ، كما روعي في تسميته كتاباً كونه مدوناً بالأقلام ، فكلتا التسميتين من تسمية شيء بالمعنى الواقع عليه .

وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد ، أعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعاً ، أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ، فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب ، المنقول إلينا جيلاً بعد جيل على هيئته التي وضع عليها أول مرة ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر .

وبهذه العناية المزدوجة التي بعثها الله في نفوس الأمة المحمدية اقتداءً بنبيها بقي القرآن محفوظاً في حرز حريز ، إنجازاً لوعده الله الذي تكفل بحفظه حيث يقول تبارك اسمه : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ولم يصبه ما أصاب الكتب الماضية من التحريف والتبديل وانقطاع السند (١) .

المعنى الإجمالي :

تبدأ سورة النمل بالأحرف المقطعة للتبويه على إعجاز القرآن وعلى المادة الأولية التي تتألف منها السورة والقرآن ، وهي متحدية لجميع الناطقين بالعربية وغيرها بأن يأتوا بمثل بلاغته وفصاحته .

فهذه الآيات القرآنية المقروءة والمكتوبة الواضحة البينة يستفيد منها المتأمل فيها المستعذب لحلاوتها والمفكر في عظمتها لأنها منسوبة إلى الله تعالى والتي قصد بها التحدي بأجزائه تفصيلاً وبجميعه إجمالاً .

فهذه الآيات الجامعة لأنواع العلوم والقصص والأخبار جاءت على أبلغ وجه متضمنة ثمرة الكتب السماوية السابقة كاشفة لكل مشكل موضحة لكل ملبس مما كان وما هو كائن من الأحكام والدلائل في الأصول والفروع والنكت

(١) النبأ العظيم للدكتور محمد دراز - ص ١٢-١٣ .

والإشارات فيما له من كتاب جامع بما اشتمل عليه من أرقى أساليب البلاغة والإتقان الحاصل عنها الهداية إلى طريق الرشاد في الدارين الدنيا والآخرة ، والبشارة بالسعادة في الدنيا بسعة انشراح النفس وفي الآخرة بالجنة وذلك لامتنالهم لأوامر الله من مداومتهم على الصلوات المفروضة التي تسمو بها الروح إلى حيث العلا ، والمؤدون الصدقات التي بها مرضاة الله والمطهرون بها شح المال والنفس من البخل وهذه الأعمال ثمرة الإيمان بالله وباليوم الآخر ورغبة في الفوز بالجنان والأنهار في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

المطلب الثاني

جحد عاقبته الخسران

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخَسِرُونَ ﴾ (النمل: ٤-٥) .

المناسبة :

بعد ذكر صفات المؤمنين الذاكرين لله القائمين بتكاليفه المشفقين من حسابه وعقابه الطامعين في رضائه وثوابه ، فالقرآن لهم هدى وبشرى ونور في أرواحهم ودفعة في دمائهم وحركة في حياتهم .

جاء ذكر من لا يؤمن بالآخرة فهم يتحирون في غيهم حتى يلاقوا مصيرهم الوخيم (١) .

التحليل اللفظي : زَيَّنَّا : من زَيَّنَ يُزَيِّنُ تزييناً ، أي جَمَلَهُ وزخرفه وحببه (٢) .

قال الراغب : زين إذا أظهر حسنه إما بالفعل أو القول ، وتزيين الله للأشياء قد يكون بإبداعها مزينة وإيجادها كذلك (٣) .

(١) انظر في ظلال القرآن ، ح ٥ ، ص ٢٦٢٧ .

(٢) انظر المعجم العربي الأساسي ، ص ٥٩٩ .

(٣) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ، ص ٢٢٣ .

والمعنى : حبيننا لهم أعمالهم القبيحة وسهلنا ذلك عليهم (١) .

تنويه وتأصيل :

كيف أسند الله تعالى تزيين أعمال المشركين إلى نفسه وأسنده في موضع آخر إلى الشيطان في قوله : ﴿ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (العنكبوت: ٣٨) . قال الزمخشري : إن بين الإسنادين فرقاً ، فالإسناد إلى الله مجاز وإلى الشيطان حقيقة (٢) .

قال ابن عاشور : إسناد التزيين إلى الله لا ينافي إسناده إلى الشيطان ، فإن وسوسة الشيطان تجد في نفوس أولئك مرتعاً خصباً لا يقبل (*) ، فالله تعالى مزين لهم بسبب تطور جبلة نفوسهم وضعف سلامة الفطرة عندهم ، والشيطان مزين لهم بالوسوسة التي تجد قبولاً في نفوسهم (٣) .

يعمهون : من عمه وعمه يعمه عمها وعموها وعموها وعمهاناً والجمع عمهون وعمه إذا حاد عن الحق ، وتردد في الضلالة (٤) .

أولئك : اسم إشارة لجمع القريب "المذكر والمؤنث" واحداً "ذلك" أو "ذاك" ويكثر استعمالها فيما يعقل (٥) .

لهم : اللام لام الاختصاص للإشارة إلى أنهم في حالتهم هذه قد هُييء لهم سوء العذاب .

سوء : أي فعل به ما يكره - نقيض سره - والاسم السوء (٦) .

العذاب : من عذب يُعذب تعذيباً ، والمعنى عاقبه عقاباً مؤلماً جسدياً أو نفسياً (٧) .

(١) انظر جامع البيان للإمام الطبري ، ح ١٩ ، ص ١٦٠ .

(٢) الكشف للزمخشري ، ح ٣ ، ص ١٣٦ .

(*) يَقَحَل : القاف والحاء واللام أصل صحيح يدل على يبس في الشيء وجفاف والمعنى ومنبتاً لا يببس ولا يجف ،

مقاييس اللغة ، ح ٢ ، ص ٣٨٧٥ .

(٣) انظر التحرير والتنوير ، ح ١٩ ، ص ٢٢١ .

(٤) انظر لسان العرب ، ح ١٣ ، ص ٥١٩ .

(٥) المعجم العربي الأساسي ، ص ١٢١ .

(٦) لسان العرب ، ح ١ ، ص ٦٥ .

(٧) المعجم العربي الأساسي ، ص ٨٢٩ .

الأخسرون : خَسِرَ خُسْرًا وَخَسِرًا وَخُسْرَانًا وَخَسَارَةً (١) .

قال الإمام الطبري : الأخسرون : أي الأوضعون تجارةً والأوكسوها
باشترائهم الضلالة بالهدى (٢) .

البلاغة :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيْنًا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ ﴾ : تأكيد الخبر بحرف التوكيد
للاهتمام به ولافتراق الناس في تلقي الهدى بين مبادر ومتقاعس ومُصر على
الاستمرار في الضلال (٣) .

وإضافة أعمال إلى ضمير الذين لا يؤمنون بالآخرة يقتضي أن تلك
الأعمال هي أعمال الإشراف والباطنة فهم لإفهم إياها وتصلبهم فيها
صاروا غير قابلين لهدى القرآن الذي جاءهم .

وإن قبول الخير كائن بمقدار رسوخ الشر في نفوسهم جراء ما طرأ على
سلامة الفطرة التي فطر الله الناس عليها من الفساد (٤) .

(زَيْنًا) : جاء الفعل زَيْنًا في الماضي أي أن هذا التزيين حكم سبق وتقرر
من قبل (٥) .

(يعمّهون) : أفادت صيغة المضارع أن العمه متجدد مستمر حيث لا يهتدون إلى
طريقة ولا يقفون على حقيقة (٦) .

(وهم بالآخرة هم يوقنون) ، (وهم في الآخرة هم الأخسرون) بينهما مقابلة .
وتكرار الضمير فيهما لإفادة الحصر والاختصاص (٧) .

(هم الأخسرون) انحصار الخسارة فيهم لا في غيرهم .

(١) المصدر السابق ، ص ٣٩٥ .

(٢) جامع البيان ، ح ١١ ، ص ١٦١ .

(٣) انظر التحرير والتنوير ، ح ١٩ ، ص ٢٢٠-٢٢١ .

(٤) نفس المصدر السابق .

(٥) نظر فتح القدير ، ح ٤ ، ص ١٥٦ .

(٦) التفسير المنير ، ح ١٩ ، ص ٢٥٥ .

(٧) انظر التحرير والتنوير ، ح ١٩ ، ص ٢٢٣ .

المعنى الإجمالي :

بعدما بين الحق جل جلاله أن الإيمان بالبعث هو الجامع لسائر الطاعات التي بأدائها تكون السعادة في الدنيا والآخرة ، عبر عن المتصفين بهذا الإيمان بقوله تعالى : ﴿ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ المختصون بإيمانهم بالميعاد إلى ربهم ، فيحاسبون على أعمالهم خيرها وشرها ، فيبذلون كل شيء في طاعة ربهم رجاء ثوابه وخوف عقابه .

أما أولئك الذين لا يؤمنون بالآخرة فهم لا يباليون أحسنوا أم أساءوا لأنهم إن أحسنوا لا يرجون ثواباً وإن أساءوا لم يخافوا عقاباً ، وهم يظنون أن الفرصة الوحيدة المتاحة لهم للمتاع هي فرصة الحياة على هذا الكوكب ، ومن ثم يصبح كل همهم تحقيق الشهوة واللذة للنفس التي لا تؤمن بالآخرة ، مع وضوح الأدلة الباهرة التي تخاطب العقل والسمع على حقيقة البعث والحياة بعده ، فلما أنكروا البعث تراهم حائرين مترددين في ضلالهم فهم في عذاب شديد في دنياهم لتبابلهم وقلقهم واضطراب أنفسهم ، فحجب الله لهم أعمالهم القبيحة حتى أعرضوا عن الخوف من عاقبتها مع ظهور قباحتها ، فهم يتخبطون خبط من لا بصيرة له أصلاً ، ولهذا فعلمهم غير سديد ولا سعيد ، لأن العمه والتردد هو حال كل ضال وسبب التردد أنهم سمعوا الحق مع ما فيه من الضلالة فتحيروا فيه فإنكارهم للبعث كان سبباً لسوء عذابهم بالقتل والأسر ، وفي الآخرة هم أعظم خسراناً مما في الدنيا لأن عذابهم في الآخرة مستمر لا ينقطع (١) .

الدروس المستفادة :

١- جحود البعث ونكرانه كفر يترتب عليه عقاب في الدنيا وحيرة وضلال ولهم عدا هذا العقاب المعنوي عقاب مادي سيء في الدنيا وعقاب في الآخرة وهو جهنم وذلك هو الخسران المبين .

٢- الأدلة العقلية المنطقية تثبت البعث وتؤكدده .

(١) انظر نظم الدرر ، ح٥ ، ص ٤٠٥ ، تفسير المراغي ، ح١٩ ، ص ١١٩-١٢٠ ، في ظلال القرآن ، ح٥ ،

٣- تنزيل القرآن على النبي ﷺ وتعليمه إياه وتلقينه به من عند الله العلي الحكيم
لهو دليل على صدق هذا النبي الأمي ، وما في القرآن من أحكام هي لسعادة
الإنسان في الدنيا والآخرة ، فمن الناس من خسر الدنيا وربح الآخرة ،
وهؤلاء خسروا بكفرهم فهم أخسر كل خاسر (١) .

المطلب الثالث

مصدر القرآن الكريم

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ (النمل:٦) .

المناسبة :

بعد بيان حال المؤمنين بالبعث وما لهم من السعادة في الدنيا والآخرة ،
والمنكرين له وما أعد لهم الله من سوء العذاب .

ذكر الله حال المنزل عليه القرآن "محمد بن عبد الله" بأن القرآن آية دالة
على صدقه إذ أنبأه بأخبار الأنبياء والأمم الماضية التي ما كان يعلمها هو ولا
قومه من قبل ، وما كان يعلم أهل الكتاب إلا قليلاً منها ، وتنتهي مقدمة السورة
بإثبات المصدر الإلهي الذي ينزل منه هذا القرآن على رسول الله ﷺ (٢) .

التحليل اللفظي :

وإنَّك : الواو استئنافية ، وإن حرف توكيد والكاف ضمير متصل والمخاطب هو
محمد ﷺ .

لتُلقى : اللام لام التوكيد ، وتُلقى مضارع لقاها مبني للمجهول ، أي جعله لاقياً .
واللُقى واللقاء : وصول أحد الشئيين إلى شيء آخر قصداً أو مصادفة .
والتلقيّة : جعل الشيء لاقياً غيره ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَاهُمْ نَصْرَةٌ وَسُرُورًا ﴾
(الإنسان : ١١) .

وهو هنا تمثيل لحال إنزال القرآن إلى النبي ﷺ بحال التلقيّة كأن جبريل
سعى للجمع بين النبي ﷺ والقرآن الكريم .

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٣ ص ١٦٦ .

(٢) انظر التحرير والتتوير ، ح ١٩ ، ص ٢٢٣ ، وفي ظلال القرآن ، ح ٥ ، ص ٢٢٣ .

وبناء الفعل إلى غير مذكور للعلم بأنه الله أو جبريل ، والمعنى واحد :
وهو أنك مؤتى الوحي من لدن حكيم عليم (١) .

لُدُنْ : ظرف زماني بمعنى عند ، يغلب استعمالها مجرورة بمن (٢) .
حكيم : من أسماء الله الحسنى وجمعه حُكماء وهو من تصدر أعماله وأقواله عن
روية ورأي سليم (٣) .

عليم : جمعه عُلماء ، أي كثير العلم ، من أسماء الله الحسنى ، أي عليم بكل
شيء ظاهر وباطن .

والمعنى : إنك تتلقى الهدية السنوية "القرآن الكريم" من عند أحكم الحكماء وأعلم
العلماء ، والجمع بين الصفتين ، مع أن العلم داخل في الحكمة لعموم العلم ،
ودلالة الحكمة على إتقان الفعل ، وللدلالة على أن علوم القرآن منها ما هو حكمة
كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والإخبار عن المغيبات (٤) .

البلاغة :

وإنك لتلقى القرآن : التأكيد بإن واللام للرد على المشككين (٥) .
وتلقى : جاءت بصيغة المضارعة لاستمرار خيره وسموه لأنه من عند الله .

حكيم عليم : جاءتا منكرتين لمزيد من التعظيم ، أي بالغ الحكمة لأنه من العليم
الذي عجز الخلق عن الإتيان بمثله أو بشيء من مثله (٦) .

لطيفة :

قال الإمام الرازي : كمال العلم يحصل من هذه الكمالات الثلاثة :

أ- وحدته .

ب- وعموم تعلقه بكل الكمالات .

(١) انظر التحرير والتنوير ، ج١٩ ، ص ٢٢٣ .

(٢) انظر المعجم العربي الأساسي ، ص ١٠٨١ ، والتحرير والتنوير ، ج١٩ ، ص ٢٢٣ .

(٣) المعجم العربي الأساسي ، ص ٣٤٢ .

(٤) انظر التفسير المنير ، ج١٩ ، ص ٢٥٦ .

(٥) انظر التفسير المنير ، ج١٩ ، ص ٢٥٦ .

(٦) انظر التحرير والتنوير ، ج١٩ ، ص ٢٢٣ ، وصفوة التفسير ، ج٢ ، ص ٤٠٥ .

ج- بقاءه مصوناً عن كل التغيرات .

وما حصلت هذه الكمالات إلا في علمه سبحانه وتعالى (١) .

المعنى الإجمالي :

لما وصف القرآن الكريم حال أهل الإيمان بالفوز بالجنان ، وحال أهل الكفر والعصيان بالجحيم والنيران الذين يتلقون كفرهم إما عن الشياطين الذين هم في غاية الشر وإما عن آبائهم الذين هم في غاية الجهل .

وصف الحق - جل جلاله - نبيه - عليه الصلاة والسلام - بجلاله

وجلال المنزل عليه والمنزل ليكون أدعى إلى قبوله (٢) .

والمعنى : إنك يا محمد وأنت أشرف الخلق وأعلمهم وأحلمهم لتوتى القرآن

الكريم من عند الله الحكيم في خلقه وتدبيره الذي أحاط بكل شيء علماً .

وتتجلى حكمته وعلمه في هذا القرآن في منهجه وتكاليفه ، وتوجيهاته

وطريقته ، وفي تنزيله في إيانة ، وفي توالي أجزائه وتناسق موضوعاته (٣) .

(١) انظر التفسير الكبير ، ج٢٤ ، ص ١٨١ .

(٢) انظر نظم الدرر ، ج٥ ، ص ٤٠٨ .

(٣) انظر تفسير المراعي ، ج١٩ ، ص ١٢٢ ، في ظلال القرآن ، ج٥ ، ص ٢٦٢٨ .

المبحث الثاني

موسى عليه السلام بالواد المقدس

قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنستُ نارا سآتِيكمُ مِنْهَا بِخَبَرٍ
أَوْ آتِيكمُ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي
النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ * وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رآها تَهْتَزُّ كَأَنَّها جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ
لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ * إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي
عَفُورٌ رَحِيمٌ * وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ
إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ * فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا
هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ * وَجحدُوا بِها وَاسْتَيْفَنَتْها أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كانَ
عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (النمل : ٧-١٤) .

المناسبة :

بعد أن أخبر الله تعالى أن القرآن المجيد مُتلقى من عند الله تعالى ، وأن ما
في القرآن دليل على حكمة من أوحى به وعلمه ، وأن ما يذكر هنا من القصص
وما يستخلص من المغازي والأمثال والمواعظ التي فيها تثبيت فؤاد النبي ﷺ هي
من آثار حكمته وعلمه تعالى (١) .

تأتي هذه الحلقة السريعة من قصة موسى عليه السلام بعد قوله :
﴿ وَإِنَّكَ لَتَلَقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ (النمل:٦) . كأن الله يقول
لرسوله ﷺ : إنك لست بدعاً في هذا التلقي فها هو موسى يتلقى التكليف
وينادى لحمل الرسالة إلى فرعون وقومه وليس ما تلقاه من التكذيب بدعاً في
التكذيب فها هم قوم موسى تستيقن نفوسهم آيات الله ولكنهم يجحدون بها
ظُلماً وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ولينظر قومك عاقبة الجاحدين
المكذبين (٢) .

(١) انظر التفسير المنير ، ج١٩ ، ص ٢٦٢ ، التحرير والتنوير ، ج١٩ ، ص ٢٢٤ .

(٢) في ظلال القرآن ، ج٥ ، ص ٢٦٢٨ .

التحليل اللفظي : قال تعالى : ﴿ **إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ** ﴾ (النمل: ٧) .

قال الزمخشري : انتصب "إذ" بفعل مضمر تقديره : اذكر يا محمد ﷺ من
حكمة الله وعلمه حين قال موسى لزوجته ولم يكن معه غيرها (١) .
أهله : الأهل جمعه أهلون وأهال وأهلات ، والأهل من يجمعه وإياهم نسب
أو دين أو ما يجري مجراها من صناعة وبيت وبلد (٢) .
آنست : من أنس يؤانس مؤانسة ، وأنس الشيء بمعنى علمه وأحسه وأبصره
"الإيناس" (٣) .

والمعنى : أبصر موسى عليه السلام ما أزال عنه الوحشة والنوس (٤) ... (*) .
ناراً : اللهب الذي يبدو للحاسة (٥) .

سأتیکم منها بخبر أو : السين التي تفيد التسوية إنما هي عدة لأهله أن يأتيهم
بالخبر وإن أبطأ ، أو كانت المسافة بعيدة . أو : أفادت بأنه بنى الرجاء على أنه
إن لم يظفر بحاجتيه جميعاً لم يعدم واحدة منهما إما هداية الطريق وإما اقتباس
النار ثقة بعادة الله أنه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده ، وما أدراه حين قال
ذلك أنه ظافر على النار بحاجتيه جميعاً وهما العزان عز الدنيا وعز الآخرة (٦) .
والخبر : واحد الأخبار وهو ما أتاك من نبأ (٧) .

بشهاب : جمعه شهب وشهبان وأشهب ، والشهاب شُعلة نار ساطعة (٨) .
قبس : من قبس يقبس قبساً فهو قابس وجمعه أقباس والمعنى شُعلة مقبسة
من النار (٩) .

(١) الكشاف ، ج ٣ ، ص ١٣٧ ، وانظر الدر المنثور ، ج ٥ ، ص ٤١٩ .

(٢) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٢٥ .

(٣) لسان العرب ، ج ٤ ، ص ٢٢٧ .

(*) النوس : الاضطراب ، المعجم العربي الأساسي ، ص ١٢٤١ .

(٤) انظر نظم الدرر ، ج ٥ ، ص ٤١٠ .

(٥) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٥٣٠ .

(٦) انظر الكشاف ، ج ٣ ، ص ١٣٧ .

(٧) لسان العرب ، ج ٤ ، ص ٢٢٧ .

(٨) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٠٩ .

(٩) انظر نفس المصدر ، ج ٦ ، ص ١٦٧ ، الصاوي على الجلالين ، ج ٣ ، ص ١٥٥ .

لعلكم تصطلون : لعل تفيد الرجاء بمعنى لكي (١) .

تصطلون : من اصطلى يصطلي اصطلاءً فهو مُصطل ، والصلاء هي النار التي يستندفاً بوهج نارها (٢) .

والمعنى : أبصرت ما نهتدي به في هذا الظلام حيث سأتي لكم منها بشعلة ملتهبة من نار ساطعة لنستدفيء من البرد .

فلما جاءها : أي فلما جاء موسى عليه السلام إلى النار جرياً على تسمية النور ناراً بحسب ما لاح لموسى عليه السلام .

نُودي : ... بهذا النداء للمجهول - وهو معلوم - ولكنه التوقيير والإجلال والتعظيم للمنادي العظيم ، إنه نداء تتصل به العوالم والأفلاك ويخشع له الوجود كله ، ويرتفع فيه الإنسان الفاني الضعيف إلى مقام المناجاة بفضل من الله (٣) .

﴿ **بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا** ﴾ :

بورك : أي بارك الله .

اختلف العلماء في المراد بـ (مَنْ) إلى أقوال منها : هو موسى - عليه السلام - فإنه لما حل في موضع النار صار الموضع محيطاً به ، فتلك الإحاطة تشبه الظرف بالمظروف فعبر عنه بـ (من في النار) وهو موسى نفسه (٤) .

وقال آخرون : (مَنْ فِي النَّارِ) من الملائكة و(من حولها) هو موسى عليه السلام (٥) .

وقال آخرون : (من في النار) هو نور الرحمن ، والنور هو الله (٦) .

وقال آخرون : "من في النار" هو موسى - عليه السلام - والبقعة المباركة هي المذكورة في قوله تعالى : ﴿ **نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي**

(١) انظر فتح القدير ، ج ٤ ، ص ١٥٧ .

(٢) انظر المعجم العربي الأساسي ، ص .

(٣) انظر في ظلال القرآن ، ج ٥ ، ص ٢٦٢٩ .

(٤) انظر التحرير والتوير ، ج ١٩ ، ص ٢٢٦ .

(٥) انظر في ظلال القرآن ، ج ٥ ، ص ٢٦٢٩ .

(٦) انظر جامع البيان ، ج ١١ ، ص ١٦٤ .

البُقْعَةُ الْمُبَارَكَةُ ﴿ (القصص: ٣٠) (١) .

وقال آخرون : (من في النار) هو موسى - عليه السلام - لقربه منها
(من حولها) الملائكة ، وهذا أقرب لأن القريب من الشيء قد يقال إنه فيه (٢) .
قال الزمخشري : والظاهر أنه عام في كل من كان في تلك الأرض وفي
ذلك الوادي المبارك وحواليها من أرض الشام ، ولقد جعل الله أرض الشام
بالبركات موسومة ، فهي مبعث الأنبياء - صلوات الله عليهم - ومهبط الوحي
إليهم وكفاتهم أحياء وأمواتا (٣) .

ويرى الباحث أنه لا مانع من أن يكون المقصود بـ(من في النار) هو
موسى - عليه السلام - والبُقْعَةُ الْمُبَارَكَةُ والملائكة المحيطة به ونور الله الذي
أنار المكان أو جبريل - عليه السلام - الذي أرسل إليه بما نودي به والملائكة
الذين وكل إليهم إنارة المكان وتقديسه إن كان النداء بغير واسطة جبريل ، بل
كان من لدن الله تعالى ، فهذا التبريك تبريك ذوات لا تبريك مكان بدليل ذكر مَنْ
الموصولة في الموضعين ، وهو تبريك الاصطفاء الإلهي بالكرامة .

وقيل : "أن بورك من في النار ومن حولها" تحية من الله تعالى إلى
موسى عليه السلام كما كانت تحية الملائكة لإبراهيم قال تعالى : ﴿ رَحْمَةُ اللَّهِ
وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ (هود: ٧٣) (٤) .

وسبحان الله رب العالمين : هي من جملة ما نُودي به موسى - عليه السلام -
ومعناه تنزهه الله تعالى عما لا يليق بألوهيته من أحوال المحدثات ليعلم موسى
أمرين :

أحدهما : أن النداء وحي من الله تعالى .

والثاني : أن الله منزّه عما يخطر بالبال أنه في ذلك المكان .

(١) انظر التفسير المنير ، ج١٩ ، ص ٢٦٢ .

(٢) التفسير الكبير للرازي ، ج٢٤ ، ص ١٨٢

(٣) الكشاف ، ج٣ ، ص ١٣٧ .

(٤) انظر التحرير والتنوير ، ج١٩ ، ص ٢٢٦-٢٢٧ .

ويجوز أن يكون (سبحان الله) مستعملاً للتعجب من ذلك المشهد وأنه أمر عظيم من الله لتتزيهه .

رب العالمين : إرداف اسم الجلالة بوصف "رب العالمين" فيه معنى التعليل للتتزيه عن شئون المحدثات لأنه رب العالمين فلا يشبه شأنه تعالى شئونهم (١) .

يا موسى : الياء أداة نداء ، وموسى هو ابن عمران عليه السلام .

إنه : ضمير الشأن وجملة (أنا الله العزيز الحكيم) خبر ضمير الشأن .
والمقصود : إعلامه بأن أمراً مهماً يجب علمه وهو أن الله عزيز حكيم ، أي لا يغلبه شيء ولا يستصعب عليه تكوين ، وفي تقديم هذا بين يدي ما سيلقى من الأمر لرباطة جأش موسى عليه السلام .

العزيز : جمعه أعرزة وأعزاء وعزاز بمعنى حبيب (٢) .

قال الراغب : العزيز الذي يُقهر ولا يُقهر (٣) .

حكيم : من أسماء الله الحسنى وجمعه حكماء وهو من تصدر أعماله وأقواله عن رؤية ورأي سليم (٤) .

قال الرازي : (العزيز الحكيم) صفتان للتعيين وهذا تمهيد لما أراد أن

يظهره على يد موسى عليه السلام من المعجزات كقلب العصا حية وغيره (٥) .

وألقى : من ألقى يُلقى إلقاء فهو مُلق والمعنى طَرَحَهُ (٦) .

عصاك : أصله من عصو بالواو لقولهم في تثنيته عَصَوَان وفي جمعه عَصِيَّ (٧) .

تهتز : من هَزَّ والهَزُّ التحريك الشديد والاضطراب (٨) .

(١) انظر التحرير والتنوير ، ج١٩ ، ص ٢٢٧ .

(٢) المعجم العربي الأساسي ، ص ١٣٨ .

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٣٤٥ .

(٤) المعجم العربي الأساسي ، ص ٣٤٢ .

(٥) التفسير الكبير ، ج٢٤ ، ص ١٨٢ .

(٦) المعجم العربي الأساسي ، ص ١٠٩٨ .

(٧) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٣٤٩ .

(٨) المصدر السابق ، ص ٥٤٠ .

"وألق عصاك فلما رآها تهتز" : في الكلام محذوف ترك ذكره استغناء بما ذكر عما حُذِف وهو فألقاها فصارت حية تهتز (١) .

جان : الجانُّ أبو الجن : خُلِق من نار ثم خلق منه نسله ، والجان والجن هو اسم جمع ، وهو ضروب من الحيات أكحل العينين يضرب إلى الصفرة لا يؤذي وهو كثير في بيوت الناس ، والجمع جنان وهي الحية الخفيفة الصغيرة الجسم .

والجان هو الشيطان ، وكان أهل الجاهلية يسمون الملائكة عليهم السلام جناً لاستنثارهم عن العيون (٢) .

وأما تشبيه العصا بالثعبان في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ فذلك لضخامة حجمها (٣) .

وَلَى : يُؤَلَّى تولية فهو مُؤَلٌّ والمعنى أدبر وهرب (٤) .
مُدْبِرًا : من أدبر يُدبر إدباراً ، والمعنى : ذهب وولى إلى جهة الخلف خوفاً (٥) .
ولم يُعقب : والتعقب الرجوع بعد الانصراف وهو من العقب لأنه رجوع إلى جهة العقب ، أي الخلف ، ولم يعقب : تأكيد لشدة التولية .

وكان ذلك التولي من موسى عليه السلام لتغلب القوة الواهمة التي في جبلة الإنسان على قوة العقل الباعث على التأمل ، والقوة الواهمة تزول بمحاربة العقل للوهم (٦) .

وقوله : "يا موسى لا تخف" : مقول لقول محذوف ، أي قلنا له لا تخف ، أي لا يستمر الخوف عليك لأن خوفه قد حصل وهو خوف رعب فقط .

(١) انظر جامع البيان ، ج ١١ ، ص ١٦٥ .

(٢) انظر لسان العرب ، ج ١٣ ، ص ٩٧ ، فتح القدير ، ج ٤ ، ص ١٥٨ .

(٣) انظر التحرير والتنوير ، ج ١٩ ، ص ٢٢٨ .

(٤) لسان العرب ، ج ١٥ ، ص ٤١٥ .

(٥) انظر المعجم العربي الأساسي ، ص ٤٣٧ ، والتحرير والتنوير ، ج ١٩ ، ص ٢٢٨ .

(٦) انظر التحرير والتنوير ، ج ١٩ ، ص ٢٢٨ .

لا يخاف : من خاف يخاف خوفاً ومخافة وخيفة فهو خائف والشئ مخوف .
والمعنى : لما شعر موسى بنوع من الاضطراب بسبب ما رأى من انقلاب العصا
حية جاء النهي عن الخوف من انتفاء موجبه ، وهذا كناية عن تشريفه بمرتبة
الرسالة إذ عُلل بأن المرسلين لا يخافون لدى الله تعالى (١) .
قال الراغب : يُضاد الخوف الأمن ويستعمل في الأمور الدنيوية
والأخروية (٢) .

لديّ : أي لا يخاف في حضرتي الرسل حين تلقى عليهم رسالتي وحقيقة لدى
مستحيلة على الله لأن حقيقتها المكان (٣) .
لديّ : أي عندي (٤) .

المرسلون : من رسول وجمعه رُسل ، والرسول من يبعثه الله بشرع يعمل به
ويبلغه ، والرسول بمعنى الرسالة يؤنث ويذكر والجمع رُسل وأرسل
ورسلاء (٥) . والمعنى : لما تشوفت النفس إلى ما قيل له عند إلقائه العصا
وتحولها إلى حية تسعى أجيب بأنه قيل له يا موسى لا تخف ثم عُلل هذا النهي
بقوله مبشراً له لا يخاف لدي المرسلون (٦) .

إلا : بمعنى لكن ، فهو استثناء منقطع ، "أي لكن من ظلم من غيرهم لأن الأنبياء
لا يظلمون أو لكن من ظلم منهم ، أي من زل من المرسلين فجاء غير ما أذنت له
مما يجوز على الأنبياء كما فرط من آدم ويونس وداود وسليمان عليهم السلام" (٧) .
أي صدر منه اعتداء بفعل ما لا يفعله مثله في متعارف شرائع البشر
المتقرر أنها عدل ، بأن ارتكب ما يخالف المتقرر بين أهل الاستقامة أنه عدل

(١) انظر المعجم العربي الأساسي ، ص ٤٢٨ ، والتحرير والتنوير ، ج ١٩ ، ص ٢٢٨-٢٢٩ .

(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ١٦١ .

(٣) انظر التحرير والتنوير ، ج ١٩ ، ص ٢٢٩ .

(٤) فتح القدير ، ج ٤ ، ص ١٥٨ ، التفسير المنير ، ج ١٩ ، ص ٢٦٢ .

(٥) المعجم العربي الأساسي ، ص ٥٢١ .

(٦) انظر نظم الدرر ، ج ٥ ، ص ٤١٢ .

(٧) انظر تفسير النسفي ، ج ٣ ، ص ٢٠٣ ، والكشاف ، ج ٣ ، ص ١٣٨ .

- قبل أن يكون الرسول متعبداً بشرع - مثل اعتداء موسى على القبطي بالقتل دون معرفة المحق في تلك القضية ، فذلك الذي ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء ، أي تاب عن فعله وأصلح حاله يغفر الله له .

والمقصود من هذا الاستثناء على هذا الوجه تسكين خاطر موسى عليه السلام وتبشيريه بأن الله غفر له ما كان فرط فيه ، وأنه قبل توبته مما قاله يوم الاعتداء ، قال تعالى : ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾ (القصص: ١٥-١٦) فأفرغ هذا التطمين لموسى في قالب العموم تعميماً للفائدة (١) .

مَنْ : تصدق على كل واحد ظلم ثم تاب ، ولا مانع أن تكون صادقة على موسى عليه السلام .

ظَلَمَ : يظلم ظلماً فهو ظالم ، والمعنى : جاوز الحق وعكسه عدل (٢) .

بَدَّلَ : الإبدال والتبديل والاستبدال بمعنى جعل شيء مكان آخر (٣) .

حُسْنًا : وهي عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه سواء من جهة العقل أو الحس أو الهوى (٤) .

سوء : السوء كل ما يغم الإنسان من الأمور الدنيوية والأخروية ومن الأحوال النفسية والبدنية والخارجة من فوات مال أو جاه أو فقد حميم (٥) .

غفور : من أسماء الله الحسنى ، وهو من غفر يغفر غفراناً فهو غافر ، أي غافر له ذنبه وخطيئته والجمع غفورون ، أي كثيرو الغفران (٦) .

رحيم : تجمع على رحماء ، أي كثير الرحمة (٧) . والمعنى : أستر عليه وأغفر له وأرحمه بقبول التوبة .

(١) انظر التحرير والتنوير ، ج ١٩ ، ص ٢٢٩ ، والتفسير المنير ، ج ١٩ ، ص ٢٦٢ .

(٢) المعجم العربي الأساسي ، ص ٨١٠ .

(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم ، ص ٣٦ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١١٨ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٢٥٢ .

(٦) المعجم العربي الأساسي ، ص ٨٩٧ .

(٧) المصدر السابق ، ص ٥١٢ .

أدخل : من دخل يدخلُ دخولاً ، نقيض الخروج (١) .

يدك : يدٌ مؤنثةٌ جمعها أيدٌ وأياد ، أي عضو من الجسد وهو المنكب إلى أطراف الأصابع (٢) .

جيبك : جمعها جيوب ، وهو ما يُدخل منه الرأس عند لبسه ، وما توضع فيه الدراهم وغيرها (٣) .

تخرج : أي تخرج بخلاف لونها من الأدمة ، أي الجلد (٤) .

بيضاء : البياض ضد السواد ، يكون ذلك في الحيوان والنبات وغير ذلك (٥) .

في تسع آيات : أي تلك آية من تسع آيات معجزات دالة على صدق موسى عليه السلام إلى فرعون .

والتسع آيات هي : فلق البحر ، والطوفان ، والجراد ، والقُمَّل ، والضفادع ، والدم والطمسة* (٦) ، وجذب واديهم ، ونقصان مزارعهم ، ومن عد العصا واليد من التسع جعل الأخيرين واحداً ، ولم يعد الفلق منها ؛ لأنه لم يبعث به إلى فرعون وقومه (٦) .

ومن اعتبر في قوله (في تسع آيات) بمعنى مع ، وعد العصا واليد غير التسع ، وتكون إحدى عشرة آية هي : اليد والعصا والفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والجذب في بواديهم والنقصان في مزارعهم (٧) .

(١) لسان العرب ، ج ١١ ، ص ٢٣٩ .

(٢) المعجم العربي الأساسي ، ص ١٣٤١ .

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ١٠٢ .

(٤) التفسير المنير ، ج ١٩ ، ص ٢٦٢ .

(٥) لسان العرب ، ج ٧ ، ص ١٢٢ .

(*) الطمس : معناه محاه وأزاله ، أي محق أموالهم ، المعجم العربي الأساسي ، ص ٧٩٩ .

(٦) انظر التفسير المنير ، ج ١٩ ، ص ٢٦٢ .

(٧) انظر الكشاف ، ج ٣ ، ص ١٣٨ .

ما يراه الباحث :

إنها تسع آيات ، وهذا ما يوضحه قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ (الإسراء: ١٠١) .

والمعنى : أدخل يدك في جيبك ، فإذا أدخلتها وأخرجتها خرجت بيضاء ساطعة كأنها قطعة قمر ، لها لمعان تتلألاً كالبرق الخاطف لا من مرض كبرص وغيره ، فالمعجزة الأولى كانت بتغيير ما في يده وقلبها من جماد إلى حيوان ، والثانية بتغيير يده نفسها وجعلها ذات أوصاف نورانية ، وهاتان المعجزتان من جملة تسع آيات أُويدك بها وأجعلها برهاناً لك ومرسلاً بها إلى فرعون وقومه^(١).
قوم : جمعها أقوام ، أي جماعة من الناس تربطهم وحدة اللغة والثقافة والمصالح المشتركة^(٢) .

فرعون : من فرعن بمعنى الكبر والتجبر ، وهو لقب الوليد بن مصعب ملك مصر^(٣) .

فاسقين : من فسق فلان ، أي خرج عن حَجْر الشرع وهو أعم من الكفر . والفسق يقع بالقليل من الذنوب والكثير ، وأكثر ما يقال الفاسق لمن التزم حكم الشرع وأقر به ثم أخلّ بجميع أحكامه أو ببعضه^(٤) .

جاءتهم : جاء تستعمل في الأعيان والمعاني ولما كان مجيئه بذاته وبأمره ، ولمن قصد مكاناً أو عملاً أو زماناً ، والمعنى : جاءتهم آياتنا التي على يد موسى عليه السلام^(٥) .

(١) انظر التفسير المنير ، ج١٩ ، ص ٢٦٦ .

(٢) المعجم العربي الأساسي ، ص ١٠١٦ .

(٣) لسان العرب ، ج١٣ ، ص ٣٢٣ .

(٤) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٣٩٤ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١٠٢ .

مبصرة : من أبصر يُبصرُ إيصاراً ، أي واضحة بينة كأنها لفرط وضوحها تبصر نفسها (١) .

سِحْرٌ : جمعه أسحار وهي كل أمر يخفي سببه ويتخيل على غير حقيقته (٢) .
وجحدوا بها : أي كذبوا بها ، بالآيات التسع (٣) .

من جحد يجحد جحداً وجحوداً ، أي أنكره مع علمه به (٤) .

استيقنتها : من استيقن يستيقن استيقاناً ، والمعنى علمه وتحققه (٥) . واليقين من صفة العلم فوق المعرفة والدراية ، والمعنى يكون الفهم مع ثبات الحكم (٦) .

أنفسهم : من نفس ، والجمع نفوس وأنفس ، وفائدة ذكر الأنفس أنهم جحدوها بألسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمايرهم والاستيقان أبلغ من الإيقان (٧) .

وعُلوا : من علا يعلو علواً وهو عال ، والعلو هو الارتفاع ويكون في المحمود كطلب العلو المحمود ، وخاصة بالتضحية والجهاد وغيره ، ويكون مذموماً كما في قوله : "واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً" (٨) .

أما قوله : "ظلماً وعلواً" : فأى ظلم أفحش من ظلم من استيقن أنها آيات بينة من عند الله تعالى ثم كابر بتسميتها سحراً بيناً (٩) .

فانظر : أي تفكر يا محمد ﷺ في ذلك فإن فيه معتبراً للمعتبرين .

عاقبة : جمعها عواقب ، وهو آخر كل شيء وخاتمته ، والعاقبة تستخدم في الثواب كما في قوله تعالى : ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (الأعراف: ١٢٨) ، وفي العقوبة ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا ... ﴾ (الروم: ١٠) (١٠) .

(١) فتح القدير ، ج ٤ ، ص ١٥٩ ، والمعجم العربي الأساسي ، ص ١٥٨ .

(٢) المعجم العربي الأساسي ، ص ٢٣٠ .

(٣) جامع البيان ، ج ١١ ، ص ١٧٠ .

(٤) المعجم العربي الأساسي ، ص ٢٣٠ .

(٥) المعجم العربي الأساسي ، ص ١٣٤٤ .

(٦) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٥٧٧ .

(٧) التفسير الكبير ، ج ٢٤ ، ص ١٨٤ ، والمعجم العربي الأساسي ، ص ١٢١٦ .

(٨) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٣٥٨ .

(٩) التفسير الكبير ، ج ٢٤ ، ص ١٨٤ ، والكشاف ، ج ٣ ، ص ١٣٩ .

(١٠) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٣٥٢ .

المفسدين : من فسد فساداً وفسوداً وأفسدة ، والفساد : خروج الشيء عن الاعتدال قليلاً كان الخروج أو كثيراً ويضاده الصلاح ويستخدم في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة (١) .

لطيفة (١) :

قال بعض الحكماء : الظلم ثلاثة :

الأول : بين الإنسان وخالقه - الله - وأعظمه الكفر والشرك ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ نَظْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (لقمان: ١٣) ، وإياه قصد بقوله تعالى : ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (لقمان: ١٦) .

الثاني : ظلم بين الإنسان والناس وإياه قصد بقوله تعالى : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (الشورى: ٤٠) .
الثالث : ظلم بينه وبين نفسه وإياه قصد بقوله : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾ (فاطر: ٣٢) ، وقوله تعالى : ﴿ ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾ (النمل: ٤٤) ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ (البقرة: ٢٣١) .

هذه الثلاثة في الحقيقة ظلم للنفس ، فإن الإنسان أول ما يهيم بالظلم فقد ظلم نفسه ، قال تعالى : ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (النحل: ٣٣) (٢) .

لطيفة (٢) :

قال تعالى : ﴿ يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ ﴾ (النمل: ٩) .

قال الرازي : فإن قيل هذا النداء يجوز أن يكون من عند الله تعالى ،

فكيف علم موسى عليه السلام أنه من الله ؟

* لأهل السنة في معرفة ذلك طريقان :

الأول : أنه سمع الكلام المنزه عن مشابهة الحروف والأصوات فعلم بالضرورة أنه صفة الله تعالى .

(١) المصدر السابق ، ص ٣٩٣ .

(٢) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٣٢٦ .

الثاني : أن النداء اقترن به معجز دل على ذلك ، ف قيل إن النار كانت مشتعلة في شجرة خضراء لم تحترق فصار ذلك كالمعجز (١) .

وكذلك التصريح الصريح من الله ﴿ يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ أي الذي يخاطبك ويناجيك هو الله ربك الذي عز كل شيء وقهره وغلبه ، والحكيم في أقواله وأفعاله (٢) .

البلاغة :

* إيجاز الحذف ﴿ وَأَلْقَ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ ﴾ حذفت جملة فألقاها فانقلبت إلى حية وذلك لدلالة السياق عليه (٣) .

* ﴿ كَأَنَّهَا جَانٌ ﴾ تشبيه مرسل مجمل ، ذكرت أداة التشبيه وحذف وجه الشبه فصار مجملاً .

* الطباق في قوله تعالى : ﴿ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَىٰ مُدَبِّرًا وَكَمْ يُعَقِّبُ ﴾ (٤) .

الاستعارة في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً ﴾ استعار لفظ الإبصار للوضوح والبيان لأنه بالعينين يبصر الإنسان الأشياء (٥) .

﴿ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ ﴾ : مقول قول محذوف ، أي قلنا له يا موسى لا تخف .
"بدل" يقتضي شيئين ، مأخوذاً ومُعطى :

فالأول كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ﴾ أي لا تأخذوا الخبيث بالطيب .

والثاني معطى ﴿ فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ أي يعطيهم بدل سيئاتهم حسنات (١) .

(١) انظر التفسير الكبير ، ج٢٤ ، ص ١٨٣ .

(٢) انظر التفسير المنير ، ج١٩ ، ص ٢٦٧ .

(٣) صفوة التفاسير ، ج٢ ، ص ٤٠٥ ، والتفسير المنير ، ج١٩ ، ص ٢٦١ .

(٤) صفوة التفاسير ، ج٢ ، ص ٤٠٥ .

(٥) التفسير المنير ، ج١٩ ، ص ٢٦١ .

تصطلون : جاءت بصيغة المضارع ، رجاء استمرار التدفئة المخلصة من البرد الشديد (٢) .

جاءت الألفاظ بأسلوب الجمع في قوله تعالى : ﴿ سَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ مراعاة لكلمة "أهله" والتي عنى بها الزوجة وابنه الصغير وخادمه (٣) .

الإعراب :

﴿ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾ (النمل: ١٠) .

لا تخف : الجملة الفعلية في محل نصب مفعول به لفعل محذوف تقديره قلنا لا تخف .

لا : أداة نهي جازمة ، تخف : فعل مضارع مجزوم بلا ، وعلامة جزمه السكون ، الفاعل ضمير مستتر تقديره "أنت" .

إني لا يخاف : إن حرف مشبه للفعل ، والياء ضمير متصل في محل نصب اسم "إن" .

لا : نافية لا عمل لها ، ويخاف : فعل مضارع مرفوع بالضمة ، والجملة الفعلية يخاف مع الفاعل في محل رفع خبر إن .

لدي المرسلون : لدي ظرف مكان بمعنى "عندي" مبني على السكون في محل نصب متعلق بيخاف ، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة .

المرسلون : فاعل مرفوع بالواو لأنه جمع مذكر سالم (٤) .

القرارات :

قوله تعالى : ﴿ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ (النمل: ٧) .

بشهاب قبس : قرأ عاصم وحمزة والكسائي منوناً ، جعلوا القبس صفة للشهاب وتأويله "بشهاب مقتبس" .

(١) انظر التحرير والتوير ، ج١٩ ، ص ٢٣١ .

(٢) انظر التفسير المنير ، ج١٩ ، ص ٢٦٠ .

(٣) انظر الصاوي على الجلالين ، ج٣ ، ص ١٥٥ .

(٤) انظر الإعراب المفصل ، ج٨ ، ص ٢٧٤ .

بشهابِ قيس : قرأ الباقر مضافاً ، فيكون على ضربين :
الأول : بشهابِ قيس ، أي شعلة نار .

الثاني : الشهاب هو القيس فيضاف إلى نفسه لما اختلف لفظاه ^(١) .
قوله تعالى : ﴿ **وَلِيّ مُدْبِرًا** ﴾ أعال حمزة والكسائي وخلف .
بدل حسناً : قرأ آخر بفتح الحاء والسين ^(٢) .

المعنى الإجمالي :

بعدما بين الحق جل جلاله ، أن القرآن المنزل على محمد ﷺ هو من الله الحكيم العليم ، ومن آثار حكمه وعلمه قصة موسى عليه السلام كيف اصطفاه الله وكلمه ونجاه وأعطاه من الآيات العظيمة الباهرة ، والأدلة القاهرة ، وابتعثه إلى فرعون وملئه فجدوا بها وكفروا واستكبروا عن اتباعه والانقياد له .

قال تعالى : ﴿ **إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنستُ نارا سَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ** ﴾ (النمل:٧) .

أي اذكر أيها الرسول ﷺ قصة موسى حين سار بأهله ، أي زوجته من مدينة مدين إلى مصر وذلك بعد وفائه بعقده وعهده مع الرجل الصالح حيث وفي بآتم الأجلين ، فضل الطريق في ليل مظلم ، فرأى من بعيد نارا تتأجج ، فقال لأهله مستبشراً بمعرفة الطريق إنني أبصرت نارا حسبما لاح له أنها نار ، ساتيكم منها بخبر عن الطريق أو آتيكم بشعلة نار تستدفنون بها في هذه الليلة الباردة ، فرجع منها بخبر عظيم هو النبوة ، واقتبس منها نورا عظيماً لا نار فيه هو نور الرسالة ^(٣) .

قال تعالى : ﴿ **فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ (النمل:٨) .

أي فلما وصلها ، ورأى منظرها هائلاً حيث تضطرم النار في شجرة خضراء ، حيث تزداد النار توقداً وتزداد الشجرة خضرة ونضارة ونورها متصل

(١) حجة القراءات لابن زنجلة ، ص ٥٢٢-٥٢٣ .

(٢) انظر إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة ، ج ٢ ، ص ٣٢٣-٣٢٤ .

(٣) انظر تفسير المراعي ، ج ١٩ ، ص ١٢٢ ، والتفسير المنير ، ج ١٩ ، ص ٢٦٢ .

بعنان السماء ، إنه نور رب العالمين ، وقف موسى عليه السلام متعجباً مما رأى ، عندها نودي عليه السلام من قبل الله تعالى أن بورك من في النار ومن حولها ، أي تبارك من في النور وهو موسى عليه السلام ومن حولها وهم الملائكة الكرام ، والمكان الذي هو البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى : ﴿ نُوْدِيْ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ ﴾ (القصص: ٣٠) ومضت تلك البقعة في سجل الوجود مباركة مقدسة بتجلي الله عليها وإذنه لها بالبركة الكبرى التي تم فيها اصطفاء موسى عليه السلام والتحية التي تلقاها من الله تعالى ، المنزه عما لا يليق بجلاله وكبريائه من أحوال المحدثات ، وأعلن الحق جل جلاله ربوبيته للعالمين كاشفاً لعبده موسى أن الذي يناديه هو الله رب العالمين (١) .

ثم صرح الله تعالى بإظهار كلامه فقال تعالى : ﴿ يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ أي يا موسى إن الذي يخاطبك ويناجيك هو الله ربك الذي عز كل شيء ، وقهره وغلبه ، الحكيم في أقواله وتدبيره في خلقه (٢) .

وتقديم هذا بين يدي ما سيلقى إليه من الأمر لإحداث رباطة جأش موسى عليه السلام وليعلم أنه خلعت عليه النبوة إذ أُلقي إليه الوحي ، ويعلم أنه سيتعرض إلى أذى وتألب عليه وذلك لكونه يصير رسولاً ، وأن الله يؤيده وينصره على كل قوي (٣) ، ثم أراه قدرته وأيده بالمعجزات .

المعجزة الأولى :

تعريف المعجزة : هي أمر خارق للعادة يُظهره الله على يد مدعي النبوة على وفق مراده ، تصديقاً له في دعواه مقروناً بالتحدي مع عدم المعارضة ، وذلك في زمن التكليف (٤) ، فشرط المعجزة حتى تتحقق أن تكون من فعل الله تبارك

(١) انظر التفسير الكبير ، ج٢٤ ، ص ١٨٣ ، التفسير المنير ، ج١٩ ، ص ٢٦٣-٢٦٤ ، ونظم الدرر ج٥ ، ص ٤١٠ ، والتحرير والتنوير ، ج١٩ ، ص ٢٢٦ .

(٢) انظر التفسير المنير ، ج١٩ ، ص ٢٦٥ ، وجامع البيان ، ج١١ ، ص ١٦٥ .

(٣) انظر التحرير والتنوير ، ج١٩ ، ص ٢٢٧ .

(٤) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، ص ٦ .

وتعالى ، خارقة للعادة وخالية من المعارضة وعلى يد مدعي النبوة وموافقة لما يدعيه النبي ﷺ في زمن التكليف ، ومن حكمة الله أن تكون المعجزة منسجمة مع أحوال الناس في تفكيرهم وطبيعة بيئتهم .

فمعجزة موسى عليه السلام العصا الجافة التي ألقاها باسم الله فإذا هي حية تسعى من حيث الظاهر ، وكانت الأمة التي تحداها موسى عليه السلام قد تفوقت في السحر .

وكذلك معجزة عيسى عليه السلام منسجمة مع البيئة المحيطة حيث كان زمنه زمناً طغت عليه المادة وبخاصة على بني إسرائيل حيث قطعوا كل صلة بينهم وبين شريعة موسى عليه السلام .

أما معجزة محمد ﷺ فهي القرآن الكريم الذي كان على أعلى درجات الفصاحة والبلاغة لأن القوم امتازوا بالبلاغة والفصاحة ، لذا كانت معجزة النبي ﷺ معجزة عقلية باقية خالدة على مر السنين والأيام ، فالرسالة بقاؤها ودوامها يتطلب أن تكون معجزة عقلية تامة الهداية في جميع المجالات ولكافة الأجناس (١) .

فإعجاز القرآن معناه أن يعجز البشر أن يأتوا بمثله وقد كان (٢) .
قال تعالى : ﴿ وَأَلْقَ عَصَاكَ فَلَمَّا رآهَا تهتت كأنها جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ (النمل: ١٠) .

أمر الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام بإلقاء عصاه من يده فلما ألقاها انقلبت حية عظيمة هائلة في غاية الكبر وسرعة الحركة معاً ، فولّى هارباً خوفاً منها ولم يلتفت وراءه من شدة خوفه ، فهدأ الله نفسه وأزال عنه الرعب فقال تعالى : ﴿ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾ أي لا تخف مما

(١) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، ص ١٩-٢٠ .

(٢) إتيان البرهان ، ج ١ ، ص ١٠٨-١٠٩ .

ترى ، فإنني أريد أن أصطفيك رسولاً وأجعلك نبياً وجيهاً ، ولا يخاف عندي
الرسول والأنبياء إذا أمرتهم بإظهار المعجزة (١) .

قال تعالى : ﴿ إِيَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾
(النمل: ١١) .

هذا استثناء عظيم ، وفيه بشارة عظيمة للبشر ، وذلك أن من كان على
عمل سيء ثم ألقى عنه ورجع وتاب وأناب فإن الله يتوب عليه لأنه بدل بتوبته
عملاً حسناً بعد سوء ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ
صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ (طه: ٨٢) ، وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ
يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (النساء: ١١٠) ، وحكم
الاستثناء أن يكون ما بعده بخلاف معنى ما قبله ، والمعنى : فقد آمن الله موسى
عليه السلام بوعده الغفران والرحمة ، وأدخله في عداد من لا يخاف لديه من
المرسلين ، فالخوف يقع على غير الأنبياء (٢) .

المعجزة الثانية :

قال تعالى : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾
(النمل: ١٢) .

هذه آية أخرى ودليل باهر على قدرة الله الفاعل المختار ، وصدق من
جعل له معجزة ، والمعنى : أدخل يدك في جيب قميصك فإذا أدخلتها وأخرجتها
خرجت بيضاء ساطعة كأنها قطعة لها لمعان تتلألأ كالبرق الخاطف من غير آفة
أو مرض كبرص وغيره .

فالمعجزة الأولى كانت بتغيير ما في يده وقلبها من جماد إلى حيوان ،
والمعجزة الثانية كانت بتغيير يده نفسها وجعلها ذات أوصاف نورانية (٣) .

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ، ج ٦ ، ص ٥٥ ، والتفسير المنير ، ج ١٩ ، ص ٢٦٥ .

(٢) انظر جامع البيان ، ج ١١ ، ص ١٦٧ .

(٣) انظر التفسير المنير ، ج ١٩ ، ص ٢٦٦ .

﴿ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ﴾ أي اذهب يا موسى بهاتين الآيتين في جملة تسع آيات أخرى أُويدك بهن وأجعلها برهاناً لك مرسلًا بها إلى فرعون وقومه ؛ لأنهم كانوا عصاة خارجين عن دائرة الحق بتأليه فرعون (١) .

ثم كان اللقاء مع فرعون وقومه ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ أي فلما جاءت فرعون وقومه آياتنا التسع بيّنة واضحة ظاهرة كأنها لفرط وضوحها تبصر نفسها فتهدى غيرها ، ونظراً لهذا الوضوح فيها صدقوا بها في قلوبهم وكذبوا بها في الظاهر بألسنتهم وقالوا هذا سحر واضح وأرادوا معارضته بسحرهم فغلبوا وانقلبوا صاغرين (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ أي وأنكروها وكذبوا بها في ظاهر الأمر مكابرة بالألسنة عناداً ، وتيقنوها وعلموا في أنفسهم أنها حق من عند الله ، ولكن سجيبتهم مجبولة على الظلم ، وأي ظلم أفحش من ظلم من اعتقد واستيقن أنها آيات من عند الله فأنكرها وجحد بها استكباراً عن اتباع الحق (٣) .

قال تعالى : ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ أي انظر يا محمد ﷺ كيف كان عاقبة أمر فرعون وقومه في إهلاك الله إياهم وإغراقهم عن آخرهم في صبيحة واحدة ، وإخراجهم من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ، وكذلك هي سنتي في الذين كفروا وكذبوا بآياتي ورسلي (٤) .

الدروس المستفادة :

* تكررت قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم في سور عديدة لما يأتي :

(١) انظر الكشاف ، ج ٣ ، ص ١٣٨ ، وتفسير القرآن العظيم ، ج ٦ ، ص ٥٥ .

(٢) انظر فتح القدير ، ج ٤ ، ص ١٥٩ ، والتفسير المنير ، ج ١٩ ، ص ٢٦٦-٢٦٧ وتفسير القرآن العظيم

(٣) تفسير القرآن العظيم ، ج ٦ ، ص ٥٦ .

(٤) انظر جامع البيان ، ج ١١ ، ص ١٧١ .

- أ- لتضمنها العظة والعبرة التي تتجلى في قهر الله أكبر قوة عاتية بشرية وتحطيم
جبروت سلطة ظالمة غاشمة على يد رجل أعزل من السلاح موسى وهارون
عليهما السلام ، فهما قويان بقوة الله ، وقوة الإيمان وعظمة النبوة .
- ب- القصص القرآني تسليية لقلب النبي ﷺ ودعوة إلى الصبر في مواجهة
الطغاة .
- ج- المعجزات وسائل ربانية خاصة لأبيائه لنصرتهم وتأبيدهم أمام عدوهم .
- د- الأخذ بالأسباب لبلوغ النصر .
- هـ- عصمة الأنبياء عن الصغائر والكبائر .
- و- باب التوبة مفتوح لكل التائبين المستغفرين ، فالله غفور لمن تاب رحيم
بمن أناب .
- ز- بيان عاقبة المفسدين بالهلاك ، وهذه هي سنة الله في الذين كفروا بيان أن
عاقبة الموحدين النجاة .

المبحث الثالث

قصة داود وسليمان عليهما السلام

ويشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول

نعم الله الجليلة عليهما

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ * وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ * وَحَشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدِيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ (النمل ١٥-١٩)

المناسبة :

هذه القصة الثانية بعد قصة موسى عليه السلام وإرساله إلى فرعون بالآيات التي تبين آثار حكمة الله وعلمه وقدرته التي منحها موسى عليه السلام لمواجهة فرعون وفي ذلك مثل للذين جحدوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر النعم المتوالية التي أنعمها على أوليائه وأنبيائه داود وسليمان -عليهما السلام- من صفات جميلة واضحة مبينة تبين آثار حكمته وعلمه وما جمع لهما من سعادة الدنيا والآخرة بإتيانهم النبوة والملك معاً (١) .

التحليل اللفظي :

* ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ﴾ .

تقديم ذكر داود عليه السلام ليبيّن عليه ذكر سليمان عليه السلام وما أفاض الله عليهما. علماً : أي طائفة من العلم وجمعه علوم وهي مجموعة مسائل في

(١) انظر التحرير والتنوير ج ١٩ ، ص ٢٣٣ .

موضوع معين^(١) " والعلم هنا عنى به علم الشرائع والأحكام والقضاء بين الناس ومنطق الطير وغير ذلك^(٢) ، قال القرطبي : " علماً : أي فهماً في الدين والحكم وغيرهما . وفي ذلك بيان شرف العلم وإنافة محلة وتقدم حملته وأهله وأنه من أجل النعم وأن من أوتيها فقد أوتي فضلاً على كثير من عباد الله المؤمنين " .^(٣) وقالوا :

﴿ فَضَّلْنَا ﴾ : الفاء والضاد واللام أصلٌ صحيح يدل على زيادة في شيء . أي الزيادة والخير الذي خص الله به داود وسليمان - عليهما السلام - من النبوة والعلم وتسخير الجن والإنس معاً والشياطين على من لم يؤت علماً .^(٤)

﴿ عِبَادِهِ ﴾ : عباد جمع عبد وهو الإنسان حراً كان أو رقيقاً ويؤيد ذلك قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾^(٥) .

والمعنى بعد ما أكرم الله سبحانه وتعالى دواود وسليمان عليهما السلام بالعلم والحكمة والنبوة ، وغير ذلك مما خصهما الله بعلمه حمداً الذي فضلها على كثير من عباد الله المؤمنين^(٦) .

﴿ وَوَرِثَ ﴾ : ورث يرث ورثاً وإرثاً ووارثاً فهو وارث أي صار إليه مال مورثه بعد موته^(٧) .

قال الراغب : الوراثة والإرث انتقال قُنْيَةٍ^(*) إليك من غيرك من غير عقد ولا ما يجري مجرى العقد^(٨) والمعنى ورث سليمان داود عليهما السلام أي قام

(١) انظر المعجم العربي الأساسي ، ص ٨٦١ .

(٢) التفسير المنير ج ١٩ ، ص ٢٧١ .

(٣) انظر الجامع لاحكام القرآن ج ١٣ ، ص ١٧٤ .

(٤) انظر مقاييس اللغة ج ٢ ، ص ٣٥٧ .

(٥) المعجم العربي الأساسي ، ص ٨١٥ .

(٦) انظر تفسير القرآن العظيم ج ٦ ، ص ٥٦ .

(٧) المعجم العربي الأساسي ، ص ١٣٠٠ .

(*) القنية : المال المدخر وهي من مادة قنى انظر المعجم العربي الأساسي ص ١٠١١ .

(٨) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٥٥٥ .

مقامه في النبوة والملك . وسمي ميراثاً تجوزاً فقد كان لداود تسعة عشر ولداً
فخص سليمان عليه السلام من بينهم بالنبوة والملك . فلو كان وراثه مال لكان لجميع
أولاد داود عليه السلام . ويؤيد ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها قالت : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا نُورثُ ما تركنا فهو صدقة ... " (١) .

﴿ عُلْمًا ﴾ : أي من طريق الوحي بأن الله أطلعه على فن تقاطع وتخاليف صفير
الطيور أو نعيقها من دلالة على فن إدراكها وإرادتها . وفائدة هذا العلم أن الله
جعله سبيلاً له يهتدي به إلى تعرف أحوال عالمية يسبق الطير إلى إدراكها بما
أودع فيه من القوى الكثيرة بمعرفة ما حولها من أنباء ليكون عوناً على تدبير
ملكه وسياسة أمته ، مثل استخدام نوع الهدد في إيلاج الأخبار . والاختصار على
منطق الطير إيجاز لأنه إذا علم منطق الطير وهي أبعد الحيوان عن الركون إلى
الإنسان وأسرعها نفوراً منه . وتكليمه النملة لدليل أنه علم منطق كل صنف . (٢)
﴿ مَنْطِقَ ﴾ : مصدر نطق ينطق ومنطقاً فهو ناطق أي ما تكلم بصوت وحروف
تعرف بها المعاني (٣) .

قال الراغب : النطق في التعارف : الأصوات المقطعة التي يُظهرها
اللسان وتعيها الآذان . (٤)

والمعنى عُلْمًا فهم ما يريد كلُّ إذا صوت .

﴿ وَأَوْتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ : أي تعطاه الأنبياء والملوك . وفيه التحدث بنعمة الله
ودعوة الناس إلى التصديق بالمعجزة التي هي علم الطير وغير ذلك من عظام ما
أوتيته من النعم الجلييلة الواضحة . (٥)

﴿ وَحُشِرَ ﴾ : من حشِرُ يحشُرُ حشراً . والمعنى جمع (١) .

(١) صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب قول النبي صلى الله عليه وسلم " لا نُورثُ ما تركنا فهو صدقة " ح ١ ، ص ٩٦٦
حديث رقم ١٧٥٨ .

(٢) انظر التحرير والتنوير ج ١٩ ، ص ٣٣٦-٣٣٧ .

(٣) المعجم العربي الأساسي ، ص ١٢٠٤ .

(٤) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٥١٨ .

(٥) انظر التفسير المنير ج ١٩ ، ص ٢٧١ .

﴿جُنُودُهُ﴾ : واحده جُنُدي وهم العسكر . وجنود سليمان ﷺ . الإنس وكانوا يُلونه والجن وهم بعدهم في المنزلة والطير ومنزلتها فوق رأسه .
﴿يُوزَعُونَ﴾ : من وزع يزع وزعاً فهو وازع أي بمعنى كَفَّه ومنعه وحبسه .
والوازع من يدبّر أمور الجيش ويرُد من شذ من أفراده . أي يرد أولهم آخرهم (٢) .

والمعنى جمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير حيث يكف أولهم آخرهم لئلا يتقدم أحد عن منزلته التي هي مرتبة له حيث جعل له صنف وزعه يردون أو لاها على أراها لئلا يتقدموا في المسير . (٣)

﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ﴾ حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام ويكون غاية لما قبلها والمعنى فهم يوزعون إلى حصول هذه الغاية وهو إتيانهم على واد النمل . وعدى بـ(على) لأنهم كانوا محمولين على الريح فهم مستعلون أو أنهم قطعوا الوادي وبلغوا آخره . كأنهم أرادوا أن ينزلوا عند منقطع الوادي لأنهم محمولون في الهواء لا يخاف حطمهم . (٤)

﴿وَادِ النَّمْلِ﴾ : نسب إلى النمل لكثرة ما به من النمل حتى نسب لهم .
﴿النَّمْلِ﴾ : مفرد نملة وهي حشرة خفيفة ضئيلة الجسم من رتبة غشائيات الاجنحة وتتخذ سكنها تحت الأرض وتعيش في جماعة من أفراد نوعها دائبة في عملها متعاونة فيما بينها . (٥) وهي ذات ستة أرجل تسكن في شقوق الأرض وهي أصناف متفاوتة الحجم والواحد منه نملة . سواء ذكر أو أنثى . (٦)

(١) المعجم العربي الأساسي ، ص ٣٢٠ .

(٢) انظر المعجم العربي الأساسي ، ص ١٣٠٤ .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ، ج ٦ ، ص ٥٧ .

(٤) انظر فتح القدير ، ج ٤ ، ص ١٦٢ ، الكشاف ، ج ٣ ، ص ١٤١ .

(٥) المعجم العربي الأساسي ، ص ١٣٠٤ .

(٦) انظر التحرير والتنوير ، ج ١٩ ، ص ٢٤١ .

﴿ قَالَتْ نَمَلَةٌ ﴾ : وهو جواب إذا في قوله ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ ﴾
"كأنها لما رأتهم متوجهين إلى الوادي فرت ونبهت سائر النمل منادية لها قائلة
ادخلوا مساكنكم " .

﴿ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ ﴾ : من حَطَمَ يَحْطِمُ حَطْمًا أي كسره (١) .

ولا " ناهية " تفيد التحذير وإن كانت لا نافية : الجملة واقعة جواب شرط
مقدر إن تدخلوا لا يحطمنكم .

﴿ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ : أي لا يُدركونه بالحواس (٢) من شعر يَشْعُرُ شعوراً فهو
شاعر : أي حس به وعلم .

والمعنى حتى إذا مر سليمان عليه السلام بمن معه من الجيوش والجنود على
النمل خافت سيدة النمل على النمل أن يحطمها الخيول بحوافرها فأمرتهم بالدخول
إلى مساكنهم سلامة لهم وذلك من غير قصد من جنود سليمان عليه السلام . كأنها عرفت
عصمة الأنبياء من الظلم والإيذاء (٣) .

﴿ فَتَبَسَّمَ ﴾ : التبسم هو أضعف حالات الضحك وتبسم : بمعنى تعجب .

﴿ ضاحِكًا ﴾ : الشخص الذي انفرجت شفتاه وبدت أسنانه وأحدث أصواتاً متقطعة
للتعبير عن سروره . (٤)

والمعنى أن سليمان عليه السلام تعجب من تحذير النملة واهتدائها إلى مصالح
قومها . أو سروراً بما خصه الله به من إدراك همسها وفهم غرضها .
* ﴿ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ ﴾ .

قال الرغب : ألهمني الشكر . والشكر تصور النعمة وإظهارها ، ويزاده
الكفر ، وهو نسيان النعمة وسترؤها ، والمعنى : ألهمني بكل جوارحي أن أشكر
نعمتك التي أنعمتها علي وعلى والدي وهي كثيرة (١) .

(١) المعجم العربي الأساسي ، ص ٣٢٩ ، معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ١٢٢ .

(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٢٦٩ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، ج ٦ ، ص ٥٧ .

(٤) المعجم العربي الأساسي ، ص ٧٦٤ .

﴿ نِعْمَتَكَ ﴾ : من نعمة جمعها نِعْم وأنعم أي حسن الحال والمال (٢) .
 ﴿ تَرْضَاهُ ﴾ : أي طلب رضاه والمعنى أطلب يارب منك أن ترضى عما أعمل
 وذلك تماماً للشكر واستدامة النعمة .
 * ﴿ وَأَدْخَلَنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ : أي وأدخلني الجنة مع عبادك
 وهم الأنبياء والأولياء والشهداء والصالحون .
 و(الصالحين) من صلح يصلح صلاحاً وصلاحاً أي فضل وعف (٣) .

البلاغة :

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا ﴾ : افتتاح الجملة بلام القسم وحرف التحقيق
 (قد) لتنزيل المخاطبين به منزلة المتردد في ذلك لأنهم جحدوا ؛ أي كفار قريش
 نبوءة محمد ﷺ ونبوءة داود وسليمان إذ قال كفار قريش ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا
 الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ .

(علماً) : جاءت منكرة للتعظيم لأنه علم نبوءة وحكمة .

﴿ عَلَّمْنَا ﴾ ، ﴿ وَأَوْتَيْنَا ﴾ ما يؤذن بأنه علم مفاض من عند الله . وفيه التواضع
 كأنهم جماعة علموا وأوتوا ، وإما لإظهار عظمة الملك وتهويل لأمر السلطان
 عند الرعية (٤) .

﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ فيه حسن الاعتذار والالتفات .

* قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ ﴾ ،
 فيه نداء وتنبيه بيان الملجأ والمأمن ، تخصيص سليمان ثم التعميم (٥) .

القراءات :

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٢٧٢ .

(٢) المعجم العربي الأساسي ، ص ١٢١٠ .

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٢٩٢ .

(٤) انظر التحرير والتنوير ، ج ١٩ ، ص ٢٣٤ .

(٥) انظر التفسير المنير ، ج ١٩ ، ص ٢٧١ .

قال تعالى ﴿وَادِ النَّمْلِ﴾ وقف الكسائي ويعقوب على واد بالياء [وادي] والباقون بحذفها " واد " لأنها كتبت بغير ياء على الوصل وسقطت الياء في الوصل من أجل الساكن^(١).

﴿لَا يَحِطُّنَكُمْ﴾ اختلف القراء فيها إلى :

لا يحطُّنكم : قرأ قنبل بالسكون على نون التوكيد .

لا يُحِطُّنكم : قرأ المطوعي بضم الياء وفتح الحاء وتشديد الطاء والنون .

﴿أَوْزَعِي﴾ قرأ الازرق والبري ياء أوزعني^(٢)

مسألة :

قال عثمان بن عفان "ما يزع الناسَ السلطانُ أكثر مما يزعمهم القرآن" . وقد جهل قوم المراد بهذا الكلام فظنوا أن المعنى فيه أن قدرة السلطان تردع الناس أكثر مما تردعهم حدود القرآن . وهذا جهلٌ بالله وحكمه وحكمته فإن الله ما وضع الحدود إلا لمصلحة عامة كافة قائمة بقوام الحق لا زيادة ولا نقصان معها . ولا يصلح سواها ولكن الظلمة أخلفوا بها وقصروا عنها ، وأتوا ما أتوا بغير نية فيها ولم يقصدوا وجه الله في القضاء بها فلذلك لم يرتدع الخلق بها ، ولو حكموا بالعدل وأخلصوا النية لاستقامت الأمور وصلاح الجمهور^(٣) .

لطيفة :

قال تعالى ﴿وَحَشِيرَ لِسْلِيمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ﴾ فيه بيان

للجنود وهي ثلاثة :

صنف الجن : لتوجيه القوى الخفية والتأثير في الأمور الروحية .

صنف الإنس : لتنفيذ أوامر الحاكم ومحاربة العدو وحراسة المكان .

(١) انظر حجة القراءات ، ص ٥٢٣ ، وإتحاف فضلاء البشر ، ص ٣٢٤ .

(٢) انظر وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر ، ج ٢ ، ص ٣٢٤ .

(٣) انظر أحكام القرآن ، ج ٣ ، ص ١٤٥٠-١٤٥١ .

صنف الطير : وهي من تمام الجند لتوجيه الأخبار وتلقيها وتوجيه الرسائل إلى قواده وأمرائه (١) .

الإعراب :

قوله تعالى : ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ : بمعنى لا يهلككم .

لا : واقعة في جواب الطلب - يَحْطِمَنَّكُمْ : فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به مقدم والميم للجمع .

أو : لا ناهية بدلاً من الأمر بمعنى لا تكونوا حيث أنتم فيحطمكم . ويكون الفعل المضارع مجزوماً بلا الناهية ، لا يحطمكم (٢) .

المعنى الإجمالي :

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

يخبر تعالى عما أنعم به على عبديه ونبيه داود وسليمان عليهما السلام من النعم الجزيلة والمواهب الجليلة والصفات الجميلة وما جمع لهما من سعادة الدنيا والآخرة والملك والتمكين التام في الدنيا والنبوة والرسالة في الدين فحمداً لله على ذلك وقالوا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباد الله المؤمنين فأبي أفضل مما أوتي داود وسليمان عليهما السلام ؟

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ : أي خلف سليمان أباه داود بعد موته في ميراث النبوة والعلم والملك ﴿وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مِنْ مَنَظِقِ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي قال سليمان ﷺ متحدثاً بنعمة الله عليه إن ربه علمه لغة الطير والحيوان وهذا شيء لم يعطه أحد من البشر . فالله أفهم سليمان ما يتخاطب به الطير في الهواء وما تتطرق به الحيوانات على اختلاف أصنافها . وأوتينا من كل شيء في الدين والدنيا من ملك وثروة ، وهذا من نعم الله الظاهرة التي لا تخفى على أحد . (٣)

(١) انظر التحرير والتنوير ، ج ١٩ ، ص ٢٤٠ .

(٢) انظر الإعراب المفصل ، ج ٨ ، ص ٢٨٢ ، فتح القدير ، ج ٤ ، ص ١٦٣ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، ج ٦ ، ص ٥٦-٥٧ ، التفسير المنير ، ج ١٩ ، ص ٢٧٣-٢٧٤ .

قال تعالى ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ : أي وجمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير في مسير لهم فهم يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا في جيش عظيم منظم له عرفاء من الإنس والجن والطير . أي أن لسليمان ﷺ جمع بين النبوة والسلطات كلها والملك الذي لم يكن لأحد بعده فضلاً من الله واستجابة لدعائه ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ * فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَغَوَاصٍ﴾ (ص: ٣٥-٣٧) (١) .

قال تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ .
يعني تعالى ذكره بقوله : ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ﴾ حتى إذا أتى سليمان ﷺ وجنوده على وادي النمل قالت نملة لأخواتها النمل ادخلوا مساكنكم حتى لا يحطمنكم سليمان ﷺ وجنوده وهم لا يشعرون بكم .

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدِيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾
يقول تعالى ذكره : فتبسم سليمان ضاحكاً من قول النملة التي قالت ما قالت وقال رب ألهمني أن اشكر نعمتك التي أنعمتها عليّ وعلى والدي وأن أعمل بطاعتك وما ترضاه من القول والعمل وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين الذين اخترتهم لرسالتك وانتخبتهم لوحيك وأدخلني من الجنة مداخلهم (٢) .

الدروس المستفادة :

١- نعمة العلم من أجل النعم وأشرفها وأرفعها رتبة وأن من أوتي العلم فقد أوتي فضلاً كثيراً وفضل على كثير من عباد الله المؤمنين .

(١) انظر جامع البيان ، ج ١٩ ، ص ١٧٣ ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٦ ، ص ٥٧ .

(٢) التفسير المنير ، ج ١٩ ، ص ٢٧٥ .

٢- كان إرث سليمان عليه السلام من والده عليه السلام هو النبوة والملك وليس المال وإلا لكان لجميع أولاده مثله . والمقصود أنه صار إليه ذلك بعد موت أبيه فسمي ميراثاً تجوزاً . كما قال رسول ﷺ " العلماء ورثة الأنبياء " أي وراثتهم في العلم والحكمة وفهم أمور الدين .

٣- جواز اتخاذ الإمام والحكام وزعة " أي عرفاء " يكفون الناس ويمنعونهم من تناول بعضهم على بعض ، إذ لا يمكن الحكام فعل ذلك بأنفسهم . (١)

٤- بيان عدل سليمان عليه السلام ورأفته وتدينه وفضله ، وفضل جنوده فهم لا يحطمون نملة إلا خطأ من غير قصد ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ .

٥- النهي عن قتل النمل لما يرويه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ " إن نملة قرصت نبياً من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرقت فأوحى الله تعالى إليه أفي أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح؟" وفي طريق آخر " فهلا نملة واحدة؟" (٢) .

قوله " ألا نملة واحدة " دليل على أن الذي يؤذى ويقتل فهذا في شريعة ذلك النبي . أما في شرعنا فقد جاء من حديث ابن عباس وأبي هريرة النهي عن ذلك . وقد كره الإمام مالك قتل النمل إلا أن يضر ولا يقدر على دفعه إلا بالقتل .

٦- أن النمل يسبح لله تعالى " أفي أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح " مقتضى هذا أنه تسبيح بمقال ونطق كما أخبر الله عن النمل أن لها منطقاً وفهمه سليمان عليه السلام . ولكن لا يسمعه كل أحد إلا من شاء الله . (٣)

المطلب الثاني

قصة الهدد مع سليمان عليه السلام

(١) انظر التفسير المنير ، ج١٩ ، ص٢٧٧ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب السلام باب النهي عن قتل النمل ح٢٢٤١ ، ص ١٢٣١ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، ج١٣ ، ص١٨٠-١٨٤ .

قال تعالى ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لِأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * فَكَمَثُ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تَحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ (النمل ٢٠-٢٨) .

المناسبة :

بعد بيان جنود سليمان عليه السلام التي سخرها الله له من الجن والإنس والطيور .

ذكر الله تفقد سليمان لأحد هذه الجنود وتعرف أحوالها وهو الطير فلم يجد أحد هذه الجنود وهو الهدد فلما جاء أخبره عن مملكة عظيمة تقودها امرأة وأنهم يسجدون للشمس من دون الله. فكتب لها كتاباً يدعوها إلى الله .

التحليل اللفظي :

تَفَقَّدَ : يتفقد تفقدًا ، أى طلب تعرف أحوال الطير ليطمئن على حسن سيرها (١) ، الطير : اسم جنس لكل طائر والطيور جمع طائر وهو كل ذي جناح يسبح في الهواء (٢) ﴿ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾ تعجب من عدم رؤيته ، ظناً منه أنه حاضر محجوب عنه لسائر أو غيره ولما لاح له أنه غائب قال : بل هو غائب كأنه يسأل عن صحة ما لاح له (٣)

(١) انظر المعجم العربي الأساسي ، ص ٩٤٥ ، وتفسير ابن باديس ، ص ٢٦٦ .

(٢) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٣٢٢ .

(٣) انظر التفسير المنير ، ح ١٩ ، ص ٢٨١ .

﴿ الْهُدْهُدُ ﴾ : هو طائر صغير الحجم منتن الريح ليس من كرام الطير ولا من سباعها (١) .

﴿ أُمٌ ﴾ : منقطعة لأنها لم تقع بعد همزة الاستفهام التي يطلب بها تعيين أحد الشئيين ، وأم بمعنى بل . (٢)

﴿ الْغَائِبِينَ ﴾ : من غاب يغيب غيباً وغياباً فهو غائب .

والمعنى : لما تفقد سليمان عليه السلام الطير فلم يجد الهدد علم بغيابه دون إذن .

﴿ لِأَعْذِبْنَهُ ﴾ : اللام لام التوكيد .

أعذبه : العذاب هو الإيذاء الشديد. وقد عذبه تعذيباً أى أكثر حبسه في العذاب (٣)

﴿ شَدِيداً ﴾ : أي قوياً وهي من شدّ يشدّ شدة وجمعه شداد وأشداء أي قوي.

والمعنى : لأعذبه عذاباً شديداً كنتف ريشه وإلقائه في الشمس . أوجله في قفص . (٤)

أو أفادت أن المعطوف على حصوله هو أحد الثلاثة ، فإن حصلت الحجة فلا تعذيب ولا ذبح وإذا لم تحصل الحجة فسيقتل أحدهما .

﴿ لِأَذْبَحْنَهُ ﴾ : أصل الذبح شق حلق الحيوان وقطع حلقومه . (٥)

﴿ بِسُلْطَانٍ ﴾ : أي بحجة قاطعة توضح عذره . وسميت الحجة سلطاناً لمالها من السلطة على العقل في إخضاعه . (٦)

﴿ فَمَكَثَ ﴾ : يمكث مكثاً ومكثاً ومكوثاً أي أقام بالمكان وانتظر والمعنى أقام الهدد زمناً غير بعيد حتى عاد . وقد يعود الضمير على سليمان ، أي بقي سليمان بعد التفقد والتوعد زمناً غير طويل . والأول أولى . (٧)

(١) تفسير ابن باديس ، ص ٢٦٦ .

(٢) انظر التحرير والتنوير ، ح ١٩ ، ص ٢٤٩ .

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٣٣٩ .

(٤) انظر العجم العربي الأساسي ، ص ٦٧٦ .

(٥) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ١٨٠ .

(٦) المصدر السابق ، ص ٢٤٤ .

(٧) انظر فتح القدير ، ج ٤ ، ص ١٦٤ ، والمعجم العربي الأساسي ، ص ١١٤٦ .

﴿ أَحَطُّ ﴾ : أي اطلّعت على ما لم تحط به . والاحاطة بالشيء هي العلم بالشيء من جميع جهاته وجودة جنسه وكيفيته وغرضه والمقصود به وبإيجاده وما يكون به ومنه وذلك ليس إلا الله تعالى . (١)

﴿ سَبَأٌ ﴾ : هي دولة قديمة في شرق اليمن في القرن العاشر قبل الميلاد اشتهرت تاريخياً بملكاتها " بلقيس " وسدها العظيم مأرب الذي كان قد تهدم إيداناً بأقول نجم الحضارة السبئية (٢) .

﴿ امْرَأَةٌ تَمْلِكُهُمْ ﴾ اسمها بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان . وضمير تملكهم لسبأ أو لأهلها . (٣)

﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ المراد كثرة ما أُوتيت مما يحتاج إليه الملوك من الآلة والعدّة ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ ﴾ العرش في الأصل شيء مسقف وجمعه عروش وأعراش وهو سرير الملك . (٤)

والمعنى : يقول الهدهد لسليمان عليه السلام : إني وجدت قوماً تملكهم امرأة في مدينة سبأ وأعطيت من كل شيء يحتاجه الملك ولها عرش فخم عظيم .

﴿ يَسْجُدُونَ ﴾ : من سجد يسجد سُجوداً أي خضع وانحنى والمعنى يعبدون متجاوزين عبادة الله سبحانه وتعالى . (٥)

﴿ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ﴾ : أي حُبِّ وحسن لهم إبليس عبادتهم الشمس وسجودهم لها من دون الله . والشيطان من شطن أي تباعد وقيل من شاط يشيط أي احترق غضباً فهو مخلوق من نار واختفى بقوة الغضب . (٦)

* ﴿ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ .

﴿ فَصَدَّهُمْ ﴾ : من صد يصد صدوداً وصدّاً والمعنى صرفهم ومنعهم .

(١) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ١٣٥ .

(٢) المعجم العربي الأساسي ، ص ٣٦٤ .

(٣) التفسير المنير ، ج ١٩ ، ص ٢٨٢ .

(٤) المعجم العربي الأساسي ، ص ٨٣٢ .

(٥) انظر فتح القدير ، ج ٤ ، ص ١٦٥ ، المعجم العربي الأساسي ، ص ٦٠٨ .

(٦) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٢٨٣ .

و ﴿السَّبِيلِ﴾ : يذكر ويؤنث جمعها سبل و السبيل الطريق المستقيم وهو دين الله الذي بعث به أنبياءه (١) .

والمعنى : صرفهم إبليس بتزيينه ذلك لهم عن أن يتبعوا الطريق المستقيم الذي هو دين الله تعالى الذي بعث به أنبياءه .

﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾

إلى سبيل الحق ولا يسلكونه ولكنهم في ضلالهم الذي هم فيه يترددون .

والمعنى : يقول الهدد لسليمان عليه السلام وجدت هذه الملكة وقومها يعبدون الشمس من غير الله ، وزين لهم الشيطان قبيح أعمالهم . فصاروا يرون الشيء حسناً ومنعهم الشيطان من السير لطريق الحق وعبادة الله الواحد الأحد فهم لا يهتدون إلى طريق الحق والرشاد (٢)

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾ : ألا معناه لئلا يسجدوا (٣)

﴿يُخْرِجُ الْخَبَاءَ﴾ : ما خبيء - والخبء كل ما غاب واستتر أي إن الله يعلم الغيب في السموات والأرض ويظهره كإشراق الكواكب وإنزال الأمطار وإنبات النبات وإنشاء الأشياء وإبداعها (٤) .

﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ﴾ : والخفاء ما يُستر به كالغطاء ويُقابل به الإبداء والإعلان (٥) .

﴿وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ : من أعلن يُعلن إعلاناً أي بمعنى أظهره وصرح به . (٦)

والمعنى : صدهم الشيطان وزين لهم أعمالهم لئلا يسجدوا لله الذي يظهر ما خفي في السموات كالمطر وما غاب في الأرض كالنبات والمعادن والمخلوقات . ويعلم ما يخفيه العباد وما يعلنونه من الأقوال والأفعال .

(١) لسان العرب ، ج ١١ ، ص ٣١٩ .

(٢) انظر التفسير المنير ، ج ١٩ ، ص ٢٨٤ .

(٣) جامع البيان ، ج ١٩ ، ص ١٨٢ .

(٤) لسان العرب ، ج ١ ، ص ٦٢ .

(٥) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ١٥٢ .

(٦) المعجم العربي الأساسي ، ص ٨٦٢ .

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ هو استئناف جملة ثناء مشتمل على عرش الرحمن في مقابل عرش بلقيس مع البون العظيم بينهما .

﴿الْعَرْشِ﴾ : مخلوق عظيم من عالم الغيب وهو أعظم من السموات والأرض (١)

والمعنى : الله الذي لا تصلح العبادة إلا له لا إله إلا هو لا معبود سواه فأخلصوا له العبادة ، وأفردوه بالطاعة ولا تشركوا به شيئاً لأنه رب العرش العظيم الذي كل عرش وإن عظم فدونه ، لا يشبهه عرش ملكة سبأ ولا غيره (٢) .

﴿قَالَ سَنَنْظُرُ﴾ : أي قال سليمان ﷺ للهدد : سنتعرف ما أخبرتنا به ﴿أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ أصدقت فيما أخبرتنا أم كنت من الذين اتصفوا بالكذب الذي هو إخبار عن الشيء بخلاف الواقع الذي صار خلقاً لهم . والنظر هو التأمل والتصفح وفي هذا إرشاد إلى البحث عن الأخبار والكشف عن الحقائق . (٣)

﴿أَذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا﴾ : إلى أهل سبأ بهذا الكتاب وهو " من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ : بسم الله الرحمن الرحيم ، السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين (٤) .

﴿فَأَلْقَاهُ﴾ : أي إلى بلقيس وقومها .

﴿ثُمَّ تَوَلَّى﴾ : من ولى تولى تولية ، والمعنى : انصرف أو نتح عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه .

﴿مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ : ما يردون من الجواب وماذا يقول بعضهم لبعض (٥) .

الإعراب :

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ .

(١) انظر تفسير ابن باديس ، ص ٢٧٦ .

(٢) انظر جامع البيان ، ج ١٩ ، ص ١٨٣ .

(٣) انظر فتح القدير ، ج ٤ ، ص ١٦٩ .

(٤) انظر التفسير المنير ، ج ١٩ ، ص ٢٨٢ .

(٥) انظر فتح القدير ، ج ٤ ، ص ١٧٠ .

﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا ﴾ (ألا) أصلها : أن : حرف مصدرى ونصب ، ولا نافية لا عمل لها بمعنى " لئلا " فصدّهم عن السبيل لئلا يسجدوا .

﴿ يَسْجُدُوا ﴾ فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون ، الواو ضمير متصل في محل رفع فاعل والألف فارقة . وجملة " يسجدوا " صلة " أن " لا محل لها من الإعراب .

﴿ الَّذِي يُخْرِجُ ﴾ الذي اسم موصول مبني على السكون في محل جر صفة للفظ الجلالة ﴿ يُخْرِجُ ﴾ فعل مضارع مرفوع بالضمة والفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره هو .

﴿ الْخَبَاءِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ مفعول به منصوب بـ(يخرج) وعلامة نصبه الفتحة.

﴿ فِي السَّمَاوَاتِ ﴾ جار ومجرور متعلق بالخبء أو بمعنى من السموات .

﴿ وَالْأَرْضِ ﴾ معطوفة بالواو على السموات (١)

البلاغة :

﴿ الطَّيْرَ ﴾ : اللام في الطير تفيده الجنس والهدهد أحد أفرادها .

﴿ مَا لِي لَا أَرَى الْهُدُودَ ﴾ : أسلوب استفهام يفيد التعجب . ويدل على الأدب النبوي أن سليمان عليه السلام سأل عن حاله قبل أن ينكر على غيره (٢) .

﴿ لِأَعَذِّبَنَّهُ ﴾ لأذبحنه : اللام لام توكيد تفيده القسم . والنون فيها كذلك للتوكيد .

(أو) تفيده التخيير لأحد الأشياء إما العذاب أو الذبح أو الحجة وتقديم ﴿ لِأَعَذِّبَنَّهُ ﴾ على ﴿ أَوْ لِأَذْبَحَنَّهُ ﴾ لأنه أشد وأوقع في النفس (٣) .

﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ الكلام فيه إيجاز بالحذف والتقدير أي فمكث زماناً غير بعيد .

﴿ فَقَالَ أَحَطَّتْ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ﴾ في الكلام إيجاز بالحذف إذ المعنى فجاء الهدهد

فسأله سليمان عليه السلام عن سبب مغيبه فقال أحطت بما لم تحط به . أي إنني اطلعت

(١) انظر الإعراب المفصل لكتاب الله المرثل ، ج ٨ ، ص ٢٨٩-٢٩٠ .

(٢) انظر التحرير والتنوير ، ج ١٩ ، ص ٢٤٦-٢٤٧ .

(٣) انظر التحرير والتنوير ، ج ١٩ ، ص ٢٤٦-٢٤٧ .

على شيء لم تطلع أنت عليه وعرفته من جميع نواحيه وهو عبادتهم للشمس من دون الله (١) .

﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ بينهما طباق السلب .

﴿امْرَأَةٌ﴾ جاء بالنكرة للتعجب من جنسها ، فملكة القوم امرأة .

[يُخرج - يعلم - يخفون - يعانون] أفعال مضارعه وهي تدل على كمال قدرة الله المتجددة والمستمرة على مر الزمان والأيام (٢) .

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ اشتملت هذه الآية على وحدانية الله في الألوهية وفي الربوبية بانفراده في الخلق والملك والتصرف بهذا المخلوق العظيم . (٣)

﴿الْعَرْشِ﴾ : جاءت معرفة لتخصيصه بالعظمة .

﴿أَصْدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ طباق بالمعنى وهو أبلغ من الطباق باللفظ (٤) .

﴿فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ إن جعل (انظر) بمعنى انتظر فـ(ماذا) بمعنى الذي ويرجعون صلة والمعنى انتظر الذي يرجعونه .

وإن جعل أنظر بمعنى تأمل وتفكر كانت ما استفهامية وذا بمعنى الذي و(يرجعون) صلتها والتقدير أي شيء الذي يرجعونه والموصول هو خبر الاستفهامية . (٥)

القرءات :

﴿مَا لِي﴾ قرأ ابن كثير وعاصم والكسائي بفتح الياء .

وأسكنها حمزة ويعقوب هكذا ﴿مَا لِي﴾ .

﴿أَرَى الْهُدُودَ﴾ قرأها السوسي وصلأ بالإمالة (٦)

(١) انظر تفسير ابن باديس ، ص ٢٧٠ .

(٢) انظر التحرير والتنوير ، ج ١٩ ، ص ٢٥٥ .

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٣ ، ص ١٩٨ .

(٤) انظر التفسير المنير ، ج ١٩ ، ص ٢٨١ .

(٥) حاشية الصادي على الجالين ، ج ٢ ، ص ١٦١ .

(٦) انظر إتحاف فضلاء البشر ، ج ٢ ، ص ٣٢٤ .

﴿فمكث﴾ اختلف القراء في ذلك فقرأ عاصم وروح بفتح الكاف فمكث والباقون بضمها فمكث .

﴿أحطت﴾ اتفق القراء على ادغام الطاء مع بقاء صفتها في التاء .

﴿من سبأ﴾ اختلف القراء فيها إلى : ﴿سبأ﴾ قرأ البزي وأبو عمرو بفتح الهمزة من غير تنوين ، بالمنع من الصرف للعلمية والتأنيث .

﴿سبأ﴾ وقرأ قنبل بالسكون كأنه نوى الوقف .

﴿سبأ﴾ وقرأ الباقر بالكسر والتنوين (١) .

﴿ليأتيني﴾ اختلف القراء فيها .

﴿ليأتيني﴾ فابن كثير بنون التوكيد المشددة وبعدها نون الوقاية .

﴿ليأتيني﴾ الباقر بحذف نون الوقاية . (٢)

﴿ألا يسجدوا﴾ اختلف القراء فيها إلى :

قرأ أبو جعفر والكسائي ورويس بتخفيف اللام (ألا) ، ووقفوا في الابتداء

على (ألا يا) وابتدعوا " اسجدوا " بهمزة مضمومة على الأمر على معنى ألا ياهؤلاء أو يا أيها الناس اسجدوا وحذفت همزة الوصل بعد يا .

وقرأ الباقر بتشديد اللام ألا على أنه مركب في الخط من "أن" و"لا"

النافية و(يسجدوا) عندهم كلمة واحدة . (٣)

"يخفون ، ويعلنون " قرأ حفص والكسائي بالتاء على الخطاب تخفون

وتعلنون والباقر بالياء - يخفون ويعلنون - (٤)

فألقه : قرأ قالون وابن ذكوان بكسر الهاء مع القصر .

فألقه : قرأ عاصم وأبو عمرو وحمزة بإسكان الهاء .

فألقه : قرأ الباقر بالإشباع . (٥)

الإعراب :

(١) انظر إتحاف فضلاء البشر ، ج ٢ ، ص ٣٢٥ ، النشر في القراءات العشر ، ج ٢ ، ص ٣٣٧ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٢٤ - ٣٢٥ .

(٣) النشر في القراءات العشر ، ج ٢ ، ص ٣٢٦ .

(٤) اتحف فضلاء البشر ، ج ٢ ، ص ٣٢٦ .

(٥) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٢٦ - ٣٢٧ .

قال تعالى : ﴿ فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ
بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴾ .

الفاء استئنافية ، مكث: فعل ماض مبني على الفتح والفاعل ضمير مستتر فيه
جوازاً تقديره هو أي الهدهد .

غير بعيد : اسم منصوب بالفتحة متعلق بحال محذوفة . التقدير غير زمان بعيد
بمعنى : قريباً أو مكث غائباً أو تكون صفة لظرف زمان مقدراً أي مكث زماناً
غير بعيد . بعيد: مضاف إليه مجرور بالإضافة وعلامة جره الكسرة . فقال :
معطوفة بالفاء على محذوف بمعنى ثم جاء فقال .

﴿ فَقَالَ ﴾ : فعل ماض مبني على الفتح والفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره هو
﴿ أَحَطْتُ ﴾ : فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بضمير الرفع المتحرك
والتاء ضمير متصل مبني على الضم في محل رفع فاعل . بمعنى فقال
لسليمان علمت .

﴿ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ﴾ : الباء حرف جر زائد . ما : اسم موصول مبني على
السكون في محل جر لفظاً وفي محل نصب محلاً لأنه مفعول به لأحطت .
﴿ لَمْ ﴾ : حرف نفي وجزم وقلب .

﴿ تُحِطُ ﴾ : فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه سكون آخره والفاعل ضمير
مستتر فيه وجوباً تقديره أنت . (1)

المعنى الإجمالي :

نزل سليمان عليه السلام يوماً بفلاة من الأرض ، فتفقد الطير ليرى الهدهد فلم
يره فقال تعالى على لسانه : ﴿ فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾
أخطأه بصري من الطير أم غاب فلم يحضر؟ فلما تثبت من غيابه توعدده بالعذاب
إذا كان بغير عذر مقبول . فقال تعالى : ﴿ لِأَعَذِّبَهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ
لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ أي أنه هدده ، بالقتل أو التعذيب والعقاب الشديد إلا
أن يأتي ببرهان واضح ﴿ فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ
سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴾ أي غاب الهدهد زماناً يسيراً ثم جاء فسأله سليمان عليه السلام عن

(1) انظر الإعراب المفصل ، ج ٢ ، ص ٢٨٧ .

سبب غيابه فقال لسليمان : اطلعت على ما لم تطلع عليه أنت ولا جنودك .
وجئتك من مدينة سبأ بخبر صدق متيقن .كان الهدد ماهرأً بالدفاع عن نفسه
حيث يخبر بأنه كان يقوم برحلة استكشاف علمية لمملكة سبأ ومعرفة أحوال أهلها
في الملك والتدين .

فخبر الهدد عن أهل سبأ يشتمل على مملكة سبأ التي تحكمها امرأة
عظيمة حكيمة قال تعالى : ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا
عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ أي مملكة تقودها ملكة عظيمة بتقدمها العلمي والحضاري وجيش
مسلح بأنواع مختلفة من معدات القتال ،وبإيجاز أوتيت كل ما يحتاجه الملك .
وأنهم يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان قبيح أعمالهم
فصاروا يرون الشيء حسناً ، ومنعهم الشيطان عن السير في طريق الحق
وعبادته الله الواحد الأحد فأصبحوا لا يهتدون .

فهم لا يعرفون سبيل الحق التي هي إخلاص السجود لله وحده الذي خلق
فأبدع وأخرج الأشياء من العدم سواء في السموات أم في الأرض ، ويعلم
ما يخفيه العباد وما يعلنونه من الأقوال أو الأفعال .
فبعد ما بين الحق الدليل على وجوده وتوحيده ، وافتقار العالم إليه ، نزه
نفسه وأبان عظمته فذكر أنه الواحد الذي لا شريك له ولا معبود بحق سواه
وهو رب العرش العظيم .

اجاب سليمان ﷺ على خبر الهدد الذي برأ به نفسه عن سبب غيبته .
فقال : ﴿ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ قال سليمان : سنتعرف على
مدى صحة قولك أصادق في مقاتك أم أنك كاذب لتتخلص من الوعيد الذي
وجه إليه .

لما اختبر سليمان ﷺ الهدد بقوله ﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ
عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ أي أن سليمان ﷺ كتب كتاباً إلى بلقيس يدعوها فيه
إلى الإيمان بالله والاسلام لله عز وجل وأمره أن يلقيه إليهم ثم يبتعد عنهم ويتأمل

الرد وما يراجع بعضهم بعضاً. (١)

الدروس المستفادة :

- ١- القائد يتفقد الجيش وأفراد المملكة وهذا ما تقتضيه العناية بأمر الملك والاهتمام بعناصر الجيش وبكل جزء منه والمحافظة عليهم (٢) .
- ٢- المتهم برىء حتى تثبت إدانته .
- ٣- الحد على قدر الذنب لا على قدر الجسد ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ . (٣)
- ٤- الأنبياء لا تعلم الغيب ﴿أَحْطَتْ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ وقبول العلم ممن حازه دون مكابرة.
- ٥- الاعتذار الصحيح مقبول عند أهل الحق والإيمان فقول الهدهد ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾ دفع عنه ما توعدده سليمان عليه السلام من العذاب والذبح .
- ٦- الشيطان سبب الغواية والضلال والصد عن طريق التوحيد فهم لا يهتدون ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ .
- ٧- الله الذي خلق فسوَّى وأخرج المخبوء في السموات والأرض كالمطر من السماء والنبات من الأرض هو الذي تجب عبادته ، فقدره الله ظاهرة ﴿يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ، وعلمه ظاهر في قوله تعالى ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾.
- ٨- قول الهدهد ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾ ، وقوله ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ دليل على أن الهدهد داعٍ إلى الخير وإلى عبادة الله وحده والسجود له
- ٩- النهي عن قتل الهدهد فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال " نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل أربع من الدواب النملة والنحلة والهدهد والصرد " .
- ١٠- التثبت من الأخبار واختبارها والحكم عليها وقبولها إن كانت صحيحة .

(١) انظر التفسير المنير ، ج١٩ ، ص٢٨٥-٢٨٦ .

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن ، ج١٣ ، ص ١٨٨ .

(٣) انظر التفسير المنير ، ج١٩ ، ص٢٨٧-٢٨٩ .

١١- إرسال الكتب للمشركين ودعوتهم إلى الإسلام مع حسن صفات الرسل المكلفين للرسالة .

المطلب الثالث

جواب الملكة بلقيس على كتاب سليمان عليه السلام

قال تعالى ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُون * قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ * قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوهَا أَعْزَةً أَهْلِهَا أَذَلَّةٌ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ * فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُونَن بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ * ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذَلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (النمل: ٢٩-٣٧).

المناسبة :

بعد إرسال سليمان عليه السلام كتابه إلى بلقيس وقومها مع الهدد ، ألقى الهدد الكتاب من كوة وتوارى في الكوة حيث ذكر الله تعالى مضمون الكتاب ، وتشاورت بلقيس مع مستشاريها في شأن الكتاب حيث ارتأوا القتال وسيلة للرد على الكتاب ، وارتأت هي المهادنة والصلح بإرسال هدية إليه تدفع بها عن بلادها ويلات الحروب . (١)

التحليل اللفظي :

- ﴿ قَالَتْ ﴾ : أي بلقيس لأشراف قومها .
- ﴿ الْمَلَأُ ﴾ : جمعه أملاء وهم جماعة من أشراف القوم وخاصتهم (٢) .
- ﴿ كِتَابٌ ﴾ : صحيفة مكتوب فيها كلام .

(١) انظر التفسير المنير ، ج ١٩ ، ص ٢٩١ .

(٢) انظر المعجم العربي الأساسي ، ص ١١٤٨ ، و معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٤٩٢ .

﴿ كَرِيمٌ ﴾ : من كَرُمَ يكرم كَرَمًا وكرامة فهو كريم وجمعه كرماء وكرام ، وهي صفة لكل ما يُرضى ويُحمد (١) .

﴿ إِنَّهُ ﴾ من سليمان ﷺ : أي الكتاب من سليمان ﷺ .

﴿ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ أي مضمون هذا الكتاب .

﴿ أَلَا ﴾ مكون من " أن " و " لا " وهي تفيد النهي وتستعمل للتهديد .

﴿ تَعَلُّوا ﴾ من عَلَا يَعْلُو عَلُوًّا فهو عال : أي إذا تكبر (٢) . والمعنى ألا تتكبروا عليّ وتناقدوا لأهوائكم .

﴿ مُسْلِمِينَ ﴾ أي منقادين بما رأيتم من أمر الكتاب ومرسله والذي أرسل معه وقيل مسلمين من الإسلام وقيل من الاستسلام وهي مشتقة من أسلم إذا تقلد الإسلام (٣) .

والمعنى : أن سليمان ﷺ كتب كتاباً وأرسله مع الهدد إلى ملكة سبأ

يقول فيه "بسم الله الرحمن الرحيم من سليمان بن داود إلى بلقيس وقومها فلا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين" ، أخذ الهدد الكتاب برجله فانطلق به حتى أتاه ، وكانت لها كوة في بيتها إذا طلعت الشمس نظرت إليها ، فسجدت لها ، فأتى الهدد الكوة فسدها بجناحيه حتى ارتفعت الشمس ولم تعلم . ثم ألقى الكتاب من الكوة فوق عليها في مكانها الذي هي فيه فأخذته : وهذا الكتاب مع وجازته تضمن المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع ، والنهي عن الترفع الذي هو داء المعاندين والمتكبرين ، والامر بالإسلام الجامع لأمهات الفضائل (٤) .

﴿ أَفْتُونِي ﴾ من فتى الفاء والتاء والحرف المعتل .. أي بينوا لي الحكم .

والإفتاء : هو إخبار بالفتوى التي هي إزالة مشكل والمعنى أشيروا علي في أمر الكتاب (٥) .

(١) المعجم العربي الأساسي ، ص ١٠٣٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٨٦٢ .

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٢٤٧ ، والتفسير المنير ، ج ١٩ ، ص ٢٩١ .

(٤) انظر جامع البيان ، ج ١١ ، ص ١٨٥ ، التفسير المنير ، ج ١٩ ، ص ٢٩٢ .

(٥) انظر معجم مقاييس اللغة ، ج ٢ ، ص ٣٤١ .

﴿ فِي أَمْرِي ﴾ : الأمر هو الحال الطارئ المهم . وإضافة الأمر إليها لأنها هي المخاطبة بكتاب سليمان عليه السلام وجمعه أمور .

﴿ قَاطِعَةً أَمْرًا ﴾ : قطع الأمر فصله والمعنى أي ما فصلت أو أمضيت حكماً (١) .

﴿ تَشْهَدُونَ ﴾ : من شهد يشهد شهادة ومشهداً فهو شاهد (٢) .

والمعنى : ما قطعت أمراً وفصلت فيه إلا بحضوركم إياه . وقد استطاعت بذلك استعطافهم ليظهروا إخلاصهم لها ، والشهود والشهادة : الحضور مع المشاهدة إما بالبصر أو البصيرة (٣) .

﴿ قَالُوا ﴾ : أي مجيبين لها .

﴿ نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ ﴾ أولو تُرسم بالواو ولا تنطق - أُلُو ومؤنثها أُولَات أي أصحاب القوة والمنعة (٤) .

﴿ قُوَّةٍ ﴾ : القوة تستعمل تارة بمعنى القدرة ، وتارة للتهيؤ الموجود في الشيء والمعنى نحن أصحاب القوة والمنعة (٥)

﴿ بَأْسٌ ﴾ : البؤسُ والبأسُ والبأساء : الشدةُ والمكروه أي أن البؤس في الفقر والحرب أكثر والبأس والبأساء في النكاية (٦) .

﴿ فَانظُرِي ﴾ النظر تغليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته (٧) .

﴿ مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ : أي ماذا توجهين إيانا بأوامرك فنطيعك ولا نخالفك كأنهم أشاروا عليها القتال أو أرادوا نحن من أبناء الحرب فلما أحست منهم الميل إلى المحاربة مالت إلى المصالحة ورتبت الجواب فزيفت أولاً ما ذكره وأرتهم الخطأ فيه (٨) .

(١) انظر التحرير والتنوير ، ج١٩ ، ص٢٦٢ .

(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص٤٢٣ ، تفسير النسفي ، ج٣ ، ص٢١٠ .

(٣) المعجم العربي الأساسي ، ص٧١٥ .

(٤) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص٢٧٥ .

(٥) المعجم العربي الأساسي ، ص١٢١ .

(٦) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص٤٣٤ .

(٧) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص٣٢ ومقاييس اللغة ، ج٢ ، ص٥٦٧ .

(٨) انظر تفسير النسفي ، ج٣ ، ص٢١٠ .

﴿المُلُوكُ﴾ : جمع مَلِكٍ وهي من مَلَكَ يَمْلِكُ مُلْكًا فهو مَلِكٌ ومَلِيكٌ والملك صاحب الأمر والسُّلطة على أُمَّةٍ أو بلاد . (١)

﴿قَرْيَةً﴾ القرية اسم للموضع الذي يجتمع فيه الناس وجمعها قُرَى (٢) .

﴿أَفْسَدُوهَا﴾ : من أفسد يفسد إفساداً والمعنى جعلوها فاسدة والفساد خروج الشيء عن الاعتدال قليلاً كان أو كثيراً ويضاده الصلاح ويستعمل في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة . (٣)

﴿وَجَعَلُوا﴾: جعل يجري مجرى صار والمعنى يُصَيِّرُوا الأَعزَّةَ أذلة . (٤)

﴿أَعزَّةٌ﴾: جمع عزيز وهو القوي المنيع والمعنى جعل القوي العزيز المنيع ذليلاً مهاناً والذل ما كان عن قهر . (٥)

﴿وَكذلكَ يَفْعَلُونَ﴾: أرادت وهذه عادتهم المستمرة التي لا تتغير لأنها كانت في بيت الملك القديم وسمعت نحو ذلك ورأت (٦)

ويلاحظ أنها لما أحست ميلهم إلى القتال مالت إلى المصالحة وبينت لهم حبه الصواب وأنهم في غفلة من قوة سليمان وجيوشه وما يلحقهم لو دخلوا في حربه حيث سيجعل القوي العزيز فيهم ذليلاً مهاناً.

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾ بيان لما ترى تقديمه للمصالحة بإرسال هدية تدفع بها عن ملكها .

﴿فَنَظَرَةٌ﴾ أي منتظرة " بم" أي بما لأن الألف تحذف مع حرف الجر في الاستفهام (٧) .

(١) المعجم العربي الأساسي ، ص ١١٥١ .

(٢) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٤١٧ .

(٣) انظر المصدر السابق ، ص ٣٩٣ .

(٤) المعجم العربي الأساسي ، ص ٨٣٨ .

(٥) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ١٨٢ .

(٦) انظر تفسير النسفي ، ج ٣ ، ص ٢١٠ .

(٧) انظر تقيير النسفي ، ج ٣ ، ص ٢١١ .

﴿ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ من قبول الهدية أوردتها . فإن كان ملكاً قبلها ، وإن كان نبياً لم يقبلها (١) .

القراءات :

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ .

﴿ أُمِدُّونِي بِمَالٍ ﴾ قرأ حمزة بنون واحدة مشددة والياء مثبتة في الوصل والوقف والأصل ﴿ أُمِدُّونِي ﴾ النون الأولى علامة الرفع والثانية بنون الوقاية ، والياء في محل نصب ضمير المتكلم فأدغم النون في النون ولم يحذف الياء لأنه ليس بفاصل . ﴿ أُمِدُّونِ ﴾ قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو " بنونين " أظهروا ولم يدغموا ، غير أنهم حذفوا الياء في الوقف لأنها ليست ثابتة في المصحف .

﴿ أُمِدُّونِي ﴾ أثبت ابن كثير الياء في حال الوقف .

﴿ أُمِدُّونِ ﴾ قرأ ابن عامر وعاصم والكسائي بحذف الياء في الوصل والوقف اجتزؤوا بالكسرة عن الياء .

﴿ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ ﴾ قرأ نافع وأبو عمرو وحفص بفتح الياء .

﴿ فَمَا آتَانِ اللَّهُ ﴾ وقرأ الباقون بكسر النون من غير ياء .

﴿ آتَانِي ﴾ قرأ الكسائي بالإمالة لأن هذه الياء في تصرف هذا الفعل ، و " ما " بمعنى الذي وهو ابتداء و ﴿ آتَانِي ﴾ صلة " ما " و " خير " خبره والتقدير : فالذي آتاني الله خير (٢) .

﴿ آتَاكُمْ ﴾ قرأ الكسائي وحمزة بالإمالة (٣) .

البلاغة :

قوله تعالى ﴿ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ غاية في الثناء حيث وصف الكتاب بالكريم والله وصف القرآن بالكريم . وكذلك استعارة حيث شبه القرآن بالشخص الكريم الجواد .

(١) التفسير المنير ، ج١٩ ، ص٢٦٧ ، تفسير النسفي ، ج٣ ، ص٢١١ .

(٢) انظر حجة القراءات ، ص٥٢٨-٥٢٩ .

(٣) إتحاف فضلاء البشر ، ج٢ ، ص٣٢٩ .

﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ ﴾ الإتيان بهاء الضمير المعبرة عن الكتاب رفعة وتعظيماً له (١) .

﴿ حَتَّى تَشْهَدُونَ ﴾ استعمال الفعل المضارع يفيد استمرارها في استشارة مستشاريها في كل أمر .

﴿ نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأَوْلُو بِأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ وقوله : ﴿ وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ الإيجاز في الإجابة في الأولى إظهار القوة الذاتية والعرضية ليظهروا لها إرادتهم للحرب وَجَدْتُهُمْ ، وفي الثانية إرادتهم للسلم وجدتهم . فجمعوا بين استعدادهم للحرب والسلم (٢) .

﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ ﴾ : افتتاح جملة إن الملوك بحرف التوكيد للاهتمام بالخبر وتحقيقه .
﴿ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ﴾ استدلال بشواهد التاريخ الماضي .
﴿ وَجَعَلُوا أَعْرَةَ أَهْلِهَا أَذِنَّةً ﴾ كناية عن فساد الملوك .
﴿ أَعْرَةَ ﴾ و ﴿ أَذِنَّةً ﴾ طباق .

﴿ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ استدلال على المستقبل بحكم الماضي .

﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ ﴾ هنا حذف تقديره فلما جاء رسل بلقيس إلى سليمان عليه السلام وهم يحملون الهدايا قال لهم سليمان عليه السلام ﴿ أْتُمِدُّونَ بِمَالٍ ﴾ (٣) .

فائدة :

عن عطاء بن أبي مسلم عبد الله الخراساني (*) قال : قال رسول الله ﷺ " تصافحوا يذهب الغل ، وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء " (٤) .

المعنى الإجمالي :

(١) انظر التحرير والتنوير ، ج ١٩ ، ص ٢٥٨-٢٦٢ .

(٢) انظر التفسير الكبير ، ج ٢٤ ، ص ١٩٥ .

(٣) انظر التحرير والتنوير ، ج ١٩ ، ص ٢٦٧-٢٦٨ .

(*) عطاء بن أبي مسلم الخراساني صدوق يهيم كثيراً ويرسل ويدلس ، مات خمس وثلاثون ، روى له الأربعة في التقريب والتهذيب ، ج ٢ ، ص ١٨ .

(٤) انظر إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، ج ٦ ، ص ٤٦ ، وأخرجه مالك في الموطأ ، ج ٢ ، ص ٦٩٣ .

﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ أي قالت بلقيس لأشرف قومها ومستشاريها وأركان دولتها ومملكتها ألقى إلي كتاب من ملك كريم هو سليمان عليه السلام والكتاب حسن المضمون جميل العبارة مختوم بحمله طائر وألقاه إليّ ثم تولى عنها أدباً ، وهذا أمر لا يقدر عليه أحد من الملوك ولا سبيل لهم إلى ذلك .

مضمون الكتاب : ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ فالكتاب في غاية البلاغة والوجازة والفصاحة شاملٌ لأمورٍ ثلاثة :

١- البسمة الدالة على إثبات وحدانية الله تعالى وقدرته ورحمته .

٢- النهي عن الترفع الذي يحجب وصول الحق إلى النفوس ، والنهي عن الانقياد للأهواء .

٣- الأمر بالإسلام الجامع لأصول الفضائل ، أو الأمر بالانقياد والطاعة لأمر سليمان ثم استشارتهم في شأن الرد على الكتاب (١) .

﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴾ أي أشيروا عليّ في الأمر الذي نزل بي ما كنت مبرمة أمراً ولا قاضية في أي أمر حتى يكون حضوركم ومشاورتكم فيه (٢) .

﴿ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ أي قال أشرف القوم : نحن أصحاب قوة جسدية وعددية ونجدة وشجاعة وثبات في الحرب . ثم فوضوا إليها الأمر في إعلان الحرب أو السلام . فبينت لهم ميلها للسلام لعلمها بقوة سليمان وجنوده وجيوشه وما سخر له من الجن والإنس والطير . وثم قالت ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَآةَ أَهْلِهَا آدِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ أي قالت بلقيس لهم حين أظهروا

(١) انظر التفسير المنير ، ج١٩ ، ص٢٩٢ .

(٢) انظر تفسير النسفي ، ج٣ ، ص٢١٠ .

استعدادهم لقتال سليمان إن الملوك إذا دخلوا بلدة عنوة . خربوا ديارها وأتلفوا أحوالها . وجعلوا أعزة أهلها أذلة بالقتل والأسر ، وكذلك عادتهم المستمرة الثابتة التي لا تتغير .

وفي هذا تحذير لقومها من محاربة سليمان عليه السلام ، وبعد أن استبعدت فكرة الحرب لجأت إلى الوسائل الودية ومنها المسالمة واقترحت إرسال هدية إليه . قال تعالى ﴿ **وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ** ﴾ . وإني مرسله له بهدية تليق بمثله لأختبر أمره . أهو نبي أم ملك وأنظر ماذا يكون جوابه بعدئذ ، فلعله يقبل ذلك منا ويكف عنا .

﴿ **فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ** ﴾ أي لما جاء الرسول ومن معه بالهدية . لم ينظر إليها وأعرض عنها وقال إن الله تعالى أعطاني خيراً مما أعطاكم وهو النبوة والملك فلا حاجة لي بهديتكم ، فأنتم تفرحون بما يهدى إليكم وحالي خلاف حالكم وما أَرْضَى منكم بشيء ولا أفرح إلا بالإيمان وترك المجوسية . ﴿ **ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ** ﴾ أي ارجع أيها المبعوث إليهم بهديتهم . فإننا سنأتيهم بجنود لا طاقة لهم بقتالهم ولنخرجهم من بلدتهم أذلة . ونذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك ولما رجع الرسول إلى بلقيس بالهدايا وقص عليها القصة قالت هو نبي وما لنا به طاقة (١) .

الدروس المستفادة :

١- أدب الخطاب وخصوصاً في مجال الدعوة إلى الله تعالى في مكاتبات الملوك والرؤساء وهذا واجب شرعاً . لذا وصفت بلقيس كتاب سليمان عليه السلام بكتاب كريم لما فيه من لين القول ووجازة العبارة وبيان المراد بدقة ﴿ **وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ** ﴾ (٢) .

(١) انظر تفسير النسفي ، ج ٣ ، ص ٢١٢ ، والتفسير المنير ، ج ١٩ ، ص ٢٩٤-٢٩٥ .

(٢) انظر التفسير المنير ، ج ١٩ ، ص ٢٩٥ .

- ٢- إذا كانت التحية واردة في الرسالة ينبغي على المرسل إليه أن يرد الجواب لأن الكتاب من الغائب كالسلام من الحاضر .
- ٣- اتفق العلماء على البدء بالبسملة ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ في أول الكتب والرسائل وعلى ختمها .
- ٤- دعوة الناس إلى الله هو منهاج الأنبياء جميعاً . ولا مساومة على العقيدة .
- ٥- التحذير من العلو والتكبر على الدعاة إلى الله تعالى .
- ٦- نبذ الشرك وكل ما يوصل إليه من أعمال .
- ٧- المشاورة أمر مطلوب في كل شيء عام وخاص ما لم يكن سراً لأنها تحقق نفعاً ملحوظاً للتوصل إلى أفضل الآراء وأصوبها وخصوصاً في الحروب والمصالحات وقضايا الأمة .
- ٨- مراعاة قوة الخصم وشدة بأسه ، وتجنيب الأمة ويلات الحروب ما دام الأمتل أقرب إلى الوصول . (١)

(١) انظر التفسير المنير ، ج١٩ ، ص٢٩٧ .

المطلب الرابع

إسلام بلقيس

قال تعالى ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ * قَالَ نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرُونَ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ * فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ * وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ * قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (النمل : ٣٨-٤٤) .

المناسبة :

بعد أن أعرض سليمان عليه السلام عن هديّة بلقيس وقال لرسول بلقيس سنأتي لكم بجنود وجيوش لا قبيل لكم في مواجهتهم ، ونذهب عنكم ما كنتم فيه من العز والملك ، عندها عرفت أنه نبي من قبل الله وما لها ولقومها من سبيل في مواجهته وبعثت إلى سليمان أني قادمة إليك لأنظر ما الذي تدعو إليه ، فسر سليمان بخبرها وأرسل الجن يستطلعون أخبارها . (١)

التحليل اللفظي :

﴿الملاء﴾ : أشرف القوم سواء أكانوا من الإنس أم الجن أم الطير .

ما الفائدة في طلب العرش ؟

لعل سليمان عليه السلام أراد أن يختبر صدق الهدد ، وأن يريها بعض ما خصه الله به من العجائب الدالة على قدرة الله و صدق دعوة سليمان عليه السلام . (٢)

(١) انظر تفسير النسفي ، ج ٣ ، ص ٢١٢ .

(٢) انظر أحكام القرآن ، ج ٣ ، ص ١٤٦٢ .

﴿ مُسْلِمِينَ ﴾ : أي منقادين طائعين .

والمعنى : لما سمع سليمان عليه السلام بقدم بلقيس وقومها إلى بلاده خاطب من عنده من الجن والإنس وغيرهما ، مَنْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُوا مُسْلِمِينَ خَاضِعِينَ . (١)

﴿ قَالَ عَفْرِيْتُ مِنَ الْجِنِّ ﴾ : العفريت من الجن هو العارم ، وأصله من العفر وجمعه عفاريت . (٢)

﴿ الْجِنِّ ﴾ : بعض الروحانيين ، وذلك أن الروحانيين ثلاثة : أخيار هم الملائكة ، وأشرارُ هُمُ الشياطين وأوساط فيهم أخيار وأشرار ﴿ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ﴾ (الجن : ١٤) (٣) .

﴿ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ﴾ : أي قبل أن تقوم من مجلس حكمك وقضائك . (٤)
﴿ عَلَيْهِ ﴾ : أي على حملة .

﴿ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ : لقادر مؤتمن على ما فيه من الجواهر وغيرها لا أنقص منه شيئاً ولا أبدله . قال سليمان عليه السلام : أريد أعجل من هذا ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ هو آصف بن برخيا كاتب سليمان عليه السلام وهو الأصح وعليه الجمهور وكان عنده اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب . (٥)

﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ ﴾ : أي بالعرش .

﴿ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ . قال الرازي اختلفوا في ذلك على وجهين :

الأول : أنه أراد المبالغة في السرعة

الثاني : أن نجريه على ظاهره ، والطرف تحريك الأجفان عند النظر . (٦)

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ، ج ٦ ، ص ٦٢ .

(٢) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٣٥١ .

(٣) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٩٧ .

(٤) تفسیر النسفي ، ج ٣ ، ص ٢١٣ .

(٥) انظر المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢١٣ ، والتفسير المنير ، ج ١٩ ، ص ٣٠٠ .

(٦) انظر التفسير الكبير ، ج ٢٤ ، ص ١٩٨ .

قال آصف لسليمان عليه السلام : مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمين فدعا آصف فغار العرش من مكانه ثم نبع عند مجلس سليمان عليه السلام بقدرة الله تعالى قبل أن يرتد طرفه . (١)

العرش باليمن وسليمان عليه السلام في بلاد الشام وقطع المسافة البعيدة بالعرش في المدة القصيرة لا يكون إلا بأحد الوجهين : إما أن تعدم المسافة بين الشام واليمن ، وإما يعدم العرش باليمن ويوجد في الشام ، والكل لله سبحانه وتعالى مقدور عليه وهين . (٢)

والمعنى : لما طلب سليمان عليه السلام من قومه إحضار عرش بلقيس وقال عفريت من الجن أنا آتيتك به قبل أن تقوم من مجلس قضائك ، وأنا على ذلك قوي على حملة وأمين على ما فيه .
﴿ فَلَمَّا رَأَهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ ﴾ أي فلما رأى سليمان عليه السلام العرش ثابتاً لديه غير مضطرب .

﴿ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي ﴾ أي حضور العرش في مدة ارتداد الطرف هو من إحسان الله تعالى عليّ .

﴿ لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ ليختبرني أشكر فضل الله حيث لا حول مني ولا قوة . وأقوم بحقه ، أم أجحد الفضل بنسبته إليّ ، وأقصر في أداء واجب الشكر . (٣)
﴿ لِيَبْلُوَنِي ﴾ من بلا يبلى بلواً وبلاءً امتحنه . (٤)

وأم : حرف للمعادلة بعد همزة الاستفهام فتكون عاطفة متصلة (٥)
﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ﴾ أي أن نفع الشكر عائدٌ إلى الشاكر لا إلى الله تعالى (٦) فالشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة .

(١) انظر تفسير النسفي ، ج ٣ ، ص ٢١٣ .

(٢) انظر أحكام القلاآن ، ج ٣ ، ص ١٤٦٣ .

(٣) انظر تفسير النسفي ، ج ٣ ، ص ١٢٣ .

(٤) المعجم العربي الأساسي ، ص ٩٤٠ .

(٥) المعجم العربي الأساسي ، ص ١٠٤ .

(٦) انظر التفسير الكبير ، ج ٢٤ ، ص ١٩٨ .

﴿ وَمَنْ كَفَرَ ﴾: بترك الشكر على النعمة .

﴿ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ أي أن الله غني عن الشكر ، وكريم بالإنعام على من يكفر نعمه ولا يقطعه بسبب إعراضهم عنه . (١)

﴿ نَكَرُوا ﴾ من نَكَر يُنَكِّرُ تنكيراً أي غيرحتي أصبح لايعرف . (٢)

والمعنى : غيروا هيئته وشكله بزيادة أو نقص وغير ذلك .

﴿ نَنْظُرُ أَتَهْتَدِي ﴾ لمعرفة عرشها أو للجواب الصواب لما سئلت عنه . (٣)

﴿ أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ إلى معرفة العرش وقصد سليمان عليه السلام بذلك

اختبار رجحان عقلها . وبيان قدرة الله تعالى وصدق سليمان عليه السلام حيث تم نقل عرشها من المكان البعيد في اليمن إلى مكانه في بلاد الشام . (٤)

﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ ﴾ أي بلقيس .

﴿ قِيلَ أَهَذَا عَرْشُكَ ﴾ ها للتبيه والكاف للتشبيه وذا اسم إشارة ولم يقل أهدا

عرشك ولكن أمثل هذا عرشك لئلا يكون تلقيناً فقالت :

﴿ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾ ولم تقل هو هو ولا لبس به وذلك من كمال عقلها حيث توقفت في

محل التوقف . (٥)

﴿ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ فيه سؤالان ، وهو أن هذا الكلام

كلام من :

الأول : أنه كلام سليمان عليه السلام وقومه ، وذلك لأن بلقيس لما سئلت عن عرشها ،

أجابت بقولها " كأنه هو " فالظاهر أن سليمان وقومه قالوا إنها قد

أصابت في جوابها وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الإسلام ، ثم عطفوا على

(١) انظر تفسير النسفي ، ج ٣ ، ص ٢١٣ ، التفسير المنير ، ج ١٩ ، ص ٣٠٠ ، والتفسير الكبير ، ج ٢٤ ، ص ١٩٩ .

(٢) المعجم العربي الأساسي ، ص ١٢٢٩ .

(٣) انظر تفسير النسفي ، ج ٣ ، ص ٢١٣ .

(٤) انظر التفسير الكبير ، ج ٢٤ ، ص ١٩٩ .

(٥) انظر المصدر السابق ، ج ٢٤ ، ص ١٩٩ ، تفسير النسفي ، ج ٣ ، ص ٢١٥ .

ذلك قولهم " وأوتينا نحن العلم بالله وبقدرته قبل علمها وما خصهم الله به من الإسلام قبلها .

الثاني : هو من كلام بلقيس موصولاً بقولها "كأنه هو " والمعنى وأوتينا العلم بالله وبصحة نبوة سليمان عليه السلام قبل هذه المعجزة أو قبل هذه الحالة . (١)

(١) انظر التفسير الكبير ، ج٢٤ ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

رأي الباحث :

إن قوله ﴿ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ هو من كلام سليمان عليه السلام ، ويؤيد ذلك ابن جرير في تفسيره . (١)

﴿ وَصَدَّهَا ﴾ : من صدَّ يصدُّ صدًّا وصدوداً... أي منعها وصرفها عن عبادة الله .
قوله تعالى ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ هذا من كلام سليمان عليه السلام أي قال سليمان عليه السلام ﴿ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ وصددها ومنعها عن عبادة الله ما كانت تعبد وهي عبادة الشمس و نشؤها بين أظهر الكفرة ثم بين منشئها بين الكفر . بقوله ﴿ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ . (٢)

﴿ الصَّرْحُ ﴾ بيت عال مزوَّق وجمعه صروح . (٣)
لُجَّة : جمعها لُجج ولُجاج ... وهو الماء الكثير الذي تتردد أمواجه . (٤)
﴿ وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا ﴾ والساق جمعها سيقان وسوق وهو ما بين الركبة والقدم . (٥)

والمعنى : كشفت عن ساقها لخوض الماء المتردد أمام عينيها كالأمواج .
﴿ قَالَ ﴾ لها ﴿ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ ﴾ مملس مستو (٦) .
﴿ مِنْ قَوَارِيرَ ﴾ من زجاج استترت ، جمع قارورة وهو وعاء من زجاج لحفظ السوائل (٧) .

﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾ بالثبات على الكفر وعبادة الشمس .
﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أي متابعة لدين سليمان عليه السلام في عبادته لله وحده لا شريك له الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً (٨) .

(١) انظر جمع البيان ، ج ١٩ ، ص ١٩٠ .

(٢) انظر تفسير النسفي ، ج ٣ ، ص ٢١٤ .

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٢٨٧ .

(٤) انظر المصدر السابق ، ص ٤٦٨ .

(٥) المعجم العربي الأساسي ، ص ٦٥٥ .

(٦) التفسير الكبير ، ج ٢٤ ، ص ٢٠٠ .

(٧) المعجم العربي الأساسي ، ص ٩٧٨ .

(٨) انظر تفسير القرآن العظيم ، ج ٦ ، ص ٦٦ .

والمعنى : أن سليمان عليه السلام أعد لنزولها قصراً عظيماً مبنياً من الزجاج الشفاف وفرشت أرضه بالزجاج أيضاً . وفي أسفله ماءً جارٍ فيه من صنوف السمك فلما دخلته حسبته ماءً مكشوفاً فكشفت عن ساقبها لتخوض فيه فلما أنبأها أنه من زجاج سترت ساقبها . ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾ بما كنت عليه من الكفر وأسلمت مع سليمان لله الواحد القهار .

البلاغة :

﴿ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ﴾ و ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ ﴾ جناس اشتقاق (١) .
 ﴿ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ في الكلام حذف قال عالم من علماء أسرار الكتاب الإلهي أنا أحضره في لمح البصر قبل أن تغمض عينيك . (٢)
 ﴿ فَلَمَّا رَأَهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ ﴾ في الكلام حذف تقديره " فدعا الذي عنده علم من الكتاب باسم الله الأعظم فاتاه الله العرش مستقراً بين يدي سليمان عليه السلام " . (٣)
 ﴿ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ الطباق في اللفظ . (٤)
 ﴿ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾ التشبيه كأنه عرشي في الشكل والوصف (٥) .
 ﴿ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ كناية عن سرعة إحضار العرش وكذلك استعارة حيث استعار رجوع الطرف للسرعة في الاتيان بالعرش .
 ﴿ أَتَهْتَدِي ﴾ ﴿ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ بينهما طباق سلب (٦) .

القرارات :

قوله تعالى : ﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ ﴾ (٣٩) .

﴿ أَنَا آتِيكَ ﴾ قرأ حمزة بالإمالة .

(١) صفوة التفاسير ، ج٢ ، ص ٤١١ .

(٢) انظر تفسير البحر المحيط ، ج٧ ، ص ٧٣ .

(٣) انظر تفسير البحر المحيط ، ج٧ ، ص ٧٣ .

(٤) صفوة التفاسير ، ج٢ ، ص ٤١١ .

(٥) المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٤١١ .

(٦) التفسير المنير ، ج١٩ ، ص ٣٠٠ .

﴿ أَنَا آتِيكَ ﴾ قرأ الباقون بغير إمالة (١) .

﴿ أَنَا آتِيكَ ﴾ قرأ نافع وأبو جعفر بالمد وصلماً (٢) .

قوله تعالى ﴿ وَكَشَفْتُ عَنْ سَاقِيهَا قَالِ إِنَّهُ صَرَحَ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

﴿ عَنْ سَاقِيهَا ﴾ قرأ قنبل عن ابن كثير بهمزة ساكنة بعد السين عوضاً عن الألف على لغة من يهمز حرف المد إذا وقع وسط الكلمة (٣) .

﴿ عَنْ سَاقِيهَا ﴾ قرأ الباقون بترك الهمز (٤) .

تحليل : يُرجح الإمام الرازي أن المراد بالذي عنده علم من الكتاب هو سليمان عليه السلام ويستدل بأقوال :

١- إن لفظ الذي موضوعة في اللغة للإشارة إلى شخص معين ، والشخص المعروف بأن عنده الكتاب هو سليمان عليه السلام

٢- لو حصل إحضار العرش بالسرعة العالية لاقتضى أن آصف أفضل من سليمان عليه السلام . وقصور حال سليمان عليه السلام في أعين الخلق .

٣- إن سليمان عليه السلام قال : ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ وظاهره يقتضي أن يكون القصد قد أظهره الله تعالى بدعاء سليمان عليه السلام . (٥)

والذي يراه الباحث :

أن المراد بالذي عنده علم من الكتاب هو آصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام وكان صديقاً يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب .

فلما طلب سليمان عليه السلام من جلسائه : مَنْ يستطيع أن يأتي بعرش بلقيس ؟ .

(١) انظر حجة القراءات ، ص ٥٢٩ .

(٢) إتحاف فضلاء البشر ، ج ٢ ، ص ٣٢٩ .

(٣) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٢٩ .

(٤) صحة القراءات ، ص ٥٣٠ .

(٥) انظر التفسير الكبير للرازي ، ج ٢٤ ، ص ٢٠١ .

كان طلبه حافزاً ليظهر عظمة ملكه وجيوشه والتسابق بين أفراد جيشه ،
وإلا لو أراد أن يأتي به لما طلب منهم أن يحضروا عرشها .

ولما رد العفرية على سليمان عليه السلام ﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ ﴾ أجابه سليمان عليه السلام
أريد أعجل فكان رد الذي عنده علم من الكتاب : ﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ ﴾ رد أعلى طلب
سليمان عليه السلام وليس في ذلك تفضيل آصف على سليمان عليه السلام أو قصور حال
سليمان عليه السلام في أعين الخلق كما يقول الإمام ، فقد سبق ذلك أنه لما وقف الهدد
أمام سليمان عليه السلام قال له أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ نبأ يقين " وليس
فيه تفضيل الهدد على سليمان عليه السلام والقول بذلك كلام غير دقيق وإنما هو
علم الله يؤتية من يشاء .

وكذلك لا يمكن أن يكون سليمان عليه السلام طلب ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ﴾
ورد على نفسه ﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ ﴾ .

الإعراب :

قال تعالى : ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ
كَافِرِينَ (٤٣) ﴾ .

الواو استئنافية ، صد : فعل ماضٍ مبني على الفتح و " ها " ضمير متصل في
محل نصب مفعول به مقدم .

﴿ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ ﴾ : ما اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل
صد ، كانت فعل ماضٍ ناقص مبني على الفتح والتاء تاء التانيث الساكنة لا محل
لها من الإعراب واسم كان ضمير مستتر جوازاً تقديره هي .

﴿ تَعْبُدُ ﴾ : فعل مضارع مرفوع بالضمة والفاعل مستتر فيه جوازاً تقديره هي .
والجملة الفعلية ، (تعبد) في محل نصب خبر كان ، وحذف مفعول (تعبد) لأنه
معلوم ، والتقدير : تعبد " ما " مصدرية فيكون المعنى وصدها عن التقدم إلى
الإسلام عبادة الشمس ونشؤها بين ظهراي الكفرة . وعلى هذا المعنى فالتقدير أن
(ما) وما بعدها في تأويل مصدر . في محل رفع فاعل " صدها " .

ويجوز أن يكون فاعل " صدها " ضميراً مستتراً تقديره هو أي ضلالها
بمعنى صدها ضلالها قبل ذلك .

وقيل : صدها الله أو سليمان عما كانت تعبد بتقدير حذف حرف الجر "
عن " وإيصال الفعل فتكون " ما " في محل نصب مفعولاً بعد نزع الخافض .
﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ : جار ومجرور متعلق بتعبد أو بحال محذوفة من الضمير
مفعول تعبد .

الله : لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور بالكسرة .

﴿ إِنَّهَا كَانَتْ ﴾ : إن حرف نصب وتوكيد و " ها " ضمير متصل في محل
نصب اسمها . (كانت) وخبرها في محل رفع خبر (إن) .

﴿ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ : جار ومجرور متعلق بخبر كان . كافرين صفة لقوم
مجرورة مثلها وعلامة جرهما الياء لأنها جمع مذكر سالم . (١)

المعنى الإجمالي :

لما اقترب وفد بلقيس من بلاد الشام جمع سليمان عليه السلام جنده من الجن
والإنس وغيرهما وخاطبهم بقوله : ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ
أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ من يستطيع أن يأتي بعرش بلقيس قبل وصولها مع وفدها
إلينا منقادين طائعين ، ليكون ذلك دليلاً على قدرة الله ، وصدق نبوة سليمان
عليه السلام ، وتعرف عظمة عجائب الله وبدائع قدرته فأجابه بعض جنده وكان عفريتاً
من الجن : ﴿ قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي
عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ وإني على حمله لقادر غير عاجز وأمين على ما فيه ثم أجابه
آخر بعد أن قال سليمان : أريد أعجل من ذلك ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ
أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ أي قال عالم من علماء اسرار الكتاب
الإلهي أنا أحضره في لمح البصر قبل أن تغمض عينيك وقبل أن يرجع إليك
نظرك ولعل هذا العالم هو آصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام . فذكروا أن

(١) انظر الإعراب المفصل ، ج ٨ ، ص ٣٠٩-٣١٠ .

أصف أمره أن ينظر نحو اليمين التي فيها هذا العرش المطلوب ثم قام فتوضأ ودعا الله تعالى ، يا ذا الجلال والإكرام ، فتمثل بين يديه : ﴿ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ أي فلما عاين سليمان وجماعته وجود سرير بلقيس الذي أُتي به من بلاد اليمن السعيد وراه ساكناً قائماً بين يديه قال هذا من فضل ربي ليختبرني أشكر بأن أراه فضلاً منه بلا حول ولا قوة مني ، أم أجدد فأنسب العمل لنفسي . ﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ أي ومن شكر النعمة فإن نفع الشكر عائد إليه .

ثم أمر سليمان عليه السلام بتغيير صفات عرش بلقيس ، ليختبر معرفتها فقال ﴿ قَالَ نَكْرُوا لَهَا عَرْشَهَا ﴾ بتغيير بعض صفاته وشكله وننظر أتعرفه أم لا : ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾ وهذا جواب رائع دل على كمال عقلها ودهائها وثبات شخصيتها . فشبهت عليهم من حيث شبهوا عليها .

فقال سليمان عليه السلام لقد أوتينا العلم بإسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها وكنا قبل مجيئها موحدين لله ، ثم أبان الله تعالى عذر بلقيس في عدم إعلانها الإسلام قبل ذلك فقال ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ ومنعها هو أنها كانت من قوم كافرين يعبدون الشمس فتأثرت بالبيئة التي نشأت فيها ولم تكن قادرة على تغييرها حتى جاءت سليمان عليه السلام الذي أحسن عرض الإسلام عليها وأقنعها بصحته ووجوب الاعتقاد بوحداية الله . فهو رب كل شيء ومليكه . (١)

﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

استضاف سليمان عليه السلام الملكة بلقيس بعد أن أعد لها صرحاً " قصرًا عظيمًا " وكان صحنه من الزجاج الأبيض الشفاف ، فلما رأت مدخله الفخم ظنت وجود ماء كثير فيه فكشفت عن ساقها فقال لها سليمان عليه السلام إنه قصر من

(١) انظر التفسير المنير ، ج١٩ ، ص٣٠٣ ، تفسير القرآن العظيم ، ج٦ ، ص٦٢-٦٣ .

الزجاج الأمد ذي السطح الأملس . وإن الماء يجري تحته لا فيه ، وحينئذ استدلت بكل ما رأت على التوحيد والنبوة فأعلنت إسلامها وأراد الله لها الخير والهداية فقالت ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أي رب ظلمت نفسي بعبادة غيرك وأسلمت مع سليمان وخضعت لله رب العالمين (١) .

الدروس المستفادة :

- ١- استعمال كافة الوسائل لمعرفة أحوال الأعداء وتحركاتهم والعمل بكل الوسائل لبيان التفوق العلمي والعسكري .
- ٢- ظهور قدرة الله على يد رجل مؤمن عالم بكتاب الله وأسراره ، وتفوق قوة الإيمان على ما سواها من قوة .
- ٣- سمو مرتبة العلم ورفعة العلماء في الدنيا والآخرة إذا عملوا مما علموا .
- ٤- ظهور المعجزة على يد الأنبياء أمر موجب للشكر والحمد لله تعالى فلما رأى سليمان العرش مستقراً عنده ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي ﴾ أي هذا النصر والتمكين من فضل ربي .
- ٥- دوام النعمة بالشكر لله وبه تُنال النعمة المفقودة أيضاً ، وبالمعاصي تزول النعم .
- ٦- الجن مخلوق من مخلوقات الله تعالى مكلف بالصدق والأمانة .
- ٧- تأثير البيئة على حياة الأفراد والجماعات ، فبيئة الإيمان خير وبيئة الكفر شر .
- ٨- أثر القيادة الحكيمة على توجيه الأمة إلى طريق الهداية والنور .
- ٩- قبول الاعتذار لمن جاء به ، وأثر ذلك على تطيب النفوس .
- ١٠- تكريم الضيوف وبيان حسن استقبالهم .
- ١١- استعمال أفضل الوسائل في الوصول إلى طريق الهداية .
- ١٢- الإيمان بعصمة الأنبياء وتنزيههم عما لا يليق بهم .

(١) انظر التفسير المنير ، ج١٩ ، ص٣٠٥ ، وتفسير ابن كثير ، ج٦ ، ص٦٥ .

١٣- التحذير من الإسرائيليات التي تشوه صورة الأنبياء .

المبحث الرابع

دعوة صالح عليه السلام لقومه

قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ * قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ * وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ * قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ * وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ * فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ (النمل : ٤٥-٥٣) .

المناسبة :

بعد ذكر قصص كل من موسى وداود وسليمان - عليهم السلام - وهم من بني إسرائيل ، ذكرت قصة من هم من العرب ثمود ، أي عاد الآخرة وصالح عليه السلام إذ هو أخوهم في النسب وذلك لتذكير قريش وتنبيههم إلى من تقدم من العرب من أنبياء كانوا يدعون إلى إفراد الله بالعبادة وأن شأن الأنبياء عربهم وعجمهم هو الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له . (١)

التحليل اللفظي :

﴿ وَلَقَدْ ﴾ : الواو استئنافية ، واللام لام قسم وذلك لتأكيد الإرسال باعتبار ما اتصل به تعين الخبر ، أو لتنزيل المخاطبين منزلة من يتردد فيما تضمنه الخبر وجعل حالهم كمن ينكر الخبر .

(١) انظر التفسير المنير ، ج ١٩ ، ص ٣١٦ .

﴿ أَرْسَلْنَا ﴾ : الإرسال يقتضي الرسول والرسالة . والمعنى بعثنا . (١)

﴿ تَمُودًا ﴾ : اسم قبيلة من العرب وهم قوم صالح عليه السلام ، وهي مدينة في اليمن . (٢)

﴿ أَخَاهُمْ ﴾ : من أخ ومثناه أخوان وجمعه إخوة وإخوان وهو مَنْ جَمَعَهُ وإياهم صُلب أو بطن أو رضاعة . (٣)

﴿ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ : أي وحدوه وأقروا له بالوحدانية والعبادة وهذا تفسير لما دل عليه أرسلنا . (٤)

﴿ فَإِذَا هُمْ ﴾ : أي القوم ، وإذا حرف فجائي والمعنى فاجأ إرسال صالح تفرقهم واختصامهم .

﴿ فَرِيقَانِ ﴾ : من فريق وجمعه فرقاء وأفرقة وهم طائفة من الناس ، والمعنى فريق مؤمن مصدق ، وفريق كافر مكذوب . (٥)

﴿ يَخْتَصِمُونَ ﴾ : من اختصم اختصاماً . والاختصام واقع مع صالح عليه السلام ابتداء ومع أتباعه (٦) .

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ ﴾ : لما كان الاختصام بين الفريقين في شأن صالح ابتداء جيء بجواب صالح بما تضمنه اختصامهم من محاولتهم إفحامه بطلب العذاب . (٧)

﴿ لِمَ ﴾ : اللام حرف جر و"ما" اسم استفهام مبني ، وقد سقطت ألف ما لأنها جرت بحرف جر . (٨)

-
- (١) انظر التحرير والتنوير ، ج ١٩ ، ص ٢٧٨ .
- (٢) انظر حاشية الصاوي على الجلالين ، ج ٢ ، ص ١٦٥ .
- (٣) المعجم العربي الأساسي ، ص ٦٨ .
- (٤) انظر التحرير والتنوير ، ج ١٩ ، ص ٢٧٨ .
- (٥) انظر حاشية الصاوي على الجلالين ، ج ٢ ، ص ١٦٥ .
- (٦) المعجم العربي الأساسي ، ص ٤٠٠ ، والتحرير والتنوير ، ج ١٩ ، ص ٢٧٨ .
- (٧) انظر التحرير والتنوير ، ج ١٩ ، ص ٢٧٨ .
- (٨) انظر الاعراب المفصل ، ج ٨ ، ص ٣١٤ .

﴿ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ : من استعجل يستعجل استعجالاً أي لم تستعجلون بطلب العقوبة التي يسوءكم نزولها بكم ، قبل حصول الخيرات التي بشركم بها في الدنيا والآخرة إن آمنتم بالله (١) .

﴿ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ﴾ : السيئة صفة لمحذوف أي الحالة السيئة في معاملتهم إياه بتكذيبهم إياه والمراد بالحسنة أي تصديقهم لما جاء به والمعنى لم تؤخرون الإيمان الذي يجلب إليكم الثواب وتقدمون الكفر الذي يجلب لكم العذاب . (٢)

﴿ لَوْلَا ﴾ : حرف تحضيض بمعنى هلا وهو حرف امتناع لوجود والغرض منها التوبيخ . (٣)

﴿ تَسْتَغْفِرُونَ ﴾ : من استغفر يستغفر استغفاراً ، والمعنى هلا تتوبون إلى الله من كفركم ...

﴿ لَعَلَّكُمْ ﴾ : حرف من نواسخ الابتداء يفيد الترجي . (٤)

﴿ تُرْحَمُونَ ﴾ : من رحم يرحم رحمة ومرحمة (٥) .

والمعنى : هلا تستغفرون ربكم وتؤمنون به قبل نزول العذاب لعله يرحمكم وجاء الخطاب تنبيهاً لهم على الخطأ والتجهيل فيما قالوه وفيما اعتقدوه .
﴿ اَطِيرْنَا ﴾ : اطيّر يطير به أو منه تطير : أي تشاءم . والمعنى تشاءمنا منك والشؤم أطلق عليه التطير لأن أكثره ينشأ من الاستدلال بحركات الطير . وكان التطير من أوهام العرب وشمود من العرب ، فقولهم المحكي هنا هو مماثلة من كلامهم ولا يريدون التطير الحاصل من زجر الطير لأنه يمنع من ذلك قولهم ﴿ بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ ﴾ .

﴿ قَالَ طَائِرُكُمْ ﴾ : أجاب صالح عليه السلام على كلامهم بأنه ومن معه ليسوا سبب شؤم ولكن سبب شؤمهم وحلول المضار بهم هو من قدرة الله وقد خاطبهم صالح عليه السلام

(١) النظر المعجم العربي الأساسي ، ص ٨٢٣ .

(٢) انظر حاشية الصاوي على الجالين ، ج ٢ ، ص ١٦٥ .

(٣) انظر المعجم العربي الأساسي ، ص ١١١٩ .

(٤) انظر الاعراب المفصل ، ج ٨ ، ص ٣١٤ .

(٥) انظر المعجم العربي الأساسي ، ص ٥١٢ .

بما يفهمونه لإصلاح اعتقادهم بقريظة قولهم اطيننا بك . (١)
﴿ طَائِرِكُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ : أي جزاء عملكم من عند الله عاملكم به فالشؤم وصفكم
لا وصفها وسُمي طائراً لأنه يأتي الظالم بغتة وسرعة كنزول الطائر . (٢)
و﴿ عِنْدَ ﴾ : للمكان المجازي لتحقيق شأن من شؤون الله به يقدر الخير والشر
وهو تصرف الله وقدره . (٣)

﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾ : بل تفيد الإضراب عن مضمون قولهم ﴿ اطِيرْنَا بِكَ
وَبِمَنْ مَعَكَ ﴾ بأن لا شؤم بسببه هو ومن معه ، ولكن الذين زعموا ذلك قوم فتنهم
الشیطان فتنة متجددة بإلقاء الاعتقاد بصحة ذلك في قلوبهم . (٤)

و﴿ تُفْتَنُونَ ﴾ : جاءت بصيغة المضارع لدلالاته على تجدد الفتون التي يتعرضون
لها بسبب ظلمهم أنفسهم ، و ﴿ تُفْتَنُونَ ﴾ : من فتن يَفْتِنُ فِتْنَةً أي تختبرون
أو تعذبون أو يفتنكم الشيطان بوسوسته إليكم الطيرة . (٥)

﴿ الْمَدِينَةَ ﴾ : جمعها مدائن ومُدُن وهي تَجْمَعُ عمرانى أهل بالسكان ، والمقصود
حجر ثمود . (٦)

﴿ رَهْطٍ ﴾ : جمعه أرهط و أرهاط لا واحد له من لفظه ، وهم جماعة من ثلاثة
إلى سبعة أو إلى عشرة أو دون العشرة . (٧)

وإضافة تسعة إليه من إضافة الجزء إلى اسم الكل على التوسع . وكان
هؤلاء الرهط من عتاة القوم . واشتهر أن الذي عقر الناقة اسمه قُدَار . (٨)
﴿ يُفْسِدُونَ ﴾ : أي شأنهم وعملهم الفساد في الأرض الذي لا يخالطه صلاح . (٩)

(١) انظر التحرير والتنوير ، ج ١٩ ، ص ٢٨١ .

(٢) انظر حاسية الصاوي على الجالين ، ج ٢ ، ص ١٦٥-١٦٦ . ، تفسير المراغي ، ج ١٩ ، ص ١٤٧ .

(٣) انظر التحرير والتنوير ، ج ١٩ ، ص ٢٨١ .

(٤) انظر المصدر السابق ، ج ١٩ ، ص ٢٨١ .

(٥) المعجم العربي الأساسي ، ص ٩١٦ .

(٦) المصدر السابق ، ص ١١٢٥ ، تفسير النسفي ، ج ٣ ، ص ٢١٥ .

(٧) نفس المصدر ، ص ٥٥٥ .

(٨) انظر التحرير والتنوير ، ج ١٩ ، ص ٢٨٢ .

(٩) فتح القدير ، ج ٤ ، ص ١٧٨ .

﴿ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ : أي امتازوا بالإفساد ولم يكونوا ممن خلطوا إفساداً بإصلاح (١) ، والمعنى كان في مدينة صالح وهي حجر ثمود تسعة أنفس يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، وإفسادهم في الأرض كفرهم بالله ومعصيتهم إياه ، وخص هؤلاء التسعة بالخبر لأنهم سعوا في عقر الناقة وتعاونوا عليه ، وتحالفوا على قتل صالح من بين قوم ثمود . (٢)

﴿ تَقَاسَمُوا ﴾ : من تقاسم يتقاسم تقاسماً: أي أقسم كل منهم لصاحبه على أن يبيتوه وأهله ليلاً ليقتلوه.

﴿ بِاللَّهِ ﴾ : أي حلفوا بالله ، وفي ذلك دلالة على أنهم قد بلغوا وحدانية الله ووصلتهم رسالته وأنهم يعرفون الله ، وإن لم يؤمنوا به . (٣)

﴿ لَنُبَيِّتَنَّهُ ﴾ : من بيَّت يُبيِّتُ تبييتاً ... والتبييت والبيات : هو مباغطة العدو ليلاً (٤). والضمير في ﴿ لَنُبَيِّتَنَّهُ ﴾ عائد إلى صالح ﷺ ، والمعنى أنهم يغيرون على بيته ليلاً فيقتلونه وأهله غدرا من حيث لا يُعرف قاتله ثم ينكرون أن يكونوا هم الذين قتلوه أو شهدوا قتلهم . (٥)

﴿ لَوْلِيَّهِ ﴾ : أي ولي دم من قتل وجمعه أولياء .

﴿ مَا ﴾ : حرف نفي

﴿ شَهِدْنَا ﴾ : من شهد تشهّدُ شهادة ومشهداً فهو شاهد والمعنى رآه وعينه . (٦)

﴿ مَهْلِكٌ أَهْلَهُ ﴾ : من هلك بمعنى الهلاك وهو موة السوء والمعنى ما رأينا من قتله وقتل أهله . (٧)

(١) انظر التحرير والتنوير ، ج١٩ ، ص٢٨٢

(٢) جامع البيان ، ج١٩ ، ص٢٠٩ .

(٣) انظر المعجم العربي الأساسي ، ص٩٨٥ .

(٤) انظر المصدر السابق ، ص١٨٦ ، ج١٩ ، ص٢٨٣ .

(٥) انظر التحرير والتنوير ، ج١٩ ، ص٢٨٣ .

(٦) المعجم العربي الأساسي ، ص٧٠٥ .

(٧) انظر التفسير المنير ، ج١٩ ، ص٣١٥ .

﴿ أَهْلَهُ ﴾ : أي من آمن به (١) ، والمعنى أقسم هؤلاء التسعة لبعضهم على أن يأتوا صالحاً وأهله ليلاً فيقتلوه ثم يقولوا لولي دمه ما رأينا من قتله .
 ﴿ وَمَكْرُؤًا ﴾ : من مكر يَمَكُرُ مَكْرًا فهو ماکر أي خادع ، والمكر : التدبير الخفي لعمل الشر (٢) والمعنى أي أرادوا إخفاء ما بيتوا من قتل صالح وأهله .
 ﴿ وَمَكْرَنًا مَكْرًا ﴾ : أي جازيناهم بتعجيل إهلاكهم من حيث لا يشعرون . (٣)

والمعنى : غدر هؤلاء التسعة الرهط الذين يفسدون في الأرض بنبيهم صالح عليه السلام بسيرهم إليه ليلاً ليقتلوه وأهله الذين آمنوا به ولم يشعر صالح بمكرهم فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر وعجل لهم العذاب وهم لا يشعرون بما دبر الله لهم من العذاب . (٤)

﴿ فَانظُرْ ﴾ : تأمل وتفكر .

﴿ عَاقِبَةُ ﴾ : أي جزاء .

﴿ مَكْرِهِمْ ﴾ : تأمرهم وخداعهم .

﴿ دَمْرِنَاهُمْ ﴾ : من دمر يدمر تدميراً....أي أهلكناهم وحطماناهم . (٥)

﴿ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ : أي دمرناهم بصيحة جبريل عليه السلام أو برمي الملائكة إياهم بحجارة يرونها ولا يرون الملائكة (٦) ، والمعنى تأمل أيها الرسول كيف كان مصير من غدر وتآمر أنا أهلكناهم وقومهم جميعاً ولم نبق أحداً وفي هذا موعظة لمن غدر كغدرهم أنه سيكون حاله كحالهم . (٧)

﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ ﴾ : أي ديارهم .

(١) حاشية الصاوي على الجلالين ، ج ٢ ، ص ١٦٦ .

(٢) انظر المعجم العربي الأساسي ، ص ١١٤٦ .

(٣) انظر حاشية الصاوي على الجلالين ، ج ٢ ، ص ١٦٦ .

(٤) انظر جامع البيان ، ج ١٩ ، ص ٢١١ .

(٥) انظر المعجم العربي الأساسي ، ص ٨٥٢ .

(٦) انظر التفسير المنير ، ج ١٩ ، ص ٣١٦ .

(٧) انظر تفسير الراعي ، ج ١٩ ، ص ١٤٨ .

﴿ خَاوِيَةً ﴾ : من خوى يخوي خواء فهو خاوي . الخاوي ، أي خلا من أهله
وسكانه . (١)

﴿ بِمَا ظَلَمُوا ﴾ : أي بظلمهم وكفرهم .

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴾ : لعبرة وموعظة .

﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ : قدرة الله فيتعظون (٢) .

والمعنى : أي تلك مساكنهم خالية منهم بسبب ظلمهم أنفسهم وتكذيبهم
صالحاً الصلوات (٣) .

﴿ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ : من أنجى يُنجي إنجاء أي خَلَّصه (٤) .

﴿ وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ : أي يتقون الشرك والكفر والمعاصي ، فلذلك خصوا
بالنجاه . (٥) والمعنى : وأنجينا من نعمتنا وعذابنا الذي أحللناه بثمود ، صالحاً
ومن معه لأنهم كانوا يتقون الله ويخافون شديد عقابه . (٦)

البلاغة :

قوله : ﴿ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴾ الانتقال من التثنية إلى الجمع ، وأعيد ضمير
يختصمون على المثني باعتبار اشتغال الفريقين على كثير من الأفراد .

﴿ فَرِيقَانِ ﴾ فيها إيجاز أي فريق مؤمن مصدق وفريق كافر مكذب .

﴿ يَخْتَصِمُونَ ﴾ جاءت بصيغة المضارع لمقصد استمرار الخصام الذي دب بين
الفريقين (٧) .

قوله : ﴿ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ﴾ طباق . وتسمية العذاب والعقاب
بالسيئة مجاز (٨) .

(١) المعجم العربي الأساسي ، ص ٤٣٠ ، والأساس في البلاغة للامام الزمخشري ، ص ١٧٨ .

(٢) التفسير المنير ، ج ١٩ ، ص ٣١٦ .

(٣) انظر جامع البيان ، ج ١٩ ، ص ٢١٣ .

(٤) انظر المعجم العربي الأساسي ، ص ١١٧٦ .

(٥) انظر التفسير المنير ، ج ١٩ ، ص ٣١٦ ، وحاشية الصاوي على الجالين ، ج ٢ ، ص ١٦٦ .

(٦) انظر جامع البيان ، ج ١٩ ، ص ٢١٣ .

(٧) انظر التحرير والتوير ، ج ١٩ ، ص ٢٧٨ .

(٨) انظر صفوة التفسير ، ج ٢ ، ص ٤١٦ .

قوله : ﴿ اَطِيرْنَا ﴾ ﴿ طَائِرُكُمْ ﴾ جناس اشتقاق . (١)
﴿ تَفْتَنُونَ ﴾ : جاءت بصيغة المضارع بعد الإضراب لتأكيد الفتنة التي يتعرضون لها واستمرارها بسبب ظلمهم أنفسهم .

قوله : ﴿ يُفْسِدُونَ ﴾ و ﴿ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ . طباق (٢)
﴿ (وَمَكْرُوا وَمَكْرَنَا ﴾ سَمَى تَعَالَى إِهْلَاكِهِمْ وَتَدْمِيرِهِمْ مَكْرًا . (٣)
القراءات :

﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ (النمل: ٤٩)

﴿ لَنُبَيِّتَنَّهُ ﴾ : قرأ حمزة والكسائي بالتاء وضم التاء الثانية
﴿ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ ﴾ : بالتاء أيضاً وضم اللام
﴿ وَلَنُبَيِّتَنَّهُ ﴾ : قرأ الباقون بالنون فيهما وفتح التاء واللام وحجتهم قوله ﴿ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ وجعلوا ﴿ تَقَاسَمُوا ﴾ أمراً كأنهم قالوا :
احلفوا لنبيته .

﴿ مَهْلِكَ ﴾ : قرأ حفص مهلك بفتح الميم وكسر اللام وهي اسم المكان على معنى ما شهدنا موضع هلاكهم ومكانهم .

﴿ مَهْلِكَ ﴾ : قرأ الباقون بضم الميم وفتح اللام . جعلوه مصدراً من أهلك يُهْلِكُ مُهْلِكًا وإِهْلَاكًا . (٤)

قوله تعالى ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (النمل: ٥١) .

﴿ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ ﴾ : قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر الألف على الابتداء واستئناف خبر وحجتهم أن الكلام متناه عند قوله تعالى ﴿ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ ﴾ و ﴿ عَاقِبَةُ ﴾ اسم مكان و ﴿ كَيْفَ ﴾ في موضع نصب خبر كان .

(١) التفسير المنير ، ج١٩ ، ص٣١٥ .

(٢) صفوة التفاسير ، ج٢ ، ص٤١٦ .

(٣) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٤١٦ ، والتفسير المنير ، ج١٩ ، ص٣١٥ .

(٤) انظر حجة القراءات ، ص٥٣٠-٥٣١ .

﴿أَنَا دَمَرْنَاَهُمْ﴾ قرأ أهل الكوفة بالفتح وحجتهم قراءة أبي ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
مَكْرِهِمْ أَنْ دَمَرْنَاَهُمْ﴾ (١) .

الإعراب :

﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ
وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ .

﴿قَالُوا﴾ فعل ماضٍ مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة والواو ضمير
متصل في محل رفع فاعل .

﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾ الجملة الفعلية في محل نصب مفعول به - مقول القول .

﴿تَقَاسَمُوا﴾ فعل أمر مبني على حذف النون لأن مضارعه من الأفعال الخمسة
والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل .

﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ اللام واقعة في جواب القسم لا عمل لها .

﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة وهي
لا محل لها ، والهاء ضمير متصل مبني على الضم في محل نصب مفعول به .

﴿وَأَهْلَهُ﴾ الواو عاطفة . أهله معطوفة على ضمير لنبييته . منصوبة بالفعل
وعلامة نصبها الفتحة . والهاء ضمير متصل مبني على الضم في محل جر

بالإضافة وجملة ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ جواب القسم لا محل لها من الإعراب (٢) .

المعنى الإجمالي :

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ
يَخْتَصِمُونَ﴾ .

أي تالله لقد بعثنا إلى قبيلة ثمود العربية أخاهم في النسب والقبيلة صالحاً
عليه السلام يدعوهم إلى الله وحده لا شريك له فانقسموا إلى فريقين : مؤمن مصدق
برسالة صالح عليه السلام وما جاء به من عند الله . وفريق مكذب برسالة صالح عليه السلام .

(١) انظر حجة القراءات ، ص ٥٣٢ ، وإتحاف فضلاء البشر ، ج ٢ ، ص ٣٣٠ .

(٢) انظر الإعراب المفصل ، ج ٨ ، ص ٣١٧ .

وأخذ الفريقان يتجادلان ويتنازعان في الدين . كل فريق يقول الحق معي وغيري على الباطل .. (١) .

أجاب صالح ﴿ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ﴾ أي لم تطلبون أو تتعجلون نزول العقاب قبل أن تطلبوا من الله رحمته أو ثوابه الذي مكنكم من التوصل إليه بالإيمان . فلماذا تعدلون عنه إلى استعجال عذابه ، وكان هذا جواباً لهم حينما توعدهم صالح عليه السلام بالعذاب إن لم يؤمنوا بالله وحده . فقالوا ﴿ يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (الأعراف: ٧٧) ، ﴿ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (النمل : ٤٦) أي هلا تطلبون من الله المغفرة وتتوبون إليه من كفركم لكي ترحموا ، لأنه إذا نزل العذاب لم تنفعكم التوبة باستغفاركم إياه من كفركم (٢) .

قالوا : ﴿ اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ ﴾ أي قال قومه له لقد تشاءمنا منك وممن آمن معك ولم نر خيراً منكم أبداً فقد افترقنا ووقع الشقاق بيننا .

﴿ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ أي قال صالح عليه السلام شؤمكم وتفاؤلكم وما يصيبكم من شر أو خير هو قدر الله أتاكم به ، وهو مكتوب عند الله ، والله يجازيكم على ذلك ، فهو إن شاء رزقكم وإن شاء حرملكم أو من عمل العبد الذي هو سبب في الرحمة والنقمة (٣) .

﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾ أي بل إنكم قوم تختبرون بالطاعة والمعصية حين أرسلني الله إليكم ، فإن أطعتم أجزل الله لكم الثواب ، وإن عصيتم حل بكم العقاب . ثم أخبر الله تعالى عن طغاة ثمود ورؤوسهم فمدينة ثمود مرتع الفساد فقال تعالى : ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ أي كان في مدينة ثمود تسعة نفرٍ أظهروا الفساد الذي لا صلاح فيه وهم الذين تواطئوا على عقر الناقة وعلى قتل صالح عليه السلام ومن آمن به .

(١) انظر جامع البيان ، ج ١٩ ، ص ٢٠٨ ، والتفسير المنير ، ج ١٩ ، ص ٣١٧ .

(٢) انظر جامع البيان ، ج ١٩ ، ص ٢٠٨ ، والتفسير المنير ، ج ١٩ ، ص ٣١٧ .

(٣) انظر تفسير النسفي ، ج ٣ ، ص ٢١٥ .

فقال تعالى ﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ أي قال بعضهم لبعض في المشاورة بشأن صالح بعد أن عقروا الناقة احلفوا لنا لنباغتنه وأهله الذين آمنوا معه ليلاً . فنقتلهم ، فهذا تحالف على قتل نبي الله صالح عليه السلام ليلاً قتل غيلة ثم تحالفوا على أن يقولوا لأولياء الدم أو القصاص إذا مات ما حضرنا هلاكهم ولا ندري من قتلهم وإنا لصادقون في قولنا (١) .

وكان تأمرهم على قتل صالح بعد أن توعدهم على عقربهم الناقة فقال لهم ﴿ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدَّ غَيْرُ مَكْدُوبٍ ﴾ (هود: من الآية ٦٥) .
ولكن الله كادهم وأحبط مؤامرتهم وجعل الدائرة عليهم فقال : ﴿ وَمَكْرُوهًا مَكْرًا وَمَكْرَنًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أي دبوا مؤامرة وكادوا كيداً خفياً ولكننا جازيناهم وأهلكناهم وعجلنا لهم العقاب . دون أن يشعروا بمجيئه ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله : ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ أي فتأمل أيها الرسول وكل سامع كيف كان مصير تأمرهم أنا أهلكناهم وقومهم جميعاً إلا الذين آمنوا بصالح عليه السلام . (٢)

قوله : ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ : أي فتلك مساكنهم خاوية منهم بسبب ظلمهم أنفسهم وشركهم بالله وتكذيبهم رسولهم ، إن في فعلنا بتمود لآية واضحة لقوم يعتبرون بغيرهم .
﴿ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ وأنجينا من نعمتنا وعذابنا صالحاً عليه السلام ومن آمن معه . لأنهم كانوا يتقون الله بإيمانهم وبتصديقهم صالحاً . (٣)

الدروس المستفادة :

- ١- وحدة دعوة الأنبياء أن اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً .
- ٢- الناس أمام دعوة الأنبياء والرسول فريقان مؤمن مصدق بالرسالة وكافر جاحد بها .

(١) انظر التفسير المنير ، ج ١٩ ، ص ٣١٩ ، وتفسير النسفي ، ج ٣ ، ص ٢١٦ .

(٢) انظر التفسير المنير ، ج ١٩ ، ص ٣١٩ .

(٣) انظر جامع البيان ، ج ١٩ ، ص ٢١٣ .

- ٣- رحمة الأنبياء شاملة العصاة وغيرهم ، والرافة بالناس أسلوب من أساليب الدعوة (١) .
- ٤- الإسلام ينهى عن التشاؤم ، عن أم كُرْز (٢) رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول (أَقْرُوا الطير على وكناتها) (٣) .
- ٥- لا يحق المكر السيء إلا بأهله . فقد كان مكر قوم ثمود بصالح ﷺ والتأمر عليه سبباً لإهلاكهم .
- ٦- قادة السوء ودعاة الكفر أشد الناس عذاباً يوم القيامة .
- ٧- تشاؤم بعض الناس بعدد تسعة بسبب قصة ثمود ، وهذا من التشاؤم المنهي عنه .
- ٨- بقيت آثار الدمار شاهدةً على سوء أفعال ثمود ، فصارت بيوتهم خالية من السكان بسبب ظلمهم أنفسهم بالكفر والفساد والمعاصي ، وفي ذلك عبرة للمعتبر .
- ٩- القتل وسيلة من وسائل أئمة الكفر للتخلص من المخالفين لهم .
- ١٠- نجاة الأنبياء سنة ربانية . وهلاك الكافرين حتمية قرآنية .
- ١١- مراقبة الله لأعمال الطغاة والظلمة وإمهالهم أو تعجيل عذابهم أو استدراجهم (٤) .
- ١٢- الاعتبار من مصائر الغابرين .
- ١٣- الظلم سبب لخراب البيوت ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا ﴾ .
- ١٤- البشارة لأهل الإيمان بالنجاة والنصر والتمكين ولو بعد حين .

(١) انظر التفسير المنير ، ج١٩ ، ص٣٢٠-٣٢٢ .

(٢) أم كرز بضم أوله وسكون الراء بعدها زاي ، الكعبية ، المكية صحابية لها أحاديث روى لها النسائي - تقريب التهذيب ، ج٢ ، ص٤٥٣ .

(٣) المستدرک على الصحيحين كتاب الذبائح باب الغلام مرتين بعقيقته ، ج٤ ، ص٢٣٧ .

(٤) جامع البيان ، ج١٩ ، ص٢١١ .

المبحث الخامس

قصة لوط عليه السلام

قال تعالى ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ * أَلَيْسَ لِقَوْمِهِ الرَّجَالُ شَهْوَةٌ مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَتَطَهَّرُونَ * فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا مِنَ الْغَابِرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ (النمل : ٥٤-٥٨) .

المناسبة :

بعد ذكر دعوة صالح عليه السلام عقب سبحانه وتعالى بذكر قصة قوم لوط عليه السلام وهو جار على ما اعتاد عليه القرآن في ترتيب قصص هذه الأمم فان قوم لوط كانوا متأخرين في الزمن عن ثمود وقصد بها التحذير من مخالفة أوامر الله واقتراف المعاصي لئلا ينزل بالعصاة من العذاب مثل ما وقع بمن قبلهم (١) .

التحليل اللفظي :

﴿ وَلُوطًا ﴾ : الواو : عاطفة إما على صالح أو على المؤمنين .
ولوط : نبي راج في قومه اللواط فأبادهم الله تعالى والمعنى واذكر لوطاً (٢) .
﴿ الْفَاحِشَةَ ﴾ : اللواط أي مباشرة الذكور للذكور ، وذكرها باسم الفاحشة ليبين أنها في شناعة الزنا ، وجمعها فواحش وهو كل قول أو فعل شنيع (٣) .
﴿ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ : أي تعلمون فحشها ، أو تفعلون ذلك علناً يبصر بعضكم بعضاً فالتجاهر بالمعصية معصية وإعلانها أفحش .

(١) انظر التحرير والتنوير ، ج ١٩ ، ص ٢٨٧ ، وتفسير النسفي ، ج ١٩ ، ص ٣٢٣ .

(٢) انظر المعجم العربي الأساسي ، ص ١١٠٨ .

(٣) انظر التحرير والتنوير ، ج ١٩ ، ص ٢٨٨ .

واللواط أصلها من لَاط يَلُوطُ لَوِاطاً وَلَوِاطَةً . وهو فعل قبيح اشتهر به قوم نبي الله لوط عليه السلام (١) .

﴿ أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرَّجَالَ ﴾ : استفهام إنكاري توبيخي ، والمعنى كيف تقبلون إتيان الرجال . وفي تخصيص الرجال بيان للشذوذ الجنسي وأنه انتكاس للفطرة وترك لما أحل الله من الاستمتاع بالنساء (٢) .

﴿ شَهْوَةٌ ﴾ : مصدر شهى أي للشهوة ، أو مشتبهين لهم .
﴿ مِنْ دُونِ النِّسَاءِ ﴾ أي اللاتي خلقهن لذلك ، أو متجاوزين النساء اللاتي هن محل لذلك أي أن الله تعالى إنما خلق الأنثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الأنثى للأنثى فهي مضادة لله في حكمته (٣) .

﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ عاقبة فعلكم ، أو تفعلون فعل من يجهل قبحها ، أو سفيهاً لا يميز بين الحق والقبيح (٤) .

﴿ جَوَابَ ﴾ جمعه أجوبة وهي من أجاب يجيب إجابة ، والمعنى رد عليه وأفاده عما قال (٥) .

﴿ أَخْرَجُوا ﴾ : من أخرج يُخرج إخراجاً والمعنى اطرءوا .

﴿ آلَ لُوطٍ ﴾ : أهله ، أي لوط عليه السلام ومتبعيه .

﴿ مِنْ قَرْيَتِكُمْ ﴾ : أي من مدينة سدوم .

﴿ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ : من تطهَّر يتطهر تطهيراً ، أي يتنزهون عن القاذورات وقيل هو استهزاء ، والطهارة نوعان جسمية ومعنوية كطهارة القلب والنفس ، والمعنى ينزهون أنفسهم عن أفعالنا ويزعمون أنها من القاذورات (٦) .

﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ ﴾ أي فخلصناه من العذاب الواقع بالقوم .

﴿ قَدَرْنَاهَا ﴾ من قَدَّر يُقَدِّرُ تقديرًا وقَدَّرَ الشيءَ قَوِّمَهُ وحَكَمَ عليه .

(١) المعجم العربي الأساسي ، ص ١١٠٨ .

(٢) انظر التفسير المنير ، ج ١٩ ، ص ٣٢٣ .

(٣) انظر تفسير النسفي ، ج ٣ ، ص ٢١٧ ، وفتح القدير ، ج ٤ ، ص ١٨٠ .

(٤) انظر الكشاف ، ج ٣ ، ص ١٥٣ .

(٥) المعجم العربي الأساسي ، ص ٢٧٦ .

(٦) انظر تفسير النسفي ، ج ٣ ، ص ٢١٧ ، والمعجم العربي الأساسي ، ص ٨١١ .

قال الراغب : فتقدير الله على وجهين أحدهما : بالحكم منه أن يكون كذا ولا يكون كذا والثاني : إعطاء القدرة عليه ^(١) ، والمعنى قضينا وحكمنا أنها من الباقيين في العذاب .

﴿ الغَابِرِينَ ﴾ : من غَبَرَ يَغْبُرُ غُبوراً فهو غابِرٌ : من الأفعال التي لها معنيان متضادان الأول : بَقِيَ ﴿ إِذَا امْرَأَتُهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ الثاني مضى " حدث ذلك في الأزمان الغابرة " ^(٢) .

والمعنى : اقتضت سنة الله تعالى نجاة لوط عليه السلام ومن معه إلا امرأته حكمنا عليها أنها من الهالكين مع قومها لأنها كانت رداءً لهم على دينهم وعلى طريقتهم في رضاها بأفعالهم القبيحة ^(٣) .

﴿ وَأَمْطَرْنَا ﴾ من أَمْطَرَ يُمَطِّرُ إِمطاراً .. أصابه ونزل عليه ^(٤) .

قال الراغب : المَطْرُ الماء المنسكب ، وقيل إن مطر يقال في الخير ، وأمطر في العذاب قال تعالى ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطْراً ﴾ والمعنى أنزلنا عليهم وأصبناهم بحجارة من سجيل مكتوباً عليها اسم صاحبها ^(٥) .

﴿ فَسَاءَ ﴾ من ساء يسوء سَوَاءً سيئاً ، فسَاءَ هنا تجري مجرى بئس ^(٦) .

قال الراغب : السُّوءُ كل ما يَغْمُ الإنسان من الأمور الدنيوية والأخروية ومن الأحوال النفسية والبدنية والخارجة من فوات مال أو جاه أو فقد حميم ^(٧) .

﴿ الْمُنذِرِينَ ﴾ من أُنذِرَ والإنذار إخبار فيه تخويف كما أن التبشير إخبار فيه سرور ^(٨) والمعنى أنزلنا عليهم مطراً غير ما عهدوه فهي حجارة مكتوب عليها

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٤٠٩-٤١٠ .

(٢) المعجم العربي الأساسي ، ص ٨٨٤ ، ومعجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٣٦٩ .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ، ج ٦ ، ص ٦٨ .

(٤) المعجم العربي الأساسي ، ص ١١٤١ .

(٥) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٤٩٠ ، وتفسير النسفي ، ج ٣ ، ص ٢١٧ .

(٦) المعجم العربي الأساسي ، ص ٦٥٠ .

(٧) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٢٥٢ .

(٨) المصدر السابق ، ص ٥١٨ .

أسماء أصحابها فبئس صباح الذين لم يقبلوا الإنذار وخالفوا الرسول وكذبوه وهموا بإخراجه من بينهم (١) .

البلاغة :

﴿ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ : استفهام إنكاري توبيخي (٢) .
﴿ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ الجملة الاسمية تفيد زيادة في التشنيع أي كيف تفعلون ذلك علناً يبصر بعضكم بعضاً (٣) .

﴿ أَلَيْسَ لَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً ﴾ استفهام إنكاري توبيخي: والمعنى كيف تقبلون إتيان الرجال من غير النساء ، فهذا شذوذ جنسي وانتكاسة للفترة وترك ما أحل الله .
﴿ تُبْصِرُونَ ﴾ وقوله ﴿ تَجْهَلُونَ ﴾ كيف يكون إذا فسرت تبصرون بالعلم ثم قال تجهلون . فكيف يكونون علماء وجهلاء ؟

الجواب : أنه أراد أنكم تفعلون فعل الجاهلين بأنها فاحشة مع علمكم بذلك ، ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ﴾ أسلوب حصر أفاد أن إجابتهم على لوط هي أخرجوه وأهله من قريبتكم .
﴿ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ : صيغة المضارع أي أنهم يتنزهون عن فعلتهم الشنيعة التي يقوم بها قوم لوط .

﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ ﴾ : الضمير " نا " يعود على الله وذلك للتعظيم ، والهاء ضمير متصل يعود على لوط عليه السلام .

﴿ عَلَيْهِمْ مَطْرًا ﴾ عليهم لا على غيرهم أي خصهم بالعذاب .

القراءات :

* ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِذَا امْرَأَتُهُ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ .
﴿ قَدَرْنَاهَا ﴾ قرأ أبو بكر بالتخفيف .
﴿ قَدَرْنَاهَا ﴾ وقرأ الباقون بالتشديد (٤) .

(١) انظر تفسير النسفي ، ج ٣ ، ص ٢١٧ ، وتفسير القرآن العظيم ، ج ٦ ، ص ٦٨ .

(٢) صفوة التفاسير ، ج ٢ ، ص ٤١٦ .

(٣) انظر التحرير والتنوير ، ج ١٩ ، ص ٢٨٨ .

(٤) حجة القراءات ص ٥٣٣ .

الإعراب :

* ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ .

﴿وَلَوْطًا﴾ الواو عاطفة ، لوطاً مفعول به منصوب بفعل مضمر تقديره : اذكر
وعلامة نصبه الفتحة .

﴿إِذْ﴾ اسم مبني على السكون في محل نصب بدل من " لوطاً " على التقدير
الأول وهو " واذكر لوطاً " أو ظرف زمان بمعنى " حين " في محل نصب .

﴿قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ قال فعل ماضٍ مبني على الفتح والفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً
تقديره هو أي لو ط .

﴿لِقَوْمِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بقال والهاء ضمير متصل - ضمير الغائب -
في محل جر بالإضافة .

﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ : الهمزة همزة توبيخ بلفظ استفهام . تأتون : فعل مضارع
مرفوع بثبوت النون والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل .

﴿الْفَاحِشَةَ﴾ : مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة .

﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ : الواو حالية : والجملة الاسمية بعدها في محل نصب حال .
أنتم : ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ .

﴿تُبْصِرُونَ﴾ فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو ضمير متصل في محل
رفع فاعل . وجملة تبصرون في محل رفع خبر " أنتم " (١) .

الأحكام

حكم اللواط :

إن جريمة اللواط من اكبر الجرائم ، وهي من الفواحش المفسدة للخلق
وللفطرة وللدين والدنيا بل وللحياة ، وقد عاقب الله عليها بأقسى عقوبة فحسف
الأرض بقوم لو ط ، وأمطر عليهم حجارة من سجيل جزاء فعلتهم القذرة ، وجعل
ذلك قرآناً يتلى ليكون درساً للبشرية (٢) .

(١) الإعراب المفصل ج ٨ ص ٣٢١ .

(٢) فقه السنة سيّد سابق ، ج ٢ ، ص ٣٦١ .

رأي الفقهاء في حكم اللواط :

- أجمع العلماء على حرمة هذه الجريمة ، وعلى وجوب أخذ مقترفيها بالشدة ؛ إلا أنهم اختلفوا في تقدير العقوبة المقررة لها إلى مذاهب ثلاثة :
- ١- مذهب القائلين بالقتل مطلقاً .
 - ٢- مذهب القائلين بأن حده حد الزاني فيجلد البكر ويرجم المحصن .
 - ٣- مذهب القائلين بالتعزير (١) .

المذهب الأول :

يرى أصحاب الرسول ﷺ : ومالك والشافعي في قول إن حده القتل ولو كان بكرًا سواء كان فاعلاً أم مفعولاً به واستدلوا بما يأتي :

عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : " ومن وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به " (٢) .

المذهب الثاني :

الشافعي في قول إن حده حد الزاني فيجلد البكر ويغرب ويرجم المحصن .

استدلوا بما يلي :

إن هذا نوع من أنواع الزنى ؛ لأنه إيلاج فرج في فرج ، فيكون اللواط والملوط به داخلين تحت عموم الأدلة الواردة في الزاني المحصن والبكر ويؤيد هذا " قول رسول الله ﷺ " من وقع على بهيمة فاقتلوه واقتلوا البهيمة معه " (٣) .

أي يحد حد الزاني قياساً عليه (٤) .

المذهب الثالث :

الإمام أبو حنيفة قال تعزير المحصن وغيره ، وتعليهم : قالوا عقوبة الزنا معلومة فلما كانت هذه لمعصية غيرها وجب ألا تشاركها في حدها .

(١) انظر المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٦٥ .

(٢) سنن الترمذي ، كتاب الحدود باب ما جاء في حد اللوطي ، ح ٤ ، ص ٢٣٥ .

(٣) سنن أبي داود كتاب الحدود باب فيمن أتى بهيمة ، ح ٤ ، ص ١٥٩ .

(٤) انظر فقه السنة ج ٢ ص ٣٦٧ ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ٧ ، ص ٢٣٤-٢٣٥ .

وقالوا : وطء في فرج لا يتعلق به إحلال ولا إحسان ولا وجوب مهر ولا ثبوت نسب ، فلم يتعلق به حد (١) .

وقد رجح الشوكاني مذهب القائلين بالقتل ، وضعف المذهب الأخير لمخالفته للأدلة وناقش المذهب الثاني فقال : " إن الأدلة الواردة بقتل الفاعل والمفعول به مطلقاً مخصصة لعموم أدلة الزنى الفارقة بين البكر والثيب على فرض شمولها لمرتكب جريمة قوم لوط ، ومبثلة للقياس المذكور على فرض عدم الشمول . لأنه يصير فاسد الاعتبار . كما تقرر في الأصل لأنه لا قياس مع النص (٢) .

المعنى الإجمالي :

* ﴿ وَلَوْ طَأَّ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ .

يخبر تعالى عن عبده ورسوله لوط عليه السلام أنه أنذر قومه نقمة الله بهم في فعلهم الفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحد من العالمين فقال منكرأ عليهم موبخاً لهم ﴿ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ ﴾ وهي إتيان الذكور دون الإناث ، مع علمكم بقبحها ، أو في حال رؤية بعضكم بعضاً إذ تأتون في ناديكم المنكر معلنين بها لا يستتر بعضهم من بعض ، أو تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم (٣) .

ثم صرح بما يفعلون بعد الإبهام فقال : ﴿ أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرَّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ ثم اذكر عليهم قائلاً كيف تقبلون إتيان الرجال من غير النساء ، فهذا شذوذ جنسي وانتكاس للفطرة ، وترك ما أحل الله من الاستمتاع بالنساء والحقيقة أنكم قوم جهلاء سفهاء ، لا تعرفون شيئاً لا طبعاً ولا شرعاً ، وتجهلون عاقبة هذا الأمر الشنيع (٤) .

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ، ج٧ ، ص٢٣٤-٢٣٥ .

(٢) انظر نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخبار للإمام الشوكاني ، ج٧ ص ١١٨ .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ، ج٦ ، ص٦٧ ، وتفسير النسفي ، ج٣ ، ص٢١٧ .

(٤) انظر التفسير المنير ، ج١٩ ، ص٣٢٣ .

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره : فلم يكن لقوم لوط جواب له إذ نهاهم عما أمره الله بنهيهم عنه من إتيان الرجال إلا قيل بعضهم لبعض أخرجوا لوطاً وأهله ومن معه من بلدتنا إنهم أغراب عنا .

ويتخرجون من أفعالنا من إتيان الرجال والنساء في أدبارهم ، ولا يقرؤنا على صنيعنا وهذا صنيع الفساد في كل زمان (١) .

فلما عزموا إخراج لوط وأهله من بلدتهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها ، وأنجى الله المؤمنين الصالحين ، قال تعالى : ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ يعني فأنجينا لوطاً وأهله سوى امرأته من عذابنا حين أحلناه بهم ، أما امرأته فكانت راضية بأفعال قومها القبيحة ومتواطئة معهم ، فحكمتنا عليها بجعلها من الباقيين في العذاب الذي قامت عليه الحجة ووصلهم الإنذار الإلهي فخالفوا الرسول وكذبوه فحق عليهم الجزاء ، قال تعالى : ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ أي وأنزلنا عليهم حجارة من سجيل فساء ذلك المطر مطر القوم الذين أنذرهم الله بعقابه على معصيتهم إياه وخوفهم بأسه بإرسال الرسول إليهم بذلك . (٢)

الدروس المستفادة :

١- اقتضت عدالة الله تعالى ألا يعذب قوماً إلا بعد إنذار ، وألا يعجل لهم العقاب إلا بعد نصح وإرشاد ، وهذا ما فعله نبي الله لوط عليه السلام مع قومه حيث أنكر عليهم فعلتهم القبيحة الشنيعة التي يعلمون أنها فاحشة ومع ذلك يفعلونها جهاراً نهاراً ولا يستترون من بعضهم . (٣)

٢- بيان قبيح فعلهم وشناعته من وجوه :

قوله تعالى : ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ وفي ذلك إشارة إلى أن الحيوان الأعجم

(١) انظر جامع البيان ، ج ٢٠ ، ص ٣ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٢٠ ، ص ٤ ، وتفسير القرآن العظيم ، ج ٦ ، ص ٦٨ .

(٣) انظر التفسير المنير ج ٢٠ ص ٦ .

لا يرضى بمثل هذا الفعل وقوله تعالى : ﴿مِن دُونِ النَّسَاءِ﴾ وفي ذلك إشارة إلى ترك النساء واستبدال الرجال بهن وهذا خطأ شنيع وفعل قبيح مخالف لعظمة الله التي فطر الناس عليها .

وقوله تعالى : ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ وفي هذا إيماء إلى أنهم يفعلون فعل الجهلاء الذين لا عقول لهم ولا يدرون عظيم قبح ما يفعلون ، فأعلمهم لوط عليه السلام بحرمة ما يفعلون وعقوبة ما يقتربون ولكنهم أمعنوا في ضلالهم وازدادوا في فسقهم . (١)

٣- اجتماع قوى الظلم والشر على القهر لمن يتبع الحق والعدل في كل زمان ومكان .

٤- الاستهزاء بالموحدين سار على مر السنين والأيام ، والتأمر على إخراجهم من البلاد

٥- المباشر للفاحشة و الراضي بها والساكت عنها شركاء في الإثم .

٦- نجاة أهل الإيمان - لوط ومن آمن معه - وتدمير أهل الكفر والعصيان

٧- الاعتبار بحال أهل الإيمان ونجاتهم ، وبحال أهل الكفر وهلاكهم . (٢)

٨- من مقتضى العدل أن يجازي الله المصّر على المعصية بالعذاب .

(١) انظر تفسير المراعي ج١٩ ص ١٥٠ .

(٢) انظر التحرير والتنوير ج٢٠ ص ٦ .

المبحث السادس

أدلة الوجدانية والقدرة الإلهية

قال تعالى ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ﴾ * أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ * أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِلْ أَكْثَرُ هُمْ لَا يَعْلَمُونَ * أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ * أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلُ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿

(النمل ٥٩-٦٤) .

المناسبة :

بعد أن ذكر الله تعالى قصص أربعة من الأنبياء مع أقوامهم ، وإهلاكهم بسبب شركهم ووثنيتهم ، والإدلال على كمال قدرته بنصر رسله على أعدائهم ، أمر رسوله ﷺ بحمده على تلك النعمة ، والسلام على الأنبياء كافة ، لأدائهم واجب التبليغ لرسالة ربهم على أكمل وجه ، ثم رد على عبدة الأوثان ببيان الأدلة المختلفة على وحدانيته وتفردده بالخلق وقدرته على الإمامة والإحياء وما يترتب على ذلك من إخلاص العبادة لله تعالى ، وفي ذلك دعوة للمشركين من أهل مكة ليدخلوا في زمرة من أسلم الله تعالى (١) .

التحليل اللفظي :

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ : أي قل يا محمد الحمد لله الذي له الثناء الجميل لإحاطته بأوصاف الكمال المستجمع لأسمائه الحسنی وصفاته العلی على هدايته لنا وإهلاك عدونا .

(١) انظر التفسير المنير ، ج ٢٠ ، ص ١٠٠٩ ، والتحرير والتنوير ، ج ٢٠ ، ص ٦ .

﴿ وَسَلَامٌ ﴾ : أصل سلام من سلمتُ سلاماً ، سلامٌ آمنٌ لا نكول فيه ، وذكر القرآن السلام من عند الله تعالى على معنى كونه معاملة منه سبحانه بكرامة الثناء وحسن الذكر للذين رضي الله عنهم من عباده في الدنيا والآخرة .
وقد أمر الله الأمة بالسلام على رسولها فقال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

﴿ عَلَى عِبَادِهِ ﴾ : العبد حراً كان أو رقيقاً (٢) .

والمعنى : أمن وأمان من الله لعباده المخلصين الخاضعين لجلاله سواء أكانوا أنبياء أم رسلاً ومن تابعهم إلى يوم الدين .
﴿ الَّذِينَ اصْطَفَى ﴾ اصطفي يصطفى اصطفاء فهو مصطف ، والرسول مُصطفى أي اختاره وفضله . (٣)

اختلف العلماء في المراد بالذين اصطفي :

قيل هم الأنبياء والرسل ، وقيل أصحاب رسول الله ﷺ ، وقيل مؤمنو هذه الأمة ، وقيل كل مؤمن من مبدأ الدنيا إلى منتهاها .
ويرى الباحث : أن مدلول قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ اصْطَفَى ﴾ يشمل كل ما ذكر ، فهم الذين اختارهم أولاً لخدمته وطاعته في الدنيا ولجنته ونعيمه في الآخرة ، فلولا اصطفاء الله تعالى ما وفق العبد لخدمة ربه تبارك وتعالى وطاعته .

﴿ آلهة ﴾ الهمزة همزة استفهام بقرينة وجود " أم " المعادلة للهمزة والاستفهام مستعمل لإلجاء المخاطب وإلزامه بالإقرار بالحق وتنبئيه على خطئه . وجاء باللفظ الجامع لمعاني الصفات كلها وهو اسم الجلالة ﴿ الله ﴾ .

﴿ خَيْرٌ ﴾ : جاءت بصيغة التفضيل لقصد مجازاة معتقدتهم أن أصنامهم شركاء الله في الإلهية . فعبر بـ ﴿ خَيْرٌ ﴾ لإيهام أن المقام إظهار رجحان إلهية الله تعالى على أصنامهم استدراجاً لهم في التنبئيه على الخطأ الذي ارتكبه عندما آثروا

(١) انظر التحرير والتنوير ، ج ٢٠ ، ص ٧-٨ .

(٢) المعجم العربي الأساسي ، ص ٨١٥ .

(٣) انظر المعجم العربي الأساسي ، ص ٧٤٠ .

عبادة الأصنام على عبادة الله تعالى .

والمعنى : الله الحقيق بالإلهية خير أم ما تشركون معه من الأصنام؟^(١) .

﴿ أَمَّا ﴾ : أصلها أم المتصلة ، و " ما " اسم الموصول ، وجملة ﴿ يُشْرِكُونَ ﴾ صلة الموصول والتقدير ما يشركونه معه سبحانه وتعالى^(٢) .

﴿ يُشْرِكُونَ ﴾ : من شَرِكَ يَشْرِكُ شِرْكَاً ، فهو شريك في الأمر ، أي كان لكل منهما نصيب منه ، فكل منهما شريك في الآخر^(٣) .

وشرك الإنسان في الدين ضربان :

الأول : الشرك العظيم وهو إثبات شريك لله وهو أعظم الكفر .

الثاني: الشرك الصغير وهو مراعاة غير الله معه في بعض الأمور كالرياء والنفاق^(٤)

والمعنى : الله الذي يتصف بالكمال والعظمة خير أم الآلهة التي لا تنفع

ولا تضر و لا تدفع عن نفسها ولا عن أوليائها سوءاً ؟

ومن المعلوم أنه لا خير أصلاً فيما أشركوه حتى يوازن بين أوثانهم وبين

الله الخالق لهم^(٥) .

﴿ أَمِّن ﴾ : أصلها "أم" المنقطعة العاطفة للإضراب لأن معناها "بل" و"من" اسم

موصول معطوف على لفظ الجلالة في الآية الكريمة السابقة ﴿ آَللهُ خَيْرٌ ﴾ وخبره

﴿ خَيْرٌ ﴾ بمعنى بل الذي خلق السماوات والأرض خير .^(٦)

﴿ خَلَقَ ﴾ : يَخْلُقُ خَلْقاً فهو الخالق الشيء : أي أبدعه وأوجدته من غير سابق

مثال .^(٧) قال الراغب : الخالق أصله التقدير المستقيم ويستعمل في إبداع الشيء

من غير أصل ولا احتذاء .^(٨)

(١) انظر التحرير والتنوير ، ج ٢٠ ، ص ٩ .

(٢) انظر الإعراب المفصل ، ج ٨ ، ص ٣٢٥ .

(٣) المعجم العربي الأساسي ، ص ٦٨٢ .

(٤) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٢٦٦ .

(٥) انظر فتح القدير ، ج ٤ ص ١٨١ .

(٦) انظر الإعراب المفصل ، ج ٨ ، ص ٣٢٥ .

(٧) المعجم العربي الأساسي ، ص ٤١٩ .

(٨) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ١٥٨ .

الإحتذاء : أي سار على مثاله واقتدى به "المعجم العربي الأساسي ، ص ٣٠٢ .

﴿ السَّمَاوَاتِ ﴾ : جمع سماء وهو ما يُشاهد فوق الأرض كقبة زرقاء . (١)
﴿ وَالْأَرْضِ ﴾ : هي الجرم المقابل للسماء وجمعه أرضون ، ويعبر بها عن أسفل
الشيء كما يعبر بالسماء عن أعلاه . (٢)

والمعنى : يقول تعالى ذكره للمشركين من قريش وغيرهم : أعبادة
ما تعبدون من أوثانكم التي لا تضر ولا تنفع خير أم عبادة من خلق السموات
والأرض التي هي أصول الكائنات ومبادئ النفع؟ . (٣)
﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ ﴾ : الخطاب موجه للمشركين للتعريض بأنهم ما شكروا
نعمة الله . (٤)

﴿ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ : الماء من جملة ما خلق الله تعالى وقد ذكر في الآية لقطع
شبهة من قال إن المنبت للشجر هو الماء ، وأصل الماء من موه بدلالة قولهم في
جمعه أمواه ومياه . (٥)

﴿ فَانْبَتْنَا ﴾ : من نبتَ يَنْبِتُ نَبْتًا ونباتًا فهو نابت ، أي خرج من الأرض ونون
الجمع في "أنبتنا" التفات من الغيبة إلى الحضور ، ومن لطائف التنصيص في
إسناد الإنبات إلى الله تعالى لئلا ينصرف ضمير الغائب إلى الماء ؛ لأن التذكير
بالمنبت الحقيقي الذي خلق الأسباب يذكر بنعمه ورعايته لها لا غيره والإنبات هو
تكوين النبات . (٦)

﴿ حَدَائِقٍ ﴾ : مفردها حديقة وهي من حدق وهي كل أرض ذات
شجر وزهور محدودة أو محاطة بحاجز وذات ماء سميت تشبيهاً بحدق العين
في الهيئة . (٧)

-
- (١) المصدر السابق ، ص ٦٤٥ .
(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ١٢ .
(٣) انظر جامع البيان ، ج ٢٠ ، ص ٥ .
(٤) التحرير والتنوير ، ج ٢٠ ، ص ١١ .
(٥) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٤٩٨ .
(٦) انظر التحرير والتنوير ، ج ٢٠ ، ص ١١ .
(٧) انظر المعجم العربي الأساسي ، ص ٣٠٠ ، ومعجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ١٠٩ .

﴿ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴾ : مصدر بَهَجَ يَبْهَجُ بَهْجًا وَبَهْجَةً ، أي حسن ونضر لأن الناظر يبتهج به . (١)

﴿ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُبْتِغُوا شَجَرَهَا ﴾ : ما نافية لا عمل لها ، أي لعدم قدرتكم على إنبات شجرها .

﴿ لَكُمْ ﴾ : اللام في لكم : للملك . (٢)

﴿ أَلِلَّةٌ مَعَ اللَّهِ ﴾ : جملة استئنافية وهي كالنتيجة للجملة قبلها ؛ لأن إثبات الخلق والرزق والإنبات لا يكون إلا لله والمعنى أغیره يقرن به ويجعل له شريكا وهو المتفرد بالخلق والملك ؟ (٣)

﴿ بَلْ ﴾ : تفيد الإضراب بمعنى لكن .

﴿ قَوْمٌ ﴾ : وجمعه أقوام وهم جماعة من الناس تربطهم وحدة اللغة والثقافة والمصالح المشتركة . (٤)

﴿ يَعْذِلُونَ ﴾ : من عَدَلَ يَعْذِلُ عَدُولًا فهو عادل أي جاد وانحرف (٥) ، والمعنى يجعلون غيره عديلا مثيلا له في الإلهية مع أن غيره عاجز عن ذلك أو يعدلون عن الحق . والغرض توبيخهم على شركهم مع وضوح دلالة أن الله خلق السموات والأرض .

﴿ جَعَلَ ﴾ : بمعنى صَيَّرَ . (٦)

وهذا الجعل كناية عن خلق البحرين لأن الحجز بينهما يقتضي خلقهما وخلق الملوحة والعدوبة فيهما . (٧)

(١) المعجم العربي الأساسي ، ص ١٧٩ .

(٢) التفسير المنير ، ج ٢٠ ، ص ٩ .

(٣) انظر تفسير النسفي ، ج ٣ ، ص ٢١٨ .

(٤) المعجم العربي الأساسي ، ص ١٠١٦ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٨٢٥ .

(٦) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٩٢ .

(٧) انظر التحرير والتنوير ، ج ٢٠ ، ص ١٣ .

﴿ قَرَّارًا ﴾ مصدر قَرَّ يَقَرُّ قَرَّارًا والمعنى ثبت ثبوتًا جامدًا ، أي هي مستقرة فلا تميد بأهلها (١) .

﴿ خَلَّالَهَا ﴾ : مصدر خَلَّ ومفرده خَلَّه وخَلَّلَ وخَلَّلَ الشيء منفرج ما بين الشئيين أي وسطها (٢) .

﴿ رَوَّاسِيَّ ﴾ : من رسا الشيء يرسو أي ثبت وأرساه غيره والمعنى جعل فيها جبالاً رواسي تثبت بها الأرض . (٣)

﴿ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ ﴾ مثنى بحر ، وأصل البحر كل مكان واسع جامع للماء الكثير (٤) .
﴿ حَاجِزًا ﴾ الحجز : المنع بين الشئيين بفاصل بينهما ، والحجاز سمي بذلك لكونه حاجزاً بين الشام والبادية وجمعه حواجز . (٥)

﴿ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ : العلم هو إدراك الشيء بحقيقته أي إدراك ذات الشيء أو الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له أو نفي شيء هو منفي عنه .

﴿ الْمُضْطَرَّ ﴾ : من اضطر يَظْطِرُّ اضْطِرَّارًا فهو من الضرورة لا من الضر ، والمضطر الذي أوجته وألجأته الضرورة إلى الله .
واللام في المضطر لتعريف الجنس لا للاستغراق .

﴿ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ أي يرفع السوء عنه وعن غيره . والسوء كل ما يغم الإنسان من الأمور الدنيوية والأخروية . (٦)

يقول القرطبي : ضمن الله تعالى إجابة المضطر إذا دعاه وأخبر بذلك عن نفسه والسبب في ذلك أن الضرورة إليه ينشأ عنها الإخلاص وقطع القلب عما سواه ، ولالإخلاص عند الله موقع وُجد من مؤمن أو غيره قال تعالى ﴿ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ (العنكبوت: ٦٥) (٧) .

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٤١٢ .

(٢) المعجم العربي الأساسي ، ص ٤٢١ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٥٢٢ .

(٤) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ١٣٣ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١٠٨ .

(٦) نفس المصدر السابق ، ص ٣٥٥ .

(٧) انظر الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٣ ، ص ٢٣٢ .

﴿ خُفَاءَ ﴾ : جمع خليف والخلافة النيابة عن الغير ، إما لغيبة المنوب عنه وإما لموته وإما لعجزه وإما لتشريف المستخلف ، وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أولياءه في الأرض (١) .

﴿ قَلِيلاً ﴾ : من قَلَّ يَقَلُّ قَلَّةً فهو قليل وهو عكس الكثرة ، وجمع قليل قلائل وأقلاء والقليل هنا مكنى به عن المعدوم لأن التوكيد بالمقصود معدوم فيهم ، وهذه الكناية تلميح وتعريض ، أي إن كنتم تذكرون فإن تذكركم قليل (٢) .

﴿ تَذَكَّرُونَ ﴾ من تذكر يتذكر تذكرًا وهو ضد النسيان (٣) .

والتذكر هو استحضار المعلوم والمعنى استحضاركم الافتقار إلى الله وما أنتم فيه من نعم الله تعالى عليكم قليل (٤) .

﴿ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ ﴾ : يرشدكم إلى مقاصدكم (٥) .

﴿ ظُلُمَاتٍ ﴾ مفرد ظلمة وهو اختفاء النور ، ويعبر بها عن الجهل والشرك والفسق (٦) .

﴿ الْبُرِّ ﴾ : خلاف البحر .

﴿ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبُرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ : أي يرشدكم بالنجوم ليلاً وبعلامات الأرض نهاراً .

﴿ الرِّيَّاحِ ﴾ مفردها ريح وكل موضع ذكرت فيه الرياح بلفظ الجمع فهو عبارة عن الرحمة (٧) .

﴿ بُشْرًا ﴾ جمعها بشريات وهو ما يبشر به من نبأ سار (٨) .

(١) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ١٥٧ .

(٢) انظر التحرير والتنوير ، ج ٢٠ ، ص ١٦ .

(٣) انظر المعجم العربي الأساسي ، ص ٤٨٣ .

(٤) التحرير والتنوير ، ج ٢٠ ، ص ١٦ .

(٥) انظر التفسير المنير ، ج ٢٠ ، ص ٩ .

(٦) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٣٢٥ .

(٧) المصدر السابق ، ص ٢١١ .

(٨) المعجم العربي الأساسي ، ص ١٥٦ .

﴿ بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ : أي قدام المطر ، والمراد بالرحمة هنا المطر وسمي رحمة لأنه فيه حياة للناس والأرض والحيوان والنبات والمعنى يرسل الرياح بين يدي المطر وقبل نزوله (١) .

﴿ تَعَالَى اللَّهُ ﴾ : يتعالى تعالياً فهو مُتَعَالٍ أي ارتفع وترفع عما يحيط به وصف الواصفين أو علم العارفين (٢) ، والمعنى تنزه الله تعالى عن وجود ما يجعلونه شريكاً له .

﴿ عَمَّا ﴾ : أصلها عن حرف جر و " ما " اسم موصول مبني على السكون .
﴿ يُشْرِكُونَ ﴾ : يشركون به غيره ، فالله هو القادر الخالق المنزه عن مشاركة العاجز المخلوق .

والمعنى : مع بيان وضوح هذه الدلائل على عظمة الله وقدرته ، تنزه الله عن شرك المشركين بل له العلو والرفعة عن شرككم الذي تشركون به غيره في العبادة .

﴿ يَبْدَأُ ﴾ من بدأ يبدأ بدءاً وبدأه فهو بادئ ، أي حدث وحصل قبل غيره (٣) .
﴿ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ : بداية خلق الإنسان الأول من التراب ، وبدء خلق سلالة الإنسان في الأرحام من نطفة (٤) .

والمعنى : أمّن تشركون أيها القوم خير أم الذي يبدأ الخلق ثم يعيده فينشئه من غير أصل ويبتدعه ثم يفنيه إذا شاء ثم يعيده إذا شاء ؟ (٥) .
﴿ هَاتُوا ﴾ بمعنى أعطوني .

﴿ بُرْهَانِكُمْ ﴾ : البرهان أوكد الأدلة وهو الذي يقتضي الصدق أبداً (٦) .
﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ : في إشراككم فإن كمال القدرة من لوازم الألوهية .

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٣ ، ص ٢٣٤ .

(٢) المعجم العربي الأساسي ، ص ٨٦٢ .

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٣٥ .

(٤) التفسير المنير ، ج ٢٠ ، ص ٩ .

(٥) انظر جامع البيان ، ج ٢٠ ، ص ٧ .

(٦) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٤٢ .

قال الراغب : الصدق مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معاً ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقاً تاماً (١) ، والمعنى إن كنتم صادقين فهاتوا برهانكم لأن الصادقين قولهم مطابق للواقع والواقع لا يعدم دليلاً عليه (٢) .
البلاغة :

قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ : أسلوب التبكيت والتهكم (٣) ، وأسلوب استفهام يقصد به الإقرار والإلزام .

لفظ ﴿ خَيْرٌ ﴾ جاءت بصيغة التفضيل لقصد مجازاة معتقدتهم أن أصنامهم شركاء لله في الألوهية فعبر بـ ﴿ خَيْرٌ ﴾ لإيهام أن المقام لإظهار رجحان ألوهية الله تعالى على أصنامهم استدراجاً لهم في التنبيه على الخطأ مع التهكم إذ آثروا عبادة الأصنام على عبادة الله . (٤)

﴿ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ : استعارة مكنية حيث شبه السوء الذي يعترى المغرور بغشاء يحول دون المرء ، ودون الاهتداء ثم حذف المشبه وأتى بصفة من صفاته الكشف وهو رفع الغشاء . (٥)

﴿ بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ : استعارة أي أمام نزول المطر ، استعار اليمين للأمام . (٦)
﴿ بَدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ بينهما طباق (٧) .

* ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ﴾ .

يقول ابن القيم : هؤلاء أعلى الطبقات وأكرمها على الإطلاق وهم المرسلون ، فأكرم الخلق على الله وأخصهم بالزلفى لديه ، هم رسله والمصطفون من عباده الذين سلم عليهم في العالمين - هل السلام من الله أم من المسلم ؟؟؟ .

(١) المصدر السابق ، ص ٢٨٤ .

(٢) انظر فتح القدير ، ج ٤ ، ص ١٨٢ .

(٣) صفة التفسير ، ج ٢ ، ص ٤١٦ .

(٤) التحرير والتنوير ، ج ٢٠ ، ص ٩ .

(٥) التحرير والتنوير ، ج ٢٠ ، ص ١٥ .

(٦) صفة التفسير ، ج ٢ ، ص ٤١٦ .

(٧) التفسير المنير ، ج ٢٠ ، ص ٨ .

الرأي الأول : الظاهر أن المسلم هو القائل ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ ولهذا أتى بالضمير بلفظ الغيبة ولم يقل سلام على عبادي .

الرأي الثاني : السلام من الله تعالى ، فبعد أن نزه الله نفسه عما لا يليق بجلاله ، ثم سلم على رسله وفي هذا سر يتضمن الرد على كل ما يقوله المبطلون والمبتدعون وما ينسبه هؤلاء المكذبون للرسول وإذا سلموا من كل ما رماهم به أعداؤهم لزم سلام كل ما جاءوا به من الكذب والفساد ، وأعظم ما جاء به المرسلون هو التوحيد ومعرفة الله تعالى .

وفصل الخطاب : الآية تتضمن الأمرين جميعاً ، فإن الرسول هو المبلغ عن الله كلامه فالله هو الذي حمد نفسه وسلم على صفوة عبادته وأمر رسوله بتبليغ ذلك فإذا قال الرسول الحمد لله وسلام على عبادته الذين اصطفى كان قد حمد الله وسلم على عبادته بما حمد الرب به نفسه وسلم به على عبادته ، فهو سلام من الله ابتداءً ، ومن المبلغ بلاغاً ومن العباد اقتداءً وطاعة (١) .

قوائد :

١- أفعال الجعل الأربعة في قوله تعالى ﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ﴾ (النمل : ٦١) .

الأولى : ﴿ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ :

جعل الأرض ثابتة غير مضطربة ، وهذا تدبير عجيب لا يدركه إلا من عرف أن الأرض سابحة في الهواء متحركة في كل لحظة وهي مع ذلك قارة فيما يبدو لسكانها فهذا تدبير عجيب وفيه مع ذلك رحمة ونعمة ولولا قرارها لكان الناس عليها مزلزين مضطربين .

الثانية : ﴿ وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا ﴾ :

وجعل خلالها : أي شق فيها الأنهار فجعلها خلالها ، وخلال الشيء منفرج ما بين أجزائه ، والأنهار لشق الأرض في أخاديد تجري خلال الأرض .

(١) انظر التفسير القيم للإمام ابن القيم ، ص ٣٩٧-٣٩٩ .

الثالثة : ﴿ وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ ﴾ :

الرواسي : الجبال التي في تكوينها حكمة لدقة الملامسة عن الأرض ليكون سيرها في الكرة الهوائية معدلاً غير شديد السرعة وبذلك دوام سيرها .

الرابعة : ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ﴾ :

وجعل الحاجز بين البحرين من بديع الحكمة ، وهو حاجز معنوي حاصل من دفع كلا الماعين أحدهما الآخر عن الاختلاط به بسبب تفاوت الثقل النسبي بين الماء المالح والماء العذب ، وهذا الجعل كناية عن خلق البحرين أيضاً لأن الحاجز بينهما يقتضي خلقهما وخلق الملحوة والعذوبة (١) .

٢- قال أبو حيان : ناسب ختم كل استفهام بما تقدمه :

١. فلما ذكر العالم العلوي والسفلي وما امتن به من إنزال المطر ختمه بقوله

﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ أي يعدلون به غيره مما هو مخلوق .

٢. ولما ذكر جعل الأرض مستقراً وتفجير الأنهار ، وكان فيه التنبيه على

التفكير والتعقل ختمه بقوله ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

٣. ولما ذكر إجابة دعوة المضطر وكشف سوء ختمه بقوله ﴿ قَلِيلًا مَّا

تَذَكَّرُونَ ﴾ لأن الإنسان يتوالى عليه النسيان عندما يزول عنه اضطراره .

٤. ولما ذكر الهداية في الظلمات وإرسال الرياح مبشرات . ومعبوداتهم لا

تهدي ولا تسعف وهم يشركون بها ختمه بقوله ﴿ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا

يُشْرِكُونَ ﴾ وأعقب كل واحدة من هذه الجمل قوله تعالى ﴿ أَلِلَّةَ مَعَ اللَّهِ ﴾

على سبيل التوكيد والتقرير على وحدانيته (٢) .

القراءات :

قوله تعالى ﴿ اصْطَفَى ﴾ أمال حمزة والكسائي وخلف (٣) .

قوله تعالى ﴿ آَلِلَّةَ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .

(١) انظر التحرير والتنوير ، ج ٢٠ ، ص ١٣ .

(٢) البحر المحيط ، ج ٧ ، ص ٨٦ .

(٣) اتحاف فضلاء البشر ، ج ٢ ، ص ٣٣٢ .

يشركون : قرأ أبو عمرو وعاصم حيث جعلوا الكلام خبراً عن أهل الشرك وهو غيب فجرى الكلام على لفظ الخبر عنهم لغيبهم .

تشركون : قرأ الباقون بالتاء ، وحجتهم أن الكلام أتى عقيب المخاطبة فأجروا الكلام على لفظ ما تقدمه . (١)

﴿ آله خير ﴾ : قرأ الجميع بإبدال همزة الوصل ألفاً مع المد الطويل وتسهيلها ، من غير فصل بين الهمزتين لأنها همزة وصل هكذا ﴿ آله ﴾ (٢) .

الأدلة القاطعة على قدرة الله تعالى :

﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ * أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (النمل : ٦٠-٦٤) .

﴿ آله مع الله ﴾ قرأ نافع وأبو عمرو بهمزة واحدة مطولة ، وأصل الكلمة آله .

﴿ إله ﴾ ثم دخلت همزة الاستفهام فصار ﴿ آله ﴾ فاستنقل الجمع بين الهمزتين ، فأدخل بينهما ألف ليبعد هذه من هذه . ثم لين الثانية .

﴿ آيلة ﴾ قرأ ورش وابن كثير من غير مد ، وهو أن تحقق الأولى وتخفف الثانية ولم تدخل بينهما ألف .

﴿ آله ﴾ قرأ هشام عن ابن عامر بهمزتين بينهما مده ، وهو أن تزداد الألف بين الهمزتين ليبعد المثل ويزول الاجتماع فيخف اللفظ بالهمزتين مع الحائل بينهما .

(١) انظر حجة القراءات ، ص ٥٣٣ .

(٢) فيض الرحيم ، ص ٣٨٢ .

﴿ أَلِهَ ﴾ قرأ أهل الشام والكوفة بهمزتين (١) .

قوله تعالى ﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ .

﴿ تَذَكَّرُونَ ﴾ : قرأ حفص والأخوان ويكون الخطاب للمشركين مكافحة لهم .

﴿ تَذَكَّرُونَ ﴾ : قرأ نافع وابن ذكوان وشعب بالتشديد على الذال

﴿ يَذَكَّرُونَ ﴾ قرأ البصري وهشام بالياء وتشديد الذال على الغيبة لأنهم

استأهلوا (*) الإعراض بعد تذكرهم (٢) .

﴿ الرِّيَّاحِ ﴾ : قرأ المكي والأخوان ﴿ الرِّيَّاحِ ﴾ بالإفراد ، وقرأ الباقر بالجمع

﴿ الرِّيَّاحِ ﴾ .

﴿ بُشْرًا ﴾ : قرأ عاصم بضم الباء وتسكين الشين .

﴿ نُشْرًا ﴾ : قرأ الحرميان والبصري بضم النون والشين .

﴿ نَشْرًا ﴾ : قرأ الأخوان بفتح النون وتسكين الشين (٣) .

الإعراب :

قوله تعالى : ﴿ أَلِهَ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ .

﴿ أَلِهَ مَعَ اللَّهِ ﴾ : الهمزة همزة إنكار وتعجب بلفظ استنهام .

﴿ أَلِهَ ﴾ : مبتدأ مرفوع بالضممة وقد جاز الابتداء بالنكرة لأنه عام

مسبوق باستنهام .

﴿ مَعَ ﴾ : ظرف مكان يدل على الاجتماع والمشاركة بخبر المبتدأ وهو مضاف .

﴿ اللَّهُ ﴾ لفظ الجلالة : مضاف إليه مجرور للتعظيم وعلامة الجر الكسرة .

﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ ﴾ : حرف إضراب للاستئناف .

﴿ هُمْ ﴾ : ضمير منفصل ضمير الغائبين ، في محل رفع مبتدأ. قوم خبره

مرفوع بالضممة .

(١) انظر حُجَّة القراءات ، ص ٥٣٣-٥٣٤ .

(*) استأهلوا : أي استحقوا ، المعجم العربي الأساسي ، ص ١١٧ مادة أهل .

(٢) انظر فيض الرحيم ، ص ٣٨٢ ، والتحرير والتنوير ، ج ٢٠ ، ص ١٥-١٦ .

(٣) انظر فيض الرحيم ، ص ٣٨٢ .

﴿يَعْدِلُونَ﴾ : الجملة الفعلية في محل رفع صفة لقوم .

فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل بمعنى يميلون عن الحق - أي التوحيد - إلى الباطل أو يعدلون به غيره^(١) .

المعنى الإجمالي :

قوله تعالى ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ .

لما تم سبحانه وتعالى القصص أمر رسوله ﷺ بحمده والثناء عليه سبحانه تعالى والسلام على المصطفين الأخيار من خلقه ، وذلك شكراً لله على نصرته أهل الحق والإيمان وقطع دابر الكفر والطغيان ، وتمهيداً لما يذكر من أدلة التوحيد التي أقامها رداً على المشركين والسر في ذلك إنصات العاقل وإصغائه ليدخل في زمرة من سلم الله عليهم ، وسلام من الله فيه الأمن والأمان على المصطفين الأخيار من الأنبياء والرسل ومن تبعهم إلى يوم الدين الذين اختارهم أزلاً لخدمته في تبليغ رسالته وطاعته في الدنيا ولجنته في الآخرة .

وقوله ﴿اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي هل الله الذي يتصف بالعظمة والقدرة التامة خير أم ما يشركون به من الأصنام ؟ وهذا استفهام إنكاري على المشركين في عبادتهم مع الله آلهة أخرى^(٢) .

ثم انتقل من التوبيخ والتبكيك إجمالاً إلى الرد المفصل على عبدة الأوثان ببيان الأدلة على أنه تعالى إله واحد لا شريك له ، قادر على كل شيء لأنه الخالق لأصول النعم وفروعها فكيف تصح عباده ما لا منفعة منه أصلاً .

والأدلة هي :

١- ما يتعلق بالسموات :

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ

(١) الإعراب المفصل ، ج ٨ ، ص ٣٢٧ .

(٢) انظر حاشية الصاوي على الجلالين ، ج ٢ ، ص ١٦٧ .

يَعْدِلُونَ ﴿ أي عبادة الأوثان التي لا تضر ولا تنفع خير أم عبادة من خلق السموات في ارتفاعها وصفائها ، وما جعل فيها من كواكب نيرة ونجوم زاهرة وأفلاك دائرة ، وخلق الأرض الصالحة للحياة الهادئة وجعل فيها الجبال والسهول والأنهار والوديان ، والزرورع والأشجار ، والثمار والبحار ، والحيوانات المختلفة الأصناف والأشكال والألوان وأنزل لعباده مطراً رزقاً لهم ، فأثبت به بساتين ذات بهجة ، وشكل حسن ومنظر بهي ، ولولاه ما حصل الإنبات ، ولم تكونوا تقدرين على إنبات الأشجار والزرورع ، فهو المنفرد بالخلق والرزق ؟ فهل يصح بعدئذ وجود إله مع الله يُعبد ؟ بل هؤلاء المشركون يميلون عن الحق إلى الباطل وينحرفون عن جادة الصواب ، فيجعلون لله عدلاً ونظيراً^(١) .

٢- ما يتعلق بالأرض :

قوله تعالى ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْهَ مَعِ اللَّهُ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يقول تعالى ذكره: أعبادة ما تشركون أيها الناس بربكم خير أم عبادة الله الذي جعل الأرض مستقراً للإنسان وغيره ، لا تميد ولا تتحرك بأهلها ، وجعل فيها الأنهار العذبة الطيبة لسقاية الإنسان والحيوان والنبات ، وجعل فيها جبلاً ثوابت شامخة ترسي الأرض وتثبتها لئلا تميد بكم ، وجعل بين المياه العذبة والمالحة حاجزاً يمنعها من الاختلاط لئلا يفسد هذا بذاك ، لتبقى الغاية من التفرقة بينهما متحققة ؟ أيوجد إله مع الله فعل هذا وأبدع هذه الكائنات ؟ بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون الحق فيتبعونه ، ولا يعرفون قدر عظمة الله المستحق العبادة .^(٢)

٣- ما يتعلق عموماً باحتياج الخلق إلى الله تعالى :

﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْهَ مَعِ اللَّهُ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ أتلک الجمادات الصماء خير أم من يجيب المضطر إذا دعاه وهو الذي أحوجه المرض أو الفقر أو المحنة إلى التضرع إلى الله تعالى ؟

(١) التفسير المنير ، ج ٢٠ ، ص ١١ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ج ٢٠ ، ص ١٢ .

فيرفع عنه السوء أو الضرر الذي أصابه ويجعلكم ورثة من قبلكم من الأمم في سكن الأرض والديار والتصرف فيها ، أَعَلَّه مع الله يفعل هذه الأشياء بكم وينعم عليكم هذه النعم ؟ قليلاً ما تذكرون عظمة الله ونعمه عليكم فلذلك أشركتم بالله غيره في عبادته . (١)

٤- ما يتصل باحتياج الخلق إلى الله تعالى في وقت خاص :

قال تعالى ﴿ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْهَ مَعِ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ﴿ أُنْثَى الْآلِهَةِ التَّائِهَةِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يُرْسِلُكُمْ فِي أَثْنَاءِ الظُّلُمَاتِ الْبَرِيَّةِ أَوْ الْبَحْرِيَّةِ إِذَا ضَلَلْتُمْ الطَّرِيقَ بِمَا خَلَقَ مِنَ الدَّلَائِلِ السَّمَاوِيَّةِ وَالْأَرْضِيَّةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (النحل: ١٦) ومن يرسل الرياح مبشرات أمام نزول الغيث الذي يحيي به الأرض بعد موتها أيكون هناك إله مع الله فعل هذا ؟ تنزه الله المتفرد بالألوهية المتصف بصفات الكمال عن شرك المشركين الذين يعبدون مع الله إلهاً آخر (٢).

٥- ما له صلة بإبداع الخلق والحشر والنشر :

قال تعالى ﴿ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْهَ مَعِ اللَّهُ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿ أُنْثَى الْآلِهَةِ الْعَاجِزَةِ الْمَخْلُوقَةِ خَيْرٌ أَمْ الَّذِي بِقُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ يَبْدَأُ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ ثُمَّ يَمِيتُهُ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِلَى الْحَيَاةِ الْأُولَى مَرَّةً أُخْرَى ؟ قَالَ تَعَالَى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَكَهَذَا الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (الروم: ٢٧) وهو الذي يرزقكم مما ينزل من السماء من أمطار ، وبما ينبت من بركات الأرض ، أيوجد إله آخر فعل هذا مع الله تعالى حتى تتخذوه شريكاً له ؟ قل يا محمد ﷺ قدموا برهانكم وحثتكم على صحة ما تدعون من عبادة آلهة أخرى إن كنتم صادقين في ذلك من أنفسكم ومع غيركم ، والحقيقة لا حجة لهم ولا برهان يقبله عاقل (٣) .

(١) انظر التفسير المنير ، ج ٢ ، ص ١٤ ، وتفسير القرآن العظيم ، ج ٦ ، ص ٧١ .

(٢) انظر التفسير المنير ، ج ٢٠ ، ص ١٤ ، وتفسير القرآن العظيم ، ج ٦ ، ص ٧١ .

(٣) انظر التفسير المنير ، ج ٢٠ ، ص ١٤ ، وجامع البيان ، ج ٢٠ ، ص ٨ ، وتفسير القرآن العظيم ، ج ٦ ، ص ٧١ .

الدروس المستفادة :

- ١- قوله ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ فيه تعليم حسن وحث على التيمن بالبده بحمد الله تعالى على نعمه وفضله على عباده المؤمنين بالنجاة وإهلاكه الكفار .
 - ٢- ﴿ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ﴾ الاقتداء بالهَدْيِ الرَّبَّانِي بالاستفتاح بالحمد والثناء على الله والسلام على الأنبياء وعلى المصطفين من عباده . وقد توارث العلماء والخطباء جيلاً بعد جيل هذا الأدب الرباني.
 - ٣- دعوة الناس للإسلام ليدخلوا في زمرة من رضي الله عنهم وتشملهم رحمة الله في كل المناسبات .
 - ٤- الله خالق السموات والأرض وما فيهما . فهو قطعاً المستحق للعبادة (١) .
 - ٥- ﴿ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ﴾ قال القرطبي : يستدل من الآية على منع تصوير أي شيء سواء أكان له روح أم لا ، ويستدل بما رواه مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ " قال الله عز وجل : ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقى فليخلقوا ذرة وليخلقوا حبة وليخلقوا شعيرة " (٢) ، وذهب الجمهور إلى أن تصوير ما ليس فيه روح يجوز هو والاكتساب به (٣)
 - ٦- بيان قدرة الله في تهيئة الأرض للحياة عليها ومنافعها في أمور وهي :
 - (١) كونها قراراً أي مستقرة متوسطة الصلابة والرخاوة .
 - (٢) جعل فيها الأنهار للسقي والجبال الثوابت لتمسكها وتمنعها من الاضطراب .
 - (٣) جعل بين البحرين العذب والمالح مانعاً من قدرته لئلا يختلط هذا بهذا .
 - (٤) تزويد الكرة الأرضية بالهواء الذي لا تمكن الحياة بدونه .
 - ٧- الله المتصرف بأحوال الناس التي لا يخلو عنها أحد في بعض شؤون الحياة .
- أ- حالة الاضطراب إلى تحصيل الخير المتمثلة في قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ .

(١) انظر التفسير المنير ، ج ٢٠ ، ص ١٥ .

(٢) صحيح مسلم كتاب اللباس والزينة باب تحريم تصوير صورة الحيوان ح ٢١١١ ، ج ١ ، ص ١١٧١ .

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٣ ، ص ٢٣٠ .

- ب- حالة البؤس المشار إليها بقوله تعالى ﴿ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ .
- ج- حالة الانتفاع وهي المشار إليها بقوله تعالى ﴿ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ﴾
أي تعمرون الأرض .
- ٨- الله وحده مصدر الخير والنفع . فهو الذي يهديكم إلى طريق النجاة في البر والبحر وأنتم تائهون حائرون في ظلمات البر والبحر .
- ٩- قدرة الله تعالى على إرسال الرياح التي تبشر بالرحمة وحمل الماء التي هي من أسباب الحياة للإنسان والحيوان والأرض .
- ١٠- تنزه الله تعالى المتفرد بالقدرة والخلق المتصف بصفات الكمال عن شرك المشركين .

المبحث السابع لا يعلم الغيب إلا الله

قال تعالى ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ * بَلِ أَدَارِكْ عَلِمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلٌ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلٌ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴾ (النمل : ٦٥-٦٦) .
المناسبة :

بعد أن بيّن الله تعالى أنه المختص بالقدرة التامة على بدء الخلق وإعادته ، أتبعه بما هو من لوازم الإلهية وهو أنه المختص بعلم الغيب المستحق للعبادة وتحداهم إن كانوا يعلمون الغيب أن يبينوا متى سيبعثون من قبورهم (١) .

التحليل اللفظي :

﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ ﴾ : أي قل يا محمد ﷺ لسائلك من المشركين عن الساعة متى هي قائمة ، فإن علم الغيب قد استأثر الله تعالى بعلمه وحجب عنه خلقه ، والساعة من ذلك الغيب (٢) .
﴿ الْغَيْبَ ﴾ هو كل ما غاب عنك .

﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ من شعر يَشْعُرُ شعوراً فهو شاعر والمعنى أن كفار مكة لا يعلمون متى الساعة (٣) .

﴿ أَيَّانَ ﴾ ظرف للزمن المستقبل بمعنى حين . ويستعمل كاسم شرط جازم (٤) .
﴿ يُبْعَثُونَ ﴾ من بعث يبعث بعثاً وبعثة أي أحياءهم بعد موتهم (٥) ، والمعنى لا يعلمون متى يخرجون من قبورهم للحساب والجزاء .

(١) انظر التفسير المنير ، ج ٢٠ ، ص ١٩ .

(٢) انظر جامع البيان ، ج ٢٠ ، ص ٨ .

(٣) انظر المعجم العربي الأساسي ، ص ٦٨٨ .

(٤) نفس المصدر السابق ، ص ١٢٥ .

(٥) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٥٠ ، والمعجم العربي الأساسي ، ص ١٦٣ .

﴿ اَدَارِك ﴾ : يَدَارِك تَدَارِكًا . والمعنى تتابع ولحق بعضهم بعضاً (١) .

اختلف العلماء في معنى : ﴿ اَدَارِك ﴾ :

الأول : اَدَارِك أي تتابع ولحق بعضهم بعضاً .

الثاني : اَدَارِك أي تكامل علمهم في الآخرة . (٢)

فعلى الأول : يكون المعنى : علم بعضهم لحق علم البعض الآخر في أمر الآخرة ، أي تداركت علوم الحاضرين مع علوم أسلافهم من غير بصيرة ولا علم وذلك لأنهم أنكروا البعث .

وعلى الثاني : يتكامل علمهم في الآخرة حين يعاينونها ويعلمون بها علماً كاملاً بعد ما كانوا يجهلونهم في الدنيا بل يشكون بها مع إقرار الرسل بوقوعها . فالآن يرون القيامة وأهلها فيتكامل علمهم بوقوعها وصدق ما أخبرهم الرسل عنها . (٣)

والثالث : أن التدارك يستعمل مجازاً مرسلًا في الاختلاط والاضطراب لأن التدارك والتلاحق يلزمه التداخل فهم ينفون البعث ثم يزعمون أن الأصنام شفعاؤهم عند الله من العذاب، وهذا يقتضي إثبات البعث ولكنهم لا يعذبون في الآخرة أي بسبب الآخرة . (٤)

الرابع : قيل المعنى بل انتهى علمهم وعجزهم عن معرفة وقت الساعة فلم يكن لهم علم بشيء مما سيكون فيها قطعاً مع توافر أسباب العلم التي هي من الدلائل العقلية والنقلية التي ضعفت في اعتبارهم شيئاً فشيئاً حتى لم يعد لها قيمة وكأنها لم تكن . (٥)

الخلاصة كما يراها الباحث :

تفاوت أمر الآخرة عند المشركين .

(١) انظر مقاييس اللغة ، ج ١ ، ص ٤٠٤ ، والمعجم العربي الأساسي ، ص ٤٤٨ .

(٢) انظر أضواء البيان ، ج ٦ ، ص ٢٧٦ .

(٣) انظر أضواء البيان ، ج ٦ ، ص ٢٧٦ .

(٤) انظر التحرير والتنوير ، ج ٢٠ ، ص ٢٢ .

(٥) انظر تفسير المراغي ، ج ٢٠ ، ص ١٢ .

ففریق أول : ينكر وقوعها وذلك من خلال تتابع علم الخلف عن السلف بالإنكار
وفریق ثان : يثبت وقوعها ولكن دون أن يُعذب بها ولا يدري ما يحدث فيها .
وفریق ثالث : اضطرب في وقوعها بسبب ضعف الدلائل العقلية والنقلية من
اعتبارهم شيئاً فشيئاً حتى لم يعد لها قيمة وكأنها لم تكن .

﴿ **بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ** ﴾ من للابتداء المجازي حيث جعل عمَاهم وضلالهم في
إثبات الآخرة كأنه ناشئ لهم من إنكارهم الآخرة .

﴿ **عَمُونَ** ﴾ : جمع عمٍ بالتنوين وهو من العمى وهو تشبيهه عدم العلم بالعمى . (١)
والعمى يقال في افتقاد البصر والبصيرة . (٢)

وترتيب الإضرابات الثلاثة يتناسب تماماً مع أحوالهم :

فوصفوا بأنهم لا يعلمون بوقت البعث ، ثم تلقفوا علماً مضطرباً فأوقعهم
في شكٍ ومرية ، وأعقبهم عمىً وضلالة . فهذه الإضرابات مندرجة متصاعدة ،
ولو قيل : بل أدرك علمهم في الآخرة فهم في شكٍ منها فهم منها عمون لحصل
المراد ، ولكن جاءت طريق التدرج بالإضرابات أجزل وأروع . فكل واحد من
الإضرابات مستقل عن الآخر لا متفرع على ما قبله . (٣)

البلاغة :

الاستعارة ﴿ **بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ** ﴾ استعار العمى للتعامي عن الحق وعدم
التفكير والتدبر في آلاء الله .

مراعاة الفواصل مما يزيد في رونق الكلام وجماله وله على السمع وقع
خاص مثل قوله تعالى : ﴿ **وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ** ﴾ (٤) .

التدرج في الاضطرابات يظهر دقة الوصف واستقلالية كل منها
عن الآخر .

(١) انظر التحرير والتنوير ، ج ٢٠ ، ص ٢٣ .

(٢) انظر تفسير المراغي ، ج ٢٠ ، ص ١٢ .

(٣) انظر التحرير والتنوير ، ج ٢٠ ، ص ٢٣ .

(٤) انظر صفوة التفسير ، ج ٢ ، ص ٤١٧ ، والتفسير المنير ، ج ٢٠ ، ص ١٨ .

﴿ بَلِ ادَّارِكْ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ﴾ ، ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا ﴾ ، ﴿ بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴾ .

ضمائر الجمع في قوله ﴿ يَشْعُرُونَ ﴾ ، ﴿ يُبْعَثُونَ ﴾ ، ﴿ عِلْمُهُمْ ﴾ ، ﴿ هُمْ ﴾ في شَكٍّ ﴿ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴾ عائد على مَنْ الموصولة في قوله تعالى ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ وَمَنْ من صيغ العموم فالضمائر المذكورة عائدة إليها لتخصيص عمومها ببعض من في الأرض الذين يزعمون علم الغيب (١) .

القراءات :

قال تعالى ﴿ بَلِ ادَّارِكْ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا ... ﴾ .

﴿ بَلِ ادَّارِكْ ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو يقطع الألف وسكون الدال ، بمعنى " هل أدرك علمهم علم الآخرة " وهل بمعنى الجحد أي لم يعلموا حدوثها وكونها ، ودل على ذلك قوله تعالى : ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا ﴾ ، وقالوا ﴿ فِي ﴾ في قوله ﴿ فِي الْآخِرَةِ ﴾ بمعنى الباء وتأويل الكلام : لم يدرك علمهم بالآخرة .
﴿ بَلِ ادَّارِكْ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ﴾ قرأ الباقرن بمعنى تكامل علمهم يوم القيامة بأنهم مبعوثون وأن كل ما وعدوا به حق . قال ابن عباس ما جهلوا في الدنيا علموه في الآخرة (٢) .

الإعراب :

قال تعالى ﴿ بَلِ ادَّارِكْ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴾ .

﴿ بَلِ ﴾ : حرف إضراب للاستئناف .

﴿ ادَّارِكْ ﴾ : فعل ماضٍ مبني على الفتح .

﴿ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ﴾ فاعل مرفوع بالضممة و " هُمْ " ضمير الغائبين في محل جر بالإضافة .

(١) انظر التحرير والتنوير ، ج ٢٠ ، ص ٢٣-٢٤ .

(٢) انظر حجة القراءات ، ص ٥٣٥ .

﴿ فِي الْآخِرَةِ ﴾ : جار ومجرور ، متعلق بادراك علمهم بمعنى علموا في الآخرة أن ما وعدوا به حق (١) .

فائدة :

قوله تعالى ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ في الآية تظهر دلائل تنزيهه الله عن الحول في المكان وعن مماثلة المخلوقات ؛ لذلك يجري استعمال القرآن والسنة على سنن الاستعمال الفصيح للعلم بان المؤمن لا يتوهم ما لا يليق بجلال الله تعالى .

ومن المفسرين من جعل الاستثناء منقطعاً وقوفاً عند ظاهر صلة ﴿ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ لأن الله ينزّه عن الحول في السماء والأرض (٢) .

المعنى الإجمالي :

﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ قل يا محمد لسائليك من المشركين عن الساعة متى هي قائمة ، لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله لأن ذلك مما استأثر بعلمه وحجبه عن خلقه والساعة من ذلك. ولا أحد ممن في السماوات والأرض يعلم متى هم مبعوثون من قبورهم لقيام الساعة ، ولما نفى عنهم علم الغيب على العموم ، نفى عنهم علم الغيب المخصوص بوقت الساعة فصار منقياً مرتين فقال ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ وقال ﴿ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ﴾ أي بل انتهى علمهم بالآخرة ، وعجزوا عن معرفة وقت حدوثها ، ثم وصفهم بالحيرة في الآخرة فقال ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا ﴾ أي بل الكافرون في حيرة شديدة من تحقق الآخرة ووجودها ووقوعها ، ثم وصفهم بالتعامي عن التفكير والتدبر في أمر الآخرة فقال ﴿ بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴾ أي لا يبصرون دلائلها (٣) .

(١) انظر الإعراب المفصل ، ج ٨ ، ص ٢٣٢ .

(٢) انظر التحرير والتنوير ، ج ٢٠ ، ص ٢٠ .

(٣) انظر جامع البيان ، ج ٢٠ ، ص ٨-١٢ .

الدروس المستفادة :

- ١- أرشدت الآيات إلى أنه لا يعلم أحد الغيب إلا الله ، فذلك مما اختص الله تعالى به .
- ٢- تفاوت المشركين في أحوال الآخرة فمنهم منكر لها ومنهم شاك فيها ومنهم عمون عنها لا يدركون وقتها مما ترتب عليه عماهم وضلالهم .
- ٣- تنزيه الله تعالى عن مماثلة المخلوقات وعن الحلول سواء في السماوات أو في الأرض ، بل الله تعالى يعلم ما يدور في السماوات والأرض وما بينهما وما تحتها وما فوقها (١) .

(١) انظر التفسير المنير ، ج٢٠ ، ص٢١ ، والتحرير والتوير ، ج٢٠ ، ص٢٠ .

المبحث الثامن

إنكار المشركين للبعث

قال تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاءُنَا إِنَّا لَمُخْرَجُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ * وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ * وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (النمل : ٦٧-٧٥) .

المناسبة :

بعد أن أبان الله جهل الكفار بالآخرة ، ذكر شبهتهم التي أرتهم البعث مستحيل الوقوع فأسند القول إلى جميع الذين كفروا دون خصوص الذين يزعمون علم الغيب ؛ ولذلك عطفت الجملة لأنها غيرت التي قبلها بأنها أعم .

وأما مناسبة هذه الآيات لجملة السورة فهي أنه تعالى لما تكلم في حال مبدأ الخلق ، تكلم بعده في حال المعاد ، لأن الشك في المعاد لا ينشأ إلا من الشك في كمال القدرة أو في كمال العلم .

فإذا ثبت كونه تعالى قادراً على كل الممكنات وعالمًا بكل المعلومات . ثبت أنه قادر على إعادة التركيب والحياة إلى تلك الأجزاء ، وإذا ثبت إمكان ذلك . ثبت صحة القول بالحيث أو المعاد (١) .

التحليل اللفظي :

﴿ تُرَابًا ﴾ : التراب جمعه أترربة وهو ما تذرره الرياح من التربة بعد جفافها (٢) .

(١) انظر التفسير المنير ، ج ٢٠ ، ص ٢٢-٢٣ .

(٢) التحرير والتوير ، ج ٢ ، ص ٢٤ .

﴿لَمُخْرَجُونَ﴾ : من خرج خروجاً . أي خرج من مقره أو حاله سواء أكان مقره داراً أم بلداً أم ثوباً . والمعنى برزوا من القبور . أو من حال الفناء إلى الحياة .
﴿وَعِدْنَا﴾ : الوعد يكون في الخير والشر يقال وعدته بنفع أو ضرر ، والوعد ما يُقطع من عهد (١) .

﴿إِنْ هَذَا﴾ أي ما هذا .

﴿أَسَاطِيرُ﴾ جمع أسطورة - أي خرافة وهي حكاية يسودها الخيال وتبرز فيها قوى الطبيعة في شكل آلهة أو كانت خارقة للعادة ويشيع استعمالها (٢) .
﴿الْأَوَّلِينَ﴾ : جمع أول وهو بمعنى سابق وقديم (٣) ، والمعنى ما هذا الوعد بإعادة الأبدان إلا خرافة وأكذوبة يتناقلها الناس عن بعضهم ، وليس لها حقيقة يقوم عليها دليل .

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا﴾ : أي قل لهؤلاء المكذبين يا محمد ﷺ انظروا إلى ديار من كان قبلكم من المكذبين كيف هي وما لحقها من الدمار والخراب .
﴿عَاقِبَةٌ﴾ : جمعها عواقب وهو آخر كل شيء وخاتمته . (٤)
﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ : مفردها مجرم وهم من ارتكبوا جرائم وبخاصة في تكذيب الأنبياء وما جاءوا به .

﴿ضَيْقٌ﴾ : الضيق ضد السعة ، ويستعمل في الفقر والبخل والغم ونحو ذلك .

﴿مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ : أي من مكرهم وخداعهم . (٥)

﴿رَدِفَ لَكُمْ﴾ : يردف ردفاً أي دهمه وتابعه ولحقه . (٦)

﴿بَعْضُ الَّذِينَ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ : أي أصابهم بعض العذاب وهو القتل بيدر والعذاب في الآخرة .

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٥٦٣ .

(٢) انظر المعجم العربي الأساسي ، ص ٨٩ .

(٣) انظر المصدر السابق ، ص ١٢٠ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٨٥٢ .

(٥) انظر التفسير المنير ، ج ٢ ، ص ٢٢ .

(٦) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ١٩٨ ، والمعجم العربي الأساسي ، ص ٥١٦ .

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ﴾ : أي إن الله لذو منة على الناس بتأخير العذاب .

﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ : أي أ نعم الله عليهم بتأخير العذاب لإنكارهم وقوعه .

﴿ تَكُنُّ ﴾ : من أكنَّ يُكنَّ إكناناً أي ستره ، وأخفاه . (١)

﴿ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ : من أعلن يُعلن إعلاناً أي أظهره وصرح به (٢) ، والمعنى إن الله يعلم السرائر كما يعلم الظواهر .

﴿ غَائِبَةٍ ﴾ : جمعها غائبات والمعنى أي شيء في غاية الخفاء على الناس .
﴿ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ : أي في اللوح المحفوظ . فكل شيء يعلمه الله قديماً ومنه تعذيب الكفار . (٣)

البلاغة:

قوله ﴿ إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَأَبَاؤُنَا أَنَا لَمُخْرَجُونَ ﴾ استفهام استنكاري وتكرار همزة «أنا» للمبالغة في التعجب والإنكار .

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ وعيد وتهديد .
﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ ﴾ ، ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ ﴾ التأكيد بإن . واللام لترسيخ المعنى .
﴿ مَا تَكُنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ بين ﴿ تَكُنُّ ﴾ أي تخفي و ﴿ يُعْلِنُونَ ﴾ طباق (٤) .

القراءات :

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَأَبَاؤُنَا أَنَا لَمُخْرَجُونَ ﴾ .

﴿ إِذَا كُنَّا ﴾ قرأ نافع بكسر الألف .

﴿ أَنَا ﴾ قرأ نافع بالاستفهام .

(١) المعجم العربي الأساسي ، ص ١٠٥٧ .

(٢) المصدر السلبق ، ص ٧٢٥ ، والتفسير المنير ، ج ٢٠ ، ص ٢٢ .

(٣) التفسير المنير ، ج ٢٠ ، ص ٢٢ .

(٤) التفسير المنير ، ج ٢٠ ، ص ٢٢ ، وصفوة التفسير ، ج ٢ ، ص ٤٢٢ .

﴿ إِذَا ﴾ ﴿ أَنَا ﴾ قرأ عاصم وحمزة باستفهامين إلا أنهما حققا الهمزتين والقصر فيهما^(١) وحجتهم في ذلك أن الاستفهام منهم على إحيائهم بعد الممات ، ولم يستفهموا في كونهم تراباً لأنهم كانوا يعلمون أنهم يصيرون تراباً وما كانوا ينكرون ، وإنما أنكروا البعث والنشور فيجب على هذا أن يكون موضع الاستفهام في الكلمة الثانية في قوله ﴿ أَنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ لا الأولى^(٢) .

﴿ إِذَا ﴾ قرأ ابن عامر والكسائي بهمزتين
﴿ أَنَا ﴾ قرأ ابن عامر والكسائي بنونين^(٣) .
قوله تعالى ﴿ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ ٧٠ .
﴿ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ ﴾ قرأ ابن كثير بكسر الضاد على الاسم ، والضيق ما يكون في الشيء الذي يتسع ويضيق مثل الدار والثوب .
﴿ فِي ضَيْقٍ ﴾ قرأ الباقر بفتح الضاد على المصدر ، فالضيق ما ضاق عنه صدرك^(٤) .

الإعراب :

* قوله تعالى ﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ .
﴿ إِنَّ ﴾ : مخففة لا عمل لها بمعنى ما وهي نافية .
﴿ هَذَا ﴾ : اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ .
﴿ إِلَّا ﴾ : حرف حصر لا عمل لها .
﴿ أَسَاطِيرُ ﴾ : خبر هذا مرفوع بالضممة وهي مضافة .
﴿ الْأَوَّلِينَ ﴾ : مضاف إليه مجرور بالإضافة وعلامة جره الياء لأنه جمع مذكر سالم^(٥) .

(١) حُجَّة القراءات ص ٥٣٥-٥٣٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٧٠ .

(٣) نفس المصدر السابق ، ص ٥٣٥ ، واتحاف فضلاء البشر ، ج ٢ ، ص ٣٣٣ ، وفيض الرحيم ، ص ٣٨٤ .

(٤) حُجَّة القراءات ، ص ٥٣٦ .

(٥) انظر الإعراب المفصل ، ج ٨ ، ص ٣٣٤ .

المعنى الإجمالي :

قوله تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَنَا لَمُخْرَجُونَ ﴾ أي قال الكافرون بالله المكذبون لرسله عليهم صلوات الله وسلامه ، أننا لمخرجون من قبورنا أحياء كهيئتنا من بعد مماتنا وبعد أن بلينا وكنا فيها تراباً .
﴿ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ أي إنا ما زلنا نسمع نحن وآبؤنا ، فلم نر لذلك حقيقة ولم نتبين له صحة .

﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ثم أكدوا هذا الاستبعاد بقولهم ما هذا الوعد إلا أسطورة مما سطر الأولون من الأكاذيب في كتبهم من غير أن يكون لهم بينة على إمكان تحققه ووجوده (١) .

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ أي قل يا محمد ﷺ لهؤلاء المكذبين سيروا في أرض الحجاز والشام واليمن وغيرها فانظروا مصير من سبقكم من المكذبين . إنهم اغتروا بدنياهم ، وفتنوا بزخرفها وكذبوا رسلهم وأنكروا وجود البعث فأهلكهم الله بذنوبهم وبقيت ديارهم آثاراً شاهدة عليهم للعبرة والعظة ، ونجى الله رسله ومن اتبعهم من المؤمنين ، فدل ذلك على صدق ما جاءت به الرسل وصحته من الإيمان بالله وبالبعث ، وتلك سنة الله في كل من كذب رسله . وسيعاقبكم بمثل عقابهم إن لم تبادروا إلى الإيمان بالله واليوم الآخر . ثم سلى الله نبيه ﷺ عن إعراضهم عن قوله ورسالته فقال ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ ، فإن الله ناصرك عليهم ومظهر دينك على من خالفه وعانده .

ثم حكى الله عن المشركين إنكارهم عذاب الله تعالى فقال ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ قل لهم يا محمد ﷺ سبحانه وتعالى علة ترك تعجيل العذاب فقال ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ الله على نعمه عليهم وتأخير العذاب عنهم (٢) ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ

(١) انظر تفسير المراعي ، ج ٢٠ ، ص ١٤ .

(٢) انظر التفسير المنير ، ج ٢٠ ، ص ٢٤ ، وتفسير المراعي ، ج ٢٠ ، ص ١٥-١٦ .

وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿١﴾ أي إن ربك ليعلم ما في صدور خلقه ومكنون أنفسهم وخفي أسرارهم وعلانية أمورهم الظاهرة ، لا يخفى عليه شيء من ذلك وهو محصياها عليهم حتى يجازيهم جميعاً بالإحسان إحساناً وبالإساءة جزاءها .

ثم أبان الله تعالى حقيقة شاخصة عامة وهي أن كل ما في الكون محفوظ في اللوح المحفوظ فقال ﴿٢﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾ أي وما من شيء غائب مخفي في السموات والأرضين إلا وهو موجود معلوم محفوظ في اللوح المحفوظ الذي أثبت فيه الله تعالى كل ما كان وما يكون إلى يوم القيامة . فهو سبحانه وتعالى عالم الغيب والشهادة (١) .

الدروس المستفادة :

١- تكرر في القرآن الكريم حكاية إنكار المشركين البعث ، فهم يعدونه من خرافات الأقدمين المتوارثة ؛ لذا حذر القرآن الكريم من ذلك بل وتوعدهم بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة .

٢- ساق القرآن الكريم الأدلة الواضحة على آثار الدمار الذي لحق بمن أنكروا البعث، فقال تعالى: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ .

٣- بيان صدق النبي ﷺ في حزنه على من أعرض من قومه عن الهداية .

٤- من رحمة الله تعالى وفضله على المشركين استبطاء نزول العذاب بالترهيب مرة وبالترغيب مرة أخرى .

٥- أبان الله للمشركين أن مصير خططهم ومؤامراتهم الخبيثة الإخفاق . فإن الله يعلم ما تكن صدورهم وما يظهرهم فيحبط مشاريعهم .

٦- إقحام العقل في الأمور الغيبية وإخضاعها للمقياس العقلي يترتب عليه إنكار هذه الأمور الذي يوصل إلى الكفر ﴿٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاءُنَا أِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٨﴾ .

٧- الإيمان بعلم الله المطلق فكل غائبة في السموات والأرض محفوظة في كتاب عن الله تعالى .

(١) انظر التفسير المنير ، ج ٢٠ ، ص ٢٥ ، وجامع البيان ، ج ٢٠ ، ص ١٤ .

المبحث التاسع

إثبات نبوة محمد ﷺ بالقرآن الكريم

قال تعالى ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ * وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ * إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ * فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ * إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ * وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِنَّ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿ (النمل : ٧٦-٨١) المناسبة :

بعد أن أتم الله الكلام في إثبات المبدأ والمعاد بالأدلة الكونية والحسية والعقلية - أعقب ذلك بإثبات النبوة بأدلة أعظمها القرآن الكريم المشتمل على المعجزات التي تدل على صدق نبوة محمد ﷺ فيما يدعيه ويدعو إليه (١) .

التحليل اللفظي :

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ أي أن هذا القرآن يروي ويبين لبني إسرائيل الموجودين في زمان النبي محمد ﷺ (٢) .
﴿ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ أي يخبرهم بأكثر نواحي الاختلاف كالتشبيه والتنزيه والمسيح والعزير ، فقد تحزبوا في المسيح أحزاباً ووقع بينهم التناكر في أشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضاً وقد نزل القرآن لبيان ذلك الاختلاف (٣) .
والمعنى إن هذا القرآن يروي أخبار بني إسرائيل الموجودين في زمان نبينا ﷺ ، والأمور التي اختلفوا فيها كالتشبيه والتنزيه وأحوال الجنة والنار وعزير والمسيح عليهم السلام .

﴿ وَإِنَّهُ ﴾ : أي القرآن الكريم .

(١) انظر التفسير المنير ، ج ٢٠ ، ص ٢٨ .

(٢) انظر تفسير النسفي ، ج ٣ ، ص ٢٢١ .

(٣) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٢١ .

﴿ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ لمن أنصف منهم وآمن أي من بني إسرائيل وغيرهم من المنتفعين بالإيمان .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ ﴾ ﴿ أي إن الله يفصل بين بني إسرائيل كغيرهم يوم القيامة ممن آمن بالقرآن ومن كفر به .

﴿ بِحُكْمِهِ ﴾ : أي بعدله لأنه لا يقضي إلا بالعدل .

﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ : الغالب ، فلا يرد قضاؤه ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بحقيقته ما يقضي فيه ولا معقب لحكمه (١) .

﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ اعتمد على الله ولا تبال بمعاداتهم (٢) .

﴿ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾ علة التوكل بأنه على الحق الأبلج وهو الدين الواضح الذي لا يتعلق به شك وفيه بيان أن صاحب الحق حقيق بالوثوق بالله وبنصرته (٣) .

* ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ ﴾ .

تعليل آخر للتوكل ، من حيث يقطع الأمل بمتابعتهم ومعاضدتهم فضرب مثلاً لهم بالموتى وبالصم والعمي لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى عليهم ، ولا برؤية ما يرشدهم للإيمان .

﴿ الْمَوْتَى ﴾ من مات يموت موتاً فهو مائت وميت ، وهو الحي الذي فارقتة الحياة(٤) . ﴿ الصَّمَّ ﴾ فقدان حاسة السمع وبه يوصف من لا يُصغي إلى الحق ولا يقبله (٥) .

﴿ مُدْبِرِينَ ﴾ أي فارين هاربين .

﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي ﴾ من هدى يهدي هدى وهدياً وهداية ، أي أرشده وعرفه (٦) .

(١) انظر التفسير المنير ، ج ٢٠ ، ص ٢٨ .

(٢) المعجم العربي الأساسي ، ص ١٣٣٠ .

(٣) تفسير النسفي ، ج ٣ ، ص ٢٢٢ .

(٤) المعجم العربي الأساسي ، ص ١١٥٨ .

(٥) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٤٩٢ .

(٦) المصدر السابق ، ص ٥٣٦ ، المعجم العربي الأساسي ، ص ١٢٥٩ .

﴿ الْعَمَى ﴾ جمع أعمى : وهو الضرير لا يبصر الصواب فيهدي إليه .
 ﴿ ضَلَّاتِهِمْ ﴾ من ضل يضلُّ ضلالاً وضلالةً فهو ضال : زل عن الشيء ولم
 يهتد إليه . والضلال : هو العدول عن الطريق المستقيم ويزاده الهداية .
 ﴿ إِنْ تَسْمَعُ ﴾ أي ما يجري إسماعك سماع فهم وقبول (١) .
 ﴿ فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ : جمع مُسلم وهو من قبل رسالة محمد ﷺ وخضع لها (٢) .
البلاغة :

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقْصُ ﴾ استعارة مكنية حيث استعار ما يتكلم به الإنسان الناطق
 إلى القرآن ؛ لتضمنه نبأ الأولين فكان كالإنسان الذي يقص على الناس
 الأخبار (٣) .

﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ جيء في فعل التوكل بعنوان اسم الجلالة لأن ذلك الاسم
 يتضمن معاني الكمال كلها . ومن أعلاها العدل في القضاء ونصر المحق (٤) .
 ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى ﴾ ، ﴿ وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ ﴾ ، ﴿ بِهَادِي الْعَمَى ﴾
 استعارة تمثيلية .

فقد عبر بالموتى والصم والعمى تمثيلاً لأحوال الكفار في عدم انتفاعهم
 بالإيمان بأنهم كالموتى والصم والعمى (٥) .

القرارات :

* قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾
 ﴿ لَا يَسْمَعُ الصَّمَّ ﴾ : قرأ ابن كثير بالياء وفتحها .
 ﴿ لَا تَسْمَعُ ﴾ : قرأ الباقر بالتاء وضمها .
 ﴿ الصَّمُّ ﴾ : قرأ ابن كثير بالرفع أي لا ينفادون للحق لعنادهم كما لا يسمع الأصم .

(١) انظر تفسير النسفي ، ج ٣ ، ص ٢٢٢ .

(٢) المعجم العربي الأساسي ، ص ٣٦٩ .

(٣) انظر التفسير المنير ، ج ٢٠ ، ص ٢٧ ، وصفوة التفسير ، ج ٢ ، ص ٤٢٢ .

(٤) انظر التحرير والتنوير ، ج ٢٠ ، ص ٣٤ .

(٥) انظر التحرير والتنوير ، ج ٢٠ ، ص ٢٧ .

﴿ الصَّمَّ ﴾ : قرأ الباقون بالنصب خطاباً لرسول الله ﷺ فيكون إنك لا تسمعهم كما لم يسمعهم الله (١) .

* ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ .

﴿ وَمَا أَنْتَ تَهْدِي الْعُمَىٰ ﴾ قرأ حمزة بالتاء ، والمعنى أنك لا تهديهم لشدة عنادهم .

﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ ﴾ قرأها الباقون .

﴿ الْعُمَىٰ ﴾ : قرأ حمزة بالنصب .

﴿ الْعُمَىٰ ﴾ قرأ الباقون بالجر (٢) .

الإعراب :

﴿ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا ﴾

﴿ إِنْ ﴾ مخففة مهملة ، بمعنى ما النافية .

﴿ تُسْمِعُ ﴾ فعل مضارع مرفوع بالضمة والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت .

﴿ مَنْ ﴾ اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به .

﴿ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا ﴾ الجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها من الإعراب (٣) .

المعنى الإجمالي :

إن الكتاب الذي أورد الأدلة على إثبات صفات الكمال لله تعالى ، وإثبات البعث لإقامة العدل بين الخلائق بالثواب والعقاب ، وهما أصلان للدين . هو هذا القرآن المتضمن وجوه الإعجاز التالية :

١- ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقْصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ يقول

تعالى ذكره : إن هذا القرآن الذي أنزلته إليك يا محمد يقص على بني

إسرائيل الحق في الأشياء التي اختلفوا فيها كأمر عيسى عليه السلام . فقالت اليهود

فيه ما قالوا ، وقالت النصارى فيه ما قالوا ، فقال جل ثناؤه لهم : إن هذا

(١) انظر حُجَّة القراءات ، ص ٥٣٦ .

(٢) حُجَّة القراءات ، ص ٥٣٧ .

(٣) الإعراب المفصل ، ج ٨ ، ص ٣٤٢ .

القرآن يقص عليكم الحق فيما اختلفتم فيه فاتبعوه وأقرّوا بما فيه ، فإنه يقص عليكم الحق ، ويهديكم إلى سبيل الرشاد (١) .

٢- إثبات التوحيد والبعث والنبوة وأحكام التشريع بدلائله العقلية ﴿لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول تعالى ذكره : إن هذا القرآن لهدى للمؤمنين إلى طريق الرشاد فيما اختلف فيه خلقه من أمور دينهم ورحمة لمن صدق به وعمل بما فيه (٢) .

فهو هدى ورحمة لبلوغه غاية الفصاحة والبلاغة حتى عجز البشر عن معارضته ، وأنه وحي منزل من الله الحكيم العليم ، وهو كذلك هدى ورحمة في أحكامه التشريعية المتعلقة بالعقيدة كالتوحيد والحشر والنبوة وصفات الله الحسنى ، والمتعلقة بأحكامه العملية الملائمة لحاجات البشر وتحقيق مصالحهم في الدنيا والآخرة .

وبعد بيان خصائص إعجاز القرآن الدالة على صدق الرسالة النبوية أتبعه بذكر أمرين :

الأول : إقامة الدليل على عدل الله تعالى :

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ .

يقول تعالى ذكره : إن ربك يقضي بين المختلفين من بين بني إسرائيل بحكمه فيهم ، فينتقم من المبطل منهم ويجازي المحسن منهم المحق بجزائه ، وربك العزيز في انتقامه من المبطل منهم ومن غيرهم ، العليم بالمحق المحسن من هؤلاء المختلفين من بني إسرائيل فيما اختلفوا فيه ومن غيرهم من المبطل الضال عن الهدى (٣) .

(١) انظر جامع البيان ، ج ٢٠ ، ص ١٤ .

(٢) انظر التفسير المنير ، ج ٢٠ ، ص ٢٩ ، وجامع البيان ، ج ٢٠ ، ص ١٥ .

(٣) انظر جامع البيان ، ج ٢٠ ، ص ١٥ .

الثاني : أمر النبي ﷺ بالتوكل على الله وقلة المبالاة بأعداء الله :
﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾ .

أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بالتوكل على الله وقلة المبالاة بأعداء الله وعلل التوكل بأنه على الحق الأبلج وهو الدين الواضح الذي لا يتعلق به شك^(١) .
﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ : أي إنك يا محمد ﷺ لا تقدر أن تفهم الحق من طبع الله على قلبه فأماتته ؛ لأن الله قد ختم عليه ألا يفهمه ، ولا تقدر أن تسمع ذلك من أصم الله عن سماعه سمعه إذا هم أدبروا معرضين عنه لغلبة الكفر على قلوبهم^(٢) .

ثم أكد الله تعالى ما سبق فقال : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ ولما كانوا لا يعون ما يسمعون ولا به ينتفعون شبهوا بالموتى وهم أحياء صحاح الحواس ، وبالصم الذي ينطق بهم فلا يسمعون ، وبالعمى حيث يضلون الطريق ولا يقدر أحد أن ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء إلا الله . ولكن حالهم أنهم مدبرون عن الحق ، وما يجدي إسماعك إلا الذين علم الله أنهم يؤمنون بآياته ، فهم مخلصون لله ولرسوله فهم المتدبرون المتفكرون المستعدون لقبول الحق والعمل به^(٣) .

الدروس المستفادة :

تبين الآيات صدق النبوة وصحة الرسالة ، وذلك بالقرآن الذي أنزله الله على قلب النبي ﷺ مشتتلاً على وجوه عديدة من الإعجاز :

١- إن القرآن يبين لبني إسرائيل الموجودين حال نزول القرآن ما اختلفوا فيه من أمور البعث وغيره ، وذلك ما حرفوه من التوراة والإنجيل وما سقط من كتبهم من الأحكام.

(١) انظر تفسير النسفي ، ج ٣ ، ص ٢٢١ .

(٢) انظر جامع البيان ، ج ٢٠ ، ص ١٦ .

(٣) انظر تفسير النسفي ، ج ٣ ، ص ٢٢٢ ، وجامع البيان ، ج ٢٠ ، ص ١٦ .

- ٢- القرآن كتاب هداية من الضلالة إلى الحق والاستقامة والرشاد ورحمة لمن صدق به بما اشتمل عليه من الأدلة العقلية على التوحيد والبعث والنبوة .
- ٣- الحكم لله تعالى يوم القيامة فيجازي المحق بالجنة والمبطل بالنار .
- ٤- أمر الله نبيه ﷺ بالتوكل على الله والإعراض عما سواه لأنه الحق وغيره الباطل ، وفي ذلك درس للدعاة بالاستمرار في الدعوة على رغم إعراض المشركين .
- ٥- استخدام لفظ الموتى ليدل على عدم انتفاعهم بأسماعهم وأبصارهم لأنهم كفار .
- ٦- الهداية بيد الله تعالى وحق تبليغ الدعوة مطلوب (١) .

(١) انظر التفسير المنير ، ج ٢٠ ، ص ٣١-٣٢ ، والتحرير والتنوير ، ج ٢٠ ، ص ٣٨ .

المبحث العاشر من أمارات القيامة

ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول إخراج الدابة

قال تعالى ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ * وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عَلِمًا أَمَّا إِذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ * أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِن فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (النمل : ٨٢-٨٦) المناسبة :

بعد أن أبان الله تعالى الدلائل على كمال قدرته وكمال علمه ، وفرع على ذلك القول بإمكان البعث والحشر والنشر ، ثم أوضح كون القرآن معجزاً ، ونبهه بإعجازه على إثبات نبوة محمد ﷺ ، ثم بين مقدمات قيام القيامة وهي إما كالعلامة للقيامة كإخراج دابة الأرض وإما أن تقع عند قيام القيامة كنفخ الصور ، وأخر الحق جل جلاله عن علامات القيامة إثبات النبوة ؛ لأن هذه الأشياء لا يمكن معرفتها إلا بقول النبي الصادق (١) .

التحليل اللفظي :

﴿ وَإِذَا وَقَعَ ﴾ : الواو والقاف والعين أصل واحد يدل على سقوط شيء والمعنى : إذا دنا وقوع العذاب (٢) .
﴿ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ﴾ : هو ما وعدوا به من البعث والعذاب (٣) .

(١) التفسير المنير ، ج ٢٠ ، ص ٣٥ .

(٢) انظر معجم مقاييس اللغة ، ج ٢ ، ص ٦٤٢ .

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل تأليف ناصر الدين ابس سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ، ج ٢ ، ص ٩٣ .

﴿ دَابَّةٌ ﴾ جمعها دواب وهو كل ما يدبُ ويمشي على الأرض ذكراً كان أو أنثى والمعنى أن الدابة كانت تكلم الناس أن الناس لا يؤمنون بآيات الله الدالة على قيام الساعة (١) .

﴿ نَحْشُرُ ﴾ : جمع .

﴿ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ ﴾ : من للتبويض .

﴿ فَوْجاً ﴾ : جماعة من الناس والمعنى نجمع يوم القيامة جماعة من رؤساء كل أمة من الظالمين المكذبين بآيات الله ورسله ، ونحبس أولهم على آخرهم ، ليجتمعوا في موقف الحشر والحساب (٢) .

﴿ أَمَّا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ : وهو استفهام للتبكيث ، إذ لم يفعلوا غير التكذيب والجهل (٣) .

﴿ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا ﴾ : أي حل بهم العذاب بسبب ظلمهم الذي هو الشرك والتكذيب (٤) .

﴿ فَهُمْ لَا يَظُنُّونَ ﴾ : من نطق ينطق نطقاً فهو ناطق . تكلم بصوت وحروف تعرف بها المعاني (٥) .

﴿ لَيْسَكُنُوا فِيهِ ﴾ : أي ليستريحوا فيه ويهدؤوا ، والمعنى : ألم يعلموا أننا جعلنا الليل والنهار قواماً لمعاشهم في الدنيا وأن ذلك لم يجعل عبثاً بل محنة وابتلاء .
البلاغة :

﴿ أَمَّا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ فيه أسلوب التوبيخ والتأنيب .

﴿ اللَّيْلِ ﴾ ، ﴿ النَّهَارِ ﴾ طباق .

القراءات :

قوله تعالى : ﴿ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ .

(١) المعجم العربي الأساسي ، ص ٣٧٨ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج ٢ ، ص ٩٣ .

(٢) انظر التفسير المنير ، ج ٢٠ ، ص ٣٦ .

(٣) التفسير المنير ، ج ٢٠ ، ص ٣٤ .

(٤) انظر تفسير النسفي ، ج ٣ ، ص ٢٢٣ .

(٥) المعجم العربي الأساسي ، ص ١٢٠٤ .

﴿ أَنْ النَّاسَ ﴾ قرأ عاصم وحمزة والكسائي بفتح همزة أن .
﴿ إِنَّ النَّاسَ ﴾ قرأ الباقر بالكسر على الاستئناف ، جعلوا الكلام عند قوله
﴿ تَكَلَّمُهُمْ ﴾ وقفاً تاماً (١) .

الإعراب :

﴿ أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا ﴾ .

﴿ أَكْذَبْتُمْ ﴾ : الهمزة همزة توبيخ بلفظ الاستفهام - كذبتم فعل ماضٍ مبني على
السكون لاتصاله بضمير الرفع المتحرك والتاء ضمير متصل مبني على الضم في
محل رفع .

﴿ بِآيَاتِي ﴾ جار ومجرور والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة ، والمعنى
نسألهم أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً (٢) .

المعنى الإجمالي :

﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ
كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله
وتبديلهم الدين الحق بقوانين وضعية يترتب عليها استحقاقهم العذاب الموعود
وذلك قرب مجيء الساعة يُخرج الله سبحانه وتعالى دابة من الأرض ، والراجح
أنها من مكة المكرمة تحدث الناس وتقول ألا لعنة الله على الظالمين ، أو تكلمهم
ببطلان الأديان كلها سوى دين الإسلام ، أو بأن هذا مؤمن وهذا كافر ، وذلك
بكلام يجريه الله على لسان تلك الدابة تحقيراً لهم وتنديماً على إعراضهم عن
قبول الحق (٣) .

فبعد ذكر العلامة الأولى لقيام الساعة وهي خروج الدابة ذكر تعالى
العلامة الثانية فقال ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ
حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ إِذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

(١) حُجَّة القراءات ، ص ٥٣٨ .

(٢) الإعراب المفصل ، ج ٨ ، ص ٣٤٥ .

(٣) انظر تفسير النسفي ، ج ٣ ، ص ٢٢٢ ، وتفسير المراغي ، ج ٢٠ ، ص ٢٢ .

يقول تعالى ذكره : ويوم نجمع من كل أمة فوجاً وهم الجماعة من الناس ممن يكذب بأدلتنا وحججنا فيجمع أولهم على آخرهم ليساقوا إلى النار حتى إذا جاء من كل أمة فوج قال الله أكذبتم بحججي وأدلتي ولم تعرفوها حق معرفتها لتصلوا إلى العلم بحقيقتها فإنكم لم تخلقوا عبثاً (١) .

﴿ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴾ : أي وجب السخط والغضب من الله على المكذبين بآيات الله بسبب ظلمهم وتكذيبهم وكفرهم فيشغلهم ذلك عن النطق والاعتذار .

﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً ﴾ ذكرهم جل جلاله بدلائل الوجدانية بذكر الآيات التي هي ملازمة لهم طوال حياتهم وهي آية اختلاف الليل والنهار الدالة على انفراده تعالى بالتصرف في هذا العالم ؛ فأصنامهم تخضع لمفعول الليل والنهار ، فتظلم ذواتهم في الليل وتظهر في النهار ، وفيها تمثيل الموت والحياة بسكون الليل وانبثاق النهار عقبه (٢) .

* ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

يقول تعالى ذكره : ألم ير هؤلاء المكذبون بآياتنا تصريحنا الليل والنهار فالليل سكنٌ لهم يسكنون فيه ويهدعون راحة لأبدانهم من تعب التصرف ، والنهار مضيء يبصرون فيه الأشياء ، فمصرف ذلك هو الله (٣) فمن تأمل تعاقب الليل والنهار والانتقال من حال شبيهة بالموت إلى حال الحركة والحياة أدرك أن القيامة كائنة لا محالة ، وأن الله سيبعث من في القبور (٤) .

الدروس المستفادة :

من مقدمات يوم القيامة وأهوالها الكثيرة والمذهلة :

١- إخراج دابة الأرض وتحديثها للناس وحينها لا ينفع الإيمان لحديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ " ثلاثة إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها

(١) انظر جامع البيان ، ج ٢٠ ، ص ٢١-٢٢ .

(٢) انظر تفسير المراعي ، ج ٢٠ ، ص ٢٣ .

(٣) انظر جامع البيان ، ج ٢٠ ، ص ٢٢ .

(٤) انظر التفسير المنير ، ج ٢٠ ، ص ٣٧ .

لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً : طلوع الشمس من مغربها
والدجال ودابة الأرض " (١) .

- ٢- من الآيات الدالة على وحدانية الله الليل والنهار واختلافهما ، كتقليب الليل
المظلم إلى نور والنور إلى ظلام دامس .
- ٣- حشر المكذبين بالبعث وسوقهم إلى جهنم .
- ٤- علامات الساعة هي دليل على صدق نبوة النبي محمد ﷺ .
- ٥- قدرة الله على إنطاق الدابة وتكليمها الناس وبيان صدق دعوة النبي ﷺ .

المطلب الثاني

النفخ في الصور وتسيير الجبال

قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي
الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ * وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ
تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ * مَنْ جَاءَ
بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ * وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ
وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (النمل : ٨٧-٩٠) .
المناسبة :

بعد ذكر العلامة الأولى لقيام القيامة وهي خروج دابة الأرض التي تكلم
الناس عن جحودهم بالبعث والآخرة ، أتبعه بعلامات أخرى وهي النفخ في
الصور وتسيير الجبال (٢) .

التحليل اللفظي :

﴿ وَيَوْمَ ﴾ : أي واذكر يا محمد ﷺ يوم ينفخ في الصور .
﴿ الصُّور ﴾ هو البوق مثل قرن ينفخ فيه ، فيجعل الله سبحانه وتعالى ذلك سبباً
لعود الصُّور والأرواح إلى أجسامها ، والصور يجمع على أصوار (٣) .

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان حديث رقم ١٥٨ ، ص ٩٣ .

(٢) انظر التفسير المنير ، ج ٢٠ ، ص ٤٠ .

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٢٩٧ .

- ﴿ فَفَزِعَ ﴾ : أي خاف وذعر .
- ﴿ إِنَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ : إلا من ثبت قلبه من الملائكة والشهداء .
- ﴿ وَكُلُّ أَوْتَاهُ ﴾ : من أتى يأتي أتياً وإتياناً ، أي جاء إليه (١) .
- ﴿ دَاخِرِينَ ﴾ من دَخَرَ يَدْخُرُ دُخُوراً ، أي صغر وذل وهان (٢) .
- ﴿ تَحْسِبُهَا ﴾ : تظنها (٣) .
- ﴿ جَامِدَةً ﴾ ثابتة في مكانها .
- ﴿ صُنْعَ ﴾ : الصنع إجادة الفعل فكل صنْع فعل وليس كل فعل صنْعاً (٤) .
- ﴿ أَتَقَنَ ﴾ : يتقن إتقاناً أي أحكمه ، خلقه وسواه على ما ينبغي (٥) .
- ﴿ خَبِيرٌ ﴾ : أي عالم بظواهر الأفعال وبواطنها فيجازيهم عليها (٦) .
- ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ﴾ : أي من آمن بالله وعمل صالحاً، أي يقول لا إله إلا الله.
- ﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ﴾ : أي الشرك . (٧)
- ﴿ فَكَبَّتْ ﴾ : من كب يكبُّ كِباً ، أي قلبه على رأسه وصرعه وألقاه. (٨)
- والمعنى : ألقيت وجوههم لشرفها فغيرها من باب أولى .
- ﴿ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ : أي ما تجزون إلا جزاء عملكم من الشرك والمعاصي .
- البلاغة :
- ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ﴾ و ﴿ مَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ﴾ بينهما طباق .
- ﴿ تَمَرٌ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ : تشبيهه بليغ أي تمر كمر السحاب في السرعة حذفت فيها الأداة ووجه الشبه . (٩)

(١) المعجم العربي الأساسي ، ص ٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٤١ .

(٣) التفسير المنير ، ج ٢٠ ، ص ٤٠ .

(٤) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٢٩٤ .

(٥) المعجم العربي الأساسي ، ص ٢٠٠ .

(٦) التفسير المنير ، ج ٢٠ ، ص ٤٠ .

(٧) انظر تفسير النسفي ، ج ٣ ، ص ٢٢٤ .

(٨) المعجم العربي الأساسي ، ص ١٠٢٣ .

(٩) التفسير المنير ، ج ٢٠ ، ص ٣٩ ، وصفوة التفسير ، ج ٢ ، ص ٤٢٢ .

القراءات :

قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوُّهُ دَاخِرِينَ ﴾ (النمل: ٨٧)

﴿ وَكُلُّ أَتَوُّهُ ﴾ قرأ حمزة وحفص بفتح التاء . وجعلا ه فعلا ماضياً أي جاءوه .

﴿ وَكُلُّ أَتَوُّهُ ﴾ قرأ الباقون بالمد مضمونه على الاستقبال .

وقوله تعالى ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنَعَ اللَّهُ الَّذِي اتَّقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ (النمل: ٨٨)

﴿ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بالياء حيث ردوه

على الخبر عن الغيب في قوله ﴿ وَكُلُّ أَتَوُّهُ دَاخِرِينَ ﴾

﴿ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ قرأ الباقون بالتاء وحجتهم في ذلك أنه قرب من

المخاطبة في قوله تعالى ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ﴾ . (١)

قوله تعالى : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴾ .

﴿ وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ ﴾ قرأ عاصم وحمزة والكسائي بالتنوين .

﴿ وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ﴾ قرأ أبو عمرو وابن كثير وابن عامر وإسماعيل

بغير تنوين .

﴿ مِنْ فَزَعٍ ﴾ قرأ نافع غير منون ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ (٢) .

الإعراب :

﴿ وَكُلُّ أَتَوُّهُ دَاخِرِينَ ﴾ .

﴿ وَكُلُّ ﴾ : الواو استئنافية وكل : مبتدأ مرفوع بالضمة المنونة .

﴿ أَتَوُّهُ ﴾ : فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لانتقاء الساكنين

والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل والجملة الفعلية أتوه في محل رفع

خبر المبتدأ .

﴿ دَاخِرِينَ ﴾ : حال من ضمير الغائبين في أتوه منصوب بالياء لأنه جمع مذكر

سالم . أي صاغرين أذلاء (٣) .

(١) انظر حجة القراءات ، ص ٥٣٨ - ٥٣٩ .

(٢) حجة القراءات ، ص ٥٣٩ - ٥٤١ .

(٣) الإعراب المفصل ، ج ٨ ، ص ٣٤٨ .

المعنى الإجمالي :

﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَرَعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوُهُ دَاخِرِينَ ﴾ .

يخبر الله تعالى عن يوم نفخة الصور الذي هو قرن ينفخ فيه وذلك في آخر عمر الدنيا حين تقوم الساعة على شرار الناس من الأحياء فيفزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله وهم الشهداء فإنهم أحياء عند ربهم يرزقون ، ثم بعد ذلك نفخة الصعق وهو الموت ، ثم بعد ذلك نفخة القيام لرب العالمين وهو النشور من القبور لجميع الخلائق ولهذا قال تعالى : ﴿ وَكُلُّ أَتَوُهُ دَاخِرِينَ ﴾ أي صاغرين مهطعين لا يتخلف أحد عن أمره (١) .

﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمْرٌ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ (النمل : ٨٨)

أي تراها كأنها ثابتة باقية على ما كانت عليه وهي تمر عن مكانها كما يسير الغمام بتأثير الرياح ؛ لأن الأجرام الكبار إذا تحركت في سمت (*) لا تكاد تبين حركتها ، صنع الله الذي أتقن بقدرته العظيمة كل ما خلق وأودع فيه من الحكمة ، إنه خبير بما يفعل عباده من خير وشر وسيجازيهم عليه أتم الجزاء .

ثم بين تعالى حال السعداء والأشقياء يومئذ فقال ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَرَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ * وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (النمل : ٨٩-٩٠) أي من جاء الله بتوحيده والإيمان به وقول لا إله إلا الله مؤمناً بها قلبه فله من هذه الحسنات عند الله خيرٌ يوم القيامة وذلك الخير أن يثيبه الله منها الجنة ويؤمنه من فزع الصيحة الكبرى وهي النفخ في الصور ، ومن جاء بالشرك وجحود وحدانيته كبت وجوههم في نار جهنم ، هل تجزون إلا ما كنتم تعملون إذ كذبكم الله على وجوهكم في النار نتيجة شرككم وكفركم (٢) .

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ، ج ٦ ، ص ٧٧-٧٨ .

(*) سمت : هيئة المعجم العربي الأساسي ، ص ٦٤٠ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ، ج ٦ ، ص ٧٨ ، وتفسير المراغي ، ج ٢٠ ، ص ٢٤-٢٥ .

الدروس المستفادة :

- ١- من مقدمات يوم القيامة : النفخ في الصور وهي نفخة الصعق ، يموت من رُعبها الخلائق كلهم ، ثم تأتي النفخة الثانية التي يحيي الله بها العباد ليجتمعوا في أرض الجزاء .
- ٢- خروج الدابة التي تكلم الناس بأن الناس كانوا بآيات الله يجحدون .
- ٣- تسيير الجبال وإزالتها عن مكانها وسرعة حركتها الشديدة وذلك بعد النفخة الثانية .
- ٤- قيام الساعة على شرار الناس .
- ٥- جمع الناس والخلائق من عهد آدم ﷺ إلى قيام الساعة أحياء أمام الله لقوله تعالى : ﴿ وَكُلُّ أُمَّةٍ دَاخِرِينَ ﴾ أي ذليلين صاغرين .
- ٦- ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ هذه الآية استدلال واضح على دوران الأرض حول الشمس بسرعة فائقة .
- ٧- تغيير معالم السموات والأرض فقط من فعل الله الذي أنقذ كل شيء ، وأودع فيه من الحكمة ما أودع (١) .
- ٨- الناس يوم القيامة منهم سعداء للجنة وأشقياء للنار .

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٣ ، ص ٢٥٢ .

المبحث الحادي عشر

الاشتغال بعبادة الله وحمده وتلاوة القرآن

قال تعالى ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ * وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (النمل: ٩١-٩٣) .

المناسبة :

بعد أن بين الله تعالى أحوال المبدأ والمعاد والنبوة ومقدمات القيامة وصفة أهل القيامة من الثواب والعقاب ، أمر رسول الله ﷺ أن يقول للمشركين إنه قد أتم أمر الدعوة وأنها قد كملت . ولم يبق عليه إلا الاشتغال بعبادة الله وحده لا شريك له ، وبحمده وشكره على نعمه العظمى ، وبتلاوة القرآن ، أي أن مهمة إعلان الدعوة من جانبه قد انتهت ، وبقي عليهم التفكير في تدبر القرآن وفي الاستجابة لهذه الدعوة ، وتدبر القرآن التي تكفي في إرشادهم ، وأنها إن لم تقدم فقد أفادته ، فسواء أقبلتم هذه الدعوة أم أعرضتم عنها فإني مصرٌّ عليها غير مرتاب فيها (١) .

التحليل اللفظي :

﴿ رَبِّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ ﴾ أي مكة المكرمة ، وتخصيصها بهذه الإضافة وإضافة رب إليها تشريف لها وتعظيم لشأنها (٢) .

﴿ الَّذِي حَرَّمَهَا ﴾ : أي جعلها حراماً آمناً لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها أحد .

﴿ وَمَنْ ضَلَّ ﴾ : عن الإيمان وأخطأ طريق الهدى (٣) .

(١) التفسير المنير المنير ، ج ٢٠ ، ص ٤٦ .

(٢) جامع البيان ، ج ٢٠ ، ص ٣١ .

(٣) المعجم العربي الأساسي ، ص ٧٧٤ .

﴿ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ : المخوفين قومهم من عذاب الله ، وما أنا إلا مبلغ عن ربي .

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ على نعمة النبوة أو على ما علمني ووفقتي للعمل به .
﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ : وما ربك يا محمد بغافل عما يعمل هؤلاء المشركون ، ولكن لهم أجل هم بالغوه ، فإذا بلغوه فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون (١) .

﴿ بِغَافِلٍ ﴾ : من غفل يغفل غفولاً وغفلة فهو غافل : أي أهمله (٢) .
البلاغة :

﴿ فَمَنْ اهْتَدَى ﴾ ﴿ وَمَنْ ضَلَّ ﴾ : طباق .
﴿ سِيرِكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾ : تهديد ووعيد .
﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ وعد ووعيد (٣) .
القراءات :

قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ .

﴿ تَعْمَلُونَ ﴾ : قرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء على الخطاب وحثهم قوله تعالى ﴿ سِيرِكُمْ آيَاتِهِ ﴾

﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ : قرأ الباقر والياء ، وحثهم أن الكلام انقطع عند قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ آيَاتِهِ ﴾ ثم قال ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ أي عما يعمل هؤلاء المشركون (٤) .

الإعراب :

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ .

الواو استئنافية ، ما النافية بمنزلة ليس .

(١) جامع البيان ، ج ٢٠ ، ص ٣٢ .

(٢) المعجم العربي الأساسي ، ص ٨٩٧ .

(٣) انظر تفسير المراعي ، ج ٢٠ ، ص ٢٧ .

(٤) حجة القراءات ، ص ٥٤١ ، وفيض الرحيم ، ص ٣٨٥ .

﴿ رَبُّكَ ﴾ : مبتدأ مرفوع بالضمّة الظاهرة على آخره ، ورب مضاف والكاف مضاف إليه .

﴿ بِغَافِلٍ ﴾ : الباء للتوكيد .

﴿ غَافِلٍ ﴾ : خبر المبتدأ (١) .

المعنى الإجمالي :

﴿ إِنَّمَا أَمْرٌ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ .

يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ قل لهم إنما أمرت أن أعبد رب مكة الذي حرّمها على الناس فجعلها شرعاً وقدرًا حرماً آمناً ، لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها أحد ، ولا يصاد فيها صيد ولا يخوف فيها خائف - حيث تجبى إليها ثمرات كل شيء ، وخصت مكة بذلك تشريفاً لها واعتناء بها ، وله كل شيء ومليكه لا إله إلا هو وأمرت أن أكون من المسلمين الخاضعين المنقادين لأمره المطيعين له .

﴿ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ أي لي أسوة بالرسول الذين أنذروا أقوامهم وقاموا بما عليهم من أداء الرسالة وخلصوا من عهدتهم وحساب أممهم على الله تعالى .

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ .

أي لله الحمد الذي لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه ، والإنذار إليه ولهذا قال تعالى ﴿ سِيرِكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ أي هو شهيد على كل شيء (٢)

(١) انظر الإعراب المفصل ، ج ٨ ، ص ٣٥٥ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ، ج ٦ ، ص ٧٩ .

الدروس المستفادة :

- ١- تخصيص الله بالعبادة دون غيره واتصافه بأمرين :
الأول : ﴿ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ ﴾ مكة واختصها من بين سائر البلاد بإضافة اسمه إليها لأنها أحب بقاع الأرض إليه .
الثاني : ﴿ وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ﴾ خلقاً وملكاً وتصرفاً . فهو خالق لجميع النعم ومالك جميع الكون .
- ٢- الانقياد والخضوع لله تعالى .
- ٣- الأمر بتلاوة القرآن على الناس لتبليغهم إياه .
- ٤- التوجيه من الله لعباده بالثناء على الله المنعم على عباده حيث سيرهم آياته ومعجزاته الدالة على قدرته ووحدانيته .
- ٥- الله شهيد على كل شيء وليس بغافل عما يعمله الخلاق أجمعون فيجازيهم على أعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر (١) .

(١) انظر التفسير المنير ، ج ٢٠ ، ص ٤٩-٥٠ .

الفصل الثاني

التفسير الموضوعي لسورة النمل

ويشتمل على تمهيد وأحد عشر مبحثاً :

- التمهيد : التعريف بالتفسير الموضوعي .
- المبحث الأول : المحاور الرئيسية والفرعية لسورة النمل .
- المبحث الثاني : الرسالة القرآنية والقصص القرآني .
- المبحث الثالث : قصة موسى عليه السلام بالواد المقدس ومعجزاته .
- المبحث الرابع : نعم الله على داود وسليمان عليهما السلام .
- المبحث الخامس : الحوار في القرآن الكريم .
- المبحث السادس : قصة صالح عليه السلام .
- المبحث السابع : دعوة لوط عليه السلام .
- المبحث الثامن : أمارات القيامة ومقدماتها .
- المبحث التاسع : الشورى .
- المبحث العاشر : الناصحون .
- المبحث الحادي عشر : الإعجاز العلمي في سورة النمل .

التمهيد

التعريف بالتفسير الموضوعي .

ويشتمل على :

أولاً : نشأة علم التفسير الموضوعي .

ثانياً : معنى التفسير الموضوعي .

ثالثاً : ألوان التفسير الموضوعي .

رابعاً : أسباب ظهور التفسير الموضوعي .

خامساً : أهمية التفسير الموضوعي .

أولاً : نشأة علم التفسير الموضوعي :

لم يظهر مصطلح "التفسير الموضوعي" إلا في القرن الرابع عشر الهجري إلا أن لبنات هذا اللون من التفسير وعناصره الأولى كانت موجودة منذ عصر التنزيل في حياة رسول الله ﷺ (١) .

وبما أن التفسير الموضوعي ظهر حديثاً لذا لم يتكلم المفسرون السابقون عن قواعده وخطواته وألوانه . ولكن العلماء والباحثين المعاصرين أقبلوا عليه يدرسونه ويقصدونه ويتحدثون عن قواعده وأسسهِ وكيفيةهِ .

ظهرت مؤلفات كثيرة في هذا المجال ومنها كتاب "الأشباه والنظائر" لمؤلفه مقاتل بن سليمان البلخي المتوفى سنة ١٥٠هـ وذكر فيه الكلمات التي اتحدت في اللفظ واختلفت دلالاتها حسب السياق في الآيات الكريمة .

وإلى جانب هذا اللون ظهرت دراسات تفسيرية لم تقتصر على الجوانب اللغوية بل جمعت بين الآيات التي تربطها رابطة واحدة أو تدخل تحت عنوان

(١) انظر مباحث في التفسير الموضوعي ، د. مصطفى مسلم ، ص ١٧ .

معين . كالناسخ والمنسوخ لأبي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هـ —
ولا زال هذا الخط مستمر إلى يومنا هذا (١) .

وقد توجهت أنظار الباحثين إلى هدايات القرآن الكريم حول معطيات
الحضارات المعاصرة وظهور المذاهب والاتجاهات الاقتصادية والاجتماعية ،
والعلوم الكونية والطبيعية .

ومثل هذه الموضوعات لا تكاد تنتهي فكلما جد جديد في العلوم
المعاصرة ، التفت علماء المسلمين إلى القرآن الكريم ليسترشدوا بهداياته وينظروا
في توجيهات الآيات الكريمة في مثل هذه المجالات (٢) .

ثانياً : معنى التفسير الموضوعي :

يتألف مصطلح التفسير الموضوعي من جزأين ركباً تركيباً وصفيًا .

التفسير لغة :

مصدر على وزن تفعيل ، فعله الثلاثي "فَسَرَ" والفعل الماضي من المصدر
"تَفَسَّرَ" مضعف بالتشديد ، وهو "فَسَرَ يُفَسِّرُ تَفْسِيرًا" أي هو الكشف والبيان
والتوضيح للمعنى المعقول وإزال أشكاله وكشف مراد الله فيه (٣) .

في الاصطلاح :

علم يكشف به عن معاني آيات القرآن وبيان مراد الله تعالى منها حسب
الطاقة البشرية (٤) .

الموضوعي :

الموضوع لغة : مشتق من الوضع .

والوضع : جعل الشيء في مكان ما ، سواء كان ذلك بمعنى الحط والخفض
أو بمعنى الإلقاء والتثبيت في المكان .

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٢٠ .

(٢) انظر نفس المصدر ، ص ٢٢ .

(٣) انظر المعجم العربي الأساسي ، ص ٩٣٤ ، ومعجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٣٩٤ .

(٤) مباحث في التفسير الموضوعي ، ص ١٥ .

الأول : وضع مادي حسي ، ومنه : وضعه على الأرض ، بمعنى حطه وإلقائه وتثبيته عليها .

الثاني : وضع معنوي ، ومنه : الوضع ، وهو الدنيء المهان الذليل ، الذي قعدت به همته أو نسبه ، فكأنه ملقى على الأرض ، موضوع عليها : لا يفارق موضعه الذي التصق به أي أن النوعين يلتقيان على البقاء في المكان وعدم مفارقتة ، أي أن المفسر مع الموضوع لا يفارقه (١) .

أما تعريف مصطلح التفسير الموضوعي :

هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر (٢) .

إذن فهو علم له قواعد وأسس وأصول وله منهج وطريقة يلتزم بها الباحث ، حيث يقوم الباحث بجمع الآيات التي تبحث في موضوع واحد ، أو مصطلح واحد في مختلف السور . سواء كانت هذه الآيات تتحدث عن نفس المصطلح أو تتحدث عن مصطلحات وألفاظ مقاربة له .

ثالثاً : ألوان التفسير الموضوعي :

الأول : التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني :

أي تتبع الباحث لفظه من كلمات القرآن الكريم ثم يجمع الآيات التي ترد فيها اللفظة أو مشتقاتها من مادتها اللغوية وبعد جمع الآيات والإحاطة بتفسيرها ، يحاول استنباط دلالات الكلمة من خلال استعمال القرآن الكريم لها مثاله كلمة خير حيث جاءت في ستة مواضع في القرآن ولكل موضع معنى خاص بها (٣) .

الثاني : التفسير الموضوعي للموضوع القرآني :

تحديد موضوع تعرض له القرآن الكريم بأساليب متنوعة في العرض والتحليل والمناقشة والتعليق ، فيتبع الموضوع من خلال سور القرآن ويستخرج

(١) انظر التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق ، د. صلاح الخالدي ، ص ٢٩ .

(٢) مباحث في التفسير الموضوعي ، ص ١٦ .

(٣) انظر مباحث في التفسير الموضوعي ، ص ٢٣ ، والتفسير الموضوعي ، ص ٨ .

الآيات التي تناولت الموضوع وبعد جمعها والإحاطة بتفسيرها يحاول الباحث استنباط عناصر الموضوع من خلال الآيات الكريمة فينسق بين عناصره ويقدم له بمقدمة حول أسلوب القرآن في عرض أفكار الموضوع ، ويحاول أن يقسمه إلى أبواب وفصول ومباحث ، ويستدل بالآيات القرآنية على كل ما يذهب إليه ويتحدث عنه مع ربط ذلك كله بواقع الناس ومشاكلهم ومحاولة حلها وإلقاء أضواء قرآنية عليها ، ويتجنب الباحث التعرض للأمور الجزئية في تفسير الآيات ، فلا يذكر القراءات ووجوه الإعراب والنكات البلاغية إلا بمقدار ما تلقى أضواء على أفكار الموضوع الأساسية .

وهذا اللون هو المشهور في عرف أهل الاختصاص للتفسير الموضوعي ، مثاله : "عجاز القرآن" والناسخ والمنسوخ في القرآن (١) .

ثالثاً : التفسير الموضوعي للسورة القرآنية :

حيث يبحث الباحث في اللون عن الهدف الأساسي في السورة الواحدة ، ويكون هذا الهدف هو محور التفسير الموضوعي في السورة (٢) .

رابعاً : أسباب ظهور التفسير الموضوعي :

إن من أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور التفسير الموضوعي هي :
١- تجدد حاجات المجتمعات وبروز أفكار جديدة ونظريات علمية حديثة لا يمكن تغطيتها ورؤية حلول صحيحة لها إلا بالجوء إلى التفسير الموضوعي ، والطبيعة العامة لهذا العصر حيث شهد تحكماً جاهلياً في العالم وقيادتها للبشرية وانتفاش الكفر ، والآراء الجاهلية الكافرة ووصولها إلى عقول المجتمعات الإسلامية وتضعيد الغزو الفكري ضد المسلمين بشتى الوسائل المرئية والمسموعة ، مما دعت الحاجة من المفكرين المسلمين من التوجه إلى القرآن وتدبره واستخراج حقائقه ودلالاته التي يتم بها تفنيد هذه الأفكار

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٢٧ .

(٢) انظر التفسير الموضوعي ، ص ٨ ، ومباحث في التفسير الموضوعي ، ص ٢٨ .

الضالة الكافرة الغازية ومواجهتها ووقاية المسلمين من شرورها ،
وفي هذا حسن إدراك المفكرين المسلمين المعاصرين لمهمة القرآن الجهادية
في المواجهة ، مثل قوله تعالى : ﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً
كَبِيراً ﴾ (الفرقان: ٥٢) .

٢- الوضع العام المحزن للمسلمين في هذا العصر ، حيث تم القضاء على
الخلافة الإسلامية وأقصى الإسلام عن الحكم والتوجيه ونشأت مناهج حياة
في بلاد المسلمين على أسس غير إسلامية ، وأصبح الإسلام غريباً في
مؤسساته ، مما دعا العلماء المسلمين إلى العودة إلى القرآن والالتزام به
وتطبيق توجيهاته ومبادئه في حياتهم .

٣- مواكبة التطور العلمي المعروف في هذا العصر ، حيث شهد
العصر الحديث توجه العلماء والباحثين إلى مزيد من التخصص
الدقيق ، والتعمق المنهجي العلمي وتجميع الجزئيات المتفرقة في أطرٍ
عامة موحدة (١) .

٤- إصدار أعمال علمية موضوعية عامة تتعلق بالقرآن وألفاظه وموضوعاته
ساعدت هذه الدراسات المعجمية العلمية الباحثين في القرآن وسهلت عليهم
استخراج الموضوعات القرآنية من السور والآيات .

٥- التفات أقسام التفسير في الدراسات العليا في الكليات الشرعية والجامعية
وتشجيع طلاب العلم إلى الكتابة في التفسير الموضوعي والبحث في
الموضوعات القرآنية (٢) .

خامساً : أهمية التفسير الموضوعي :

التفسير الموضوعي هو تفسير العصر والمستقبل وله أهمية كبرى عند
المسلمين وحاجتهم إليه ماسة ، وهذا التفسير يحقق للمسلمين فوائد عديدة من حيث
صلتهم بالقرآن وتعرفهم على مبادئه وحقائقه ، وتشكيل تصوراتهم وتكوين

(١) المصدر السابق ، ص ٤٦-٤٧ .

(٢) انظر التفسير الموضوعي ، ص ٤٦-٤٨ .

ثقافتهم ، ومن حيث عملهم على إصلاح أخطائهم وتكوين مجتمعاتهم ، والوقوف أمام أعداء الإسلام (١) .

وتبرز أهمية التفسير الموضوعي في :

- ١- حل مشكلات المسلمين المعاصرة وتقديم الحلول لها على أسس حث عليها القرآن الكريم .
- ٢- تقديم القرآن الكريم تقديماً علمياً منهجياً لإنسان هذا العصر ، وإبراز عظمة هذا القرآن وحسن عرض مبادئه وموضوعاته ، واستخدام المعارف والثقافات والعلوم المعاصرة وسيلة وأداة لهذا الغرض .
- ٣- بيان مدى حاجة الإنسان المعاصر إلى الدين عموماً وإلى الإسلام خصوصاً ، وإقناعه بأن القرآن هو الذي يحقق له حاجاته ومتطلباته .
- ٤- يقوم العلماء والباحثون بالوقوف أمام أعداء الله وتفنيد آرائهم وأفكارهم الجاهلية (٢) .
- ٥- عرض أبعاد ومجالات آفاق جديدة لموضوعات القرآن ، وهذه الأبعاد تزيد إقبال المسلمين على القرآن .
- ٦- إظهار حيوية وواقعية القرآن الكريم حيث إنه يصلح لكل زمان ومكان فلا ينظر الباحثون إلى موضوعات القرآن على أنها موضوعات قديمة نزلت قبل خمسة عشر قرناً ، وإنما يعرضونها في صورة علمية واقعية تناقش قضايا ومشكلات حية ، وتهتم بالمسلمين أحياءً ومتحركين .
- ٧- التفسير الموضوعي يتفق مع المقاصد الأساسية للقرآن ، ويحقق هذه المقاصد في حياة المسلمين .
- ٨- التفسير الموضوعي أساس تأصيل الدراسات القرآنية وعرضها أمام الباحثين عرضاً قرآنياً منهجياً وتصويب هذه الدراسات وحسن تخليصها مما طرأ عليها من مشارب وأفكار غير قرآنية .

(١) انظر مباحث في التفسير الموضوعي ، ص ٣١-٣٢ ، والتفسير الموضوعي ، ص ٤٩-٥٠ .

(٢) انظر التفسير الموضوعي ، ص ٤٩ .

- ٩- عن طريق التفسير الموضوعي يستطيع الباحث أن يبرز جوانب جديدة من وجوه إعجاز القرآن الذي لا تنقضي عجائبه .
- ١٠- تأهيل الدراسات القرآنية وتصحيح مسارها .
- ١١- بالتفسير الموضوعي ينفذ الباحثون أمر الله بتدبر القرآن وإمعان النظر فيه وإحسان فقهه وفهم نصوصه (١) .

(١) انظر مباحث في التفسير الموضوعي لمسلم، ص ٣٠-٣١، والتفسير الموضوعي للخالدي، ص ٤٨-

المبحث الأول

المحاور الرئيسية والفرعية لسورة النمل

ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : المحور الرئيس لسورة النمل

(الرسالة وجدية القيادة) .

المطلب الثاني : المحاور الفرعية وهي :

المحور الأول : علم الله المطلق بالظاهر والباطن والغيب

من خلال آياته الكونية .

المحور الثاني : أدلة الوحدانية والقدرة الإلهية .

المطلب الأول

المحور الرئيس في سورة النمل

(الرسالة وجدية القيادة)

نزلت سورة النمل في المرحلة المتقدمة من الدعوة الإسلامية في مكة ،
ويظهر في هذه السورة أهداف القرآن المكي الذي يؤكد على تقرير
أربعة أمور هي :

الأول : الإيمان بالله وحده .

الثاني : الإيمان بالبعث بعد الموت .

الثالث : الإيمان بالرسالات السماوية .

الرابع : الدعوة إلى أمات الأخلاق (١) .

ولقد تعرضت سورة النمل لهذه الأهداف بصورة جلية واضحة ، وتحققت
فيها الأهداف ، وظهر في السورة واضحاً رسالة الأنبياء من خلال المقدمة
وأربعة قصص والخاتمة .

وما أمدهم الله من معجزات مختلفة عوناً لهم على مواجهة المخالفين لهم
وإقناعهم ، وهي دليل على صدق دعوى الأنبياء .

فالمحور الأساسي كما يراه الباحث هو (الرسالة وجدية القيادة) ويؤيد هذا
ما قاله صاحب الأساس في التفسير كمحور لهذه السورة وهو ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ
نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (البقرة: ٢٥٢) (٢) .

ومع المحور الرئيسي كان هناك محاور فرعية لا تقل أهمية عنه إلا أن
المحور الأساسي ظاهر ، فالمحور الرئيسي يظهر في المقدمة وهو رسالة القرآن
من خلال آياته المتحدى بها للعرب سواء بالآيات المقروءة أو المكتوبة الواضحة

(١) انظر إتيان البرهان للأستاذ فضل عباس ، ص ٣٧٥-٣٧٦ .

(٢) انظر الأساس في التفسير ، د. سعيد حوى ، ج ٧ ، ص ٣٩٧٨ .

في أحكامها وتشريعاتها وتوجيهاتها الهادية لطريق النور للإنس والجن والمحدرة لمن يجدها من النار .

قال تعالى : ﴿ طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين * هدى وبشرى للمؤمنين ﴾ (النمل: ١-٢) ، ويحذر الله المخالفين بسوء العذاب في الآخرة ، قال تعالى : ﴿ إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون * أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الخسرون ﴾ (النمل: ٤-٥) .

ثم تبين المقدمة مصدر الرسالة ومن وجهت له ، قال تعالى : ﴿ وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ﴾ (النمل: ٦) ، فمصدر الرسالة هو الله الحكيم العليم ، وصاحب الرسالة هو محمد بن عبد الله ﷺ .

القصة الأولى : يظهر فيها المحور الرئيس واضحا في رسالة موسى عليه السلام وتكليم الله له وإمداده بالمعجزات الواضحة ثم أمره أن يذهب داعيا فرعون وقومه إلى الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم ﴾ (النمل: ٩) وقوله : ﴿ يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون ﴾ (النمل: ١٠) ، وقوله تعالى لموسى : ﴿ اذهب إلى فرعون إنه طغى * فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ﴾ (طه: ٤٣-٤٤) (١) .

فالمحور الرئيسي واضح ومحقق في رسالة موسى وإمداده بالمعجزات وبتكليفه الدعوة من خلال رسالته بجدية وقوة ﴿ اذهب إلى فرعون إنه طغى ﴾ (طه: ٢٤) .

أما القصة الثانية : قصة داود وسليمان عليهما السلام فيظهر المحور الرئيس واضحا في رسالة داود ووراثته سليمان عليه السلام له ، كما قال ربنا : ﴿ وورث سليمان داود ﴾ (النمل: ١٦) ، فرسالة داود عليه السلام واضحة في قوله تعالى في سورة الإسراء : ﴿ وآتينا داود زبوراً ﴾ (الإسراء: ٥٥) ، والزبور هو كتاب مقدس كالتوراة ، ولقد أمد الله سبحانه وتعالى داود بالمعجزات الواضحة في قوله تعالى : ﴿ ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له

(١) انظر قصص الأنبياء لابن كثير ، ص ٣٦٥ .

الْحَدِيدِ ﴿ (سبأ: ١٠) ، فتسبيح الجبال والطيور وإلانة الحديد وغيرها مما آتاه الله من الحكمة وفصل الخطاب (١) .

أما سليمان عليه السلام فقد ورث النبوة من أبيه داود وكلف بالرسالة ، قال الله تعالى : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ﴾ (النمل: ١٦) وأمدّه الله بالمعجزات ومنها تكليم الطير وتسخير الريح له والجن والإنس ، أما وراثته سليمان عليه السلام فهي النبوة والحكم والملك ، وليست وراثته المال ، فعدالة سليمان عليه السلام واضحة من خلال شهادة النملة له : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (النمل: ١٨) أعطت النملة انطباعاً عن جند سليمان عليه السلام ، فلا ظلم حتى من المخلوق الصغير "النملة" (٢) .

ونجد جدية سليمان عليه السلام بما صدر في حق الهدد إن لم يأت بحجة لغيابه ليكون في العذاب الأليم ، ثم إرساله إلى ملكة سبأ التي سجدت للشمس من دون الله ، ورسالته القوية لها إن لم تأت خاضعة لله ، ولكن هذه الملكة رأت بعين بصيرتها المعجزات التي أمد الله بها سليمان من رسالة الهدد ونقل العرش وما رآته من آيات فأنت مسلمة لله رب العالمين (٣) .

أما القصة الثالثة : قصة صالح عليه السلام ، فيظهر فيها المحور الرئيسي واضحاً من خلال قوله تعالى : ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (هود: ٦١) ، وهذه الدعوة التي يشترك فيها الأنبياء والرسل في دعوتهم لأقوامهم فلما دعا صالح قومه إلى الله طلبوا منه أن يأتي لهم بمعجزة آية لهم ، وهو أن يخرج لهم من الصخر ناقة ، ليصدقوه في دعوته فأخرج لهم ناقة من الصخر ، قال تعالى : ﴿ وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾ (هود: ٦٤) ، ولكن الأشرار من قوم

(١) انظر قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار ، ص ٣٠٩ .

(٢) انظر قصص الأنبياء لابن كثير ، ص ٥٠٩-٥١٠ .

(٣) انظر المصدر السابق ، ص ٥١٣ .

صالح عقروا الناقة ، فوعدهم صالح عليه السلام بالعذاب من الله تعالى كما قال تعالى : ﴿ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدَّ غَيْرُ مَكْدُوبٍ ﴾ (هود: ٦٥) .

أنشقت السماء عن صيحة واحدة فهلك كل شيء حي ، ونجى الله صالحاً ومن آمن معه ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴾ (القمr: ٣١) فهذه نهاية المتكبرين الجاحدين .

أما الذين آمنوا بصالح عليه السلام فكانوا قد غادروا المكان ونجوا (١) .

القصة الرابعة : قصة لوط عليه السلام ويظهر فيها رسالة لوط عليه السلام ودعوته لقومه ، قال تعالى : ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ (الشعراء: ١٠٧-١٠٨) .

بهذا الرفق دعا لوط عليه السلام قومه إلى الله ، وترك الفاحشة التي اشتهروا بها ، قال تعالى : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ * أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرَّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴾ (النمل : ٥٤-٥٦) (٢) .

طلب لوط عليه السلام من الله أن ينصره فأمره الله أن يخرج هو ومن معه من المؤمنين من تلك القرية الظالمة ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ مَّتَّضُودٍ * مُسْوَمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ ﴾ (هود : ٨٢-٨٣) .

وأما المؤمنون فأنجاهم الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (الذريات: ٣٥-٣٦) (٣)

(١) قصص الأنبياء ، لابن كثير ، ص ٢٠٦ .

(٢) انظر أنبياء الله ، أحمد بهجت ، ص ١٠١ .

(٣) انظر قصص الأنبياء لابن كثير ، ص ٢٧١ .

بعد هذا العرض لجهود الأنبياء وتضحياتهم أمر الله تعالى بشكره والصلاة على المرسلين ، قال تعالى : ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (النمل: ٥٩) ، فآثار هؤلاء المشركين وديارهم واضحة لمن يسير في الأرض ويتأمل عاقبة المجرمين .

ثم بينت الآيات أمارات يوم القيامة والتي يظهر فيها رسالة الدابة التي تكلم الناس بما يفهمونه بحتمية يوم البعث وصدق أخبار الأنبياء بذلك .

المطلب الثاني

المحاور الفرعية في سورة النمل

وتشتمل على :

المحور الأول : علم الله المطلق بالظاهر والباطن وعلمه بالغيب ، وآياته الكونية التي يكشفها للناس ، والعلم الذي وهبه الله لداود وسليمان عليهما السلام كتعليم منطق الطير وغيره (١) .

ففي مقدمة السورة يقول الله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَلْقَىٰ الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ (النمل: ٦) .

لولا أن منزل القرآن محيط علماً بكل شيء وذو حكمة كاملة في أقواله وأفعاله وأحكامه لما كان تميزه بالصورة المعجزة ، ثم جاءت قصة موسى عليه السلام ليبين بعضاً من آثار حكمة الله وعلمه .

وقصة داود وسليمان عليهما السلام تظهر لنا العلم الذي وهبه الله لداود وسليمان ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النمل: ١٥) ، فكما أن الله معلم القرآن ، فإن معلم داود وسليمان هو الله .

(١) في ظلال القرآن ، ج ٥ ، ص ٢٦٢٤ .

فقصة سليمان - عليه السلام - نموذج على التعليم الرباني الذي ينعمه على عباده ، وما سماهم رسول الله ﷺ وريثة الأنبياء إلا لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة ، فسليمان - عليه السلام - يستشهد بنعمة الله قائلاً : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ ﴾ (النمل: ١٦) التي هي معجزة واضحة حيث كان يفهم كل صوت من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد ، وإن ذلك ليسير على الله أن يعلم عبداً من عباده لغات الطير والحيوان والحشرات ، هبة منه بلا محاولة ولا اجتهاد وإن هي إلا إزاحة لحواجز النوع التي أقامها الله بين الأنواع ، وهو خالق هذه الأنواع (١) .

وقوله تعالى : ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ (النمل: ٢٥) أي يعلم ما يخفيه العباد وما يعلنونه من الأقوال والأفعال .

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ (النمل: ٤٠) أي آصف بن برخيا كان صديقاً يعلم اسم الله الأعظم باجتهاده وتقربه ، ثم قال : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ (النمل: ٧٨) ، أي أن الله يقضي بين المختلفين من بين بني إسرائيل بحكمه فيهم ، فينتقم من المبطل منهم ويجازي المحسن منهم (٢) .

المحور الثاني : أدلة الوجدانية والقدرة الإلهية :

أولاً : أدلة الوجدانية : ومما ركزت عليه السورة هو إبراز أدلة الوجدانية من خلال مظاهر قدرة الله تعالى في الكون والنفس .

المقصود بالوجدانية : أن الله واحد لا شريك له (٣) .

وقال آخر : المقصود بالوجدانية : أن تعلم بأنه سبحانه ليس كلاً مركباً من أجزاء ولا كلياً مكوناً من جزئيات (٤) .

(١) انظر قصص الأنبياء للنجار ، ص ٣١٧-٣١٨ .

(٢) انظر جامع البيان ، ج ٢٠ ، ص ١٤ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ، ص ١٤ .

(٤) كبرى اليقينيّات الكونية للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، ص ٩٣ .

فالله إله واحد قديم بصفاته العلا وأسمائه الحسنی ، لا أول لوجوده وبقا
أبدأ إلى غير غاية ولا انتهاء ، تعالى عن مشابهة المخلوقات وارتفع عن
مماثلة المحدثات .

دليل الوجدانية في سورة النمل :

- ١- قوله تعالى : ﴿ يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (النمل:٩) .
- ٢- وقوله تعالى : ﴿ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ (النمل:٢٥) .
- ٣- وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ (النمل:٢٦) .
- ٤- وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ (النمل:٣٠) .
- ٥- وقوله تعالى : ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرٌ
أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (النمل:٥٩) .
- ٦- وقوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ
خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهًا مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ
وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ إِلَهًا مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (النمل:٦٢-٦٣) .
- ٧- وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ
* وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ * وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (النمل:٧٣-٧٥) .
- ٨- وقوله تعالى : ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾ (النمل:٧٩) .
- ٩- وقوله تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا
تَعْمَلُونَ ﴾ (النمل:٩٣) .

ثانياً : القدرة :

ركزت السورة على بيان مظاهر قدرة الله تعالى :

فالقُدرة : هي صفة أزلية قائمة بذاته تعالى يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه وتكيفه (١) .

قال الميداني : القدرة صفة وجودية من شأنها أن يكون لها أثر كإيجاد الأشياء الممكنة أو إعدامها أو التصرف في الموجودات بجمعها أو تفريقها أو تحويلها أو نحو ذلك (٢) .

أدلة القدرة كما تبينها سورة النمل :

١- قوله تعالى : ﴿ وَأَلْقَ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ (النمل: ١٠) .

٢- وقوله تعالى : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ (النمل: ١٢) .

٣- وقوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ * أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (النمل: ٦٠-٦١) .

٤- وقوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلٌ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (النمل: ٦٤) .

٥- وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ (النمل: ٨٢) .

٦- وقوله تعالى : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ (النمل: ٨٨) .

(١) انظر كبرى اليقينيات الكونية ، ص ١٠١ .

(٢) العقيدة الإسلامية للميداني ، ص ١٦٠ ، انظر كبرى اليقينيات الكونية ، ص ١٠١ .

المبحث الثاني

الرسالة القرآنية والقصص القرآني

- ويشتمل على ثلاثة مطالب :
- المطلب الأول : الرسالة القرآنية (دعوة ومنهاج) .
 - المطلب الثاني : التعريف بالقصص القرآني .
- ويشتمل على مسائل :
- المسألة الأولى : أسلوب القصة في القرآن .
 - المسألة الثانية : تعريف القصة وأهدافها .
 - المسألة الثالثة : الفرق بين القصة القرآنية وغيرها .
 - المطلب الثالث : القصص القرآني كما تعرضها سورة النمل .

المطلب الأول

الرسالة القرآنية (دعوة ومنهاج)

ويشتمل على تمهيد ومسألتين :

المسألة الأولى : مراحل هداية الإنسان بالعموم :

المسألة الثانية : هداية القرآن في توجيه الإنسان من خلال عقله ونفسه وسلوكه والأحكام الموجهة إليه .

التمهيد : رسالة القرآن وعلاقتها بالرسالات السابقة .

فرسالة القرآن هي امتداد للرسالات السابقة التي أنزلها الله تعالى على الأنبياء والرسل وهو الإيمان بالله وبما أنزل من قبل الإسلام كقوله تعالى : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة: ١٣٦) .

فمنهج القرآن هو التصديق بجميع الرسالات التي أنزلت من قبل ، واستخدام أساليب الدعوة في مناظرة أهل العناد مع ما هم عليه من اللجاج (*) والخصومة (١) .

فغاية رسالة القرآن إنما هي خير للناس ، وصلاح لأحوالهم في الدنيا والآخرة ، وإنقاذ البشرية من التخبط في ظلمات الشرك إلى نور الإيمان ، وإخراجهم من متاهات الضلالة إلى جادة الصواب ، قال تعالى : ﴿ الرَّكَابُ أُنزِلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ (إبراهيم: ١) .

(*) من لَجَّ يَلْجُ لَجَاجًا وَلَجَاجَةً فَهُوَ لَجُوجٌ : الشخص تمادى في العناد إلى الفعل المنهني عنه ، المعجم العربي الأساسي ، ص ١٠٧٤ .

(١) انظر هذا القرآن فأين منه المسلمون ، ج ٢ ، ص ٢١١ .

هذا ما اقتضت إرادة الله وحكمته البالغة أن تنتقل الرسالة من ولد إسرائيل إلى ولد إسماعيل ، ومن الرسائل الموضوعية المحددة في الزمان والمكان إلى الرسالة العامة الخاتمة الشاملة للوجود كله على الزمن كله ولأمة كلها في كل أجيالها ومواطنها ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بِشِيرًا وَتَذِيرًا ﴾ (سبأ: ٢٨) .

فرسالة القرآن لم تقتصر على الزمن المستقبل وحده إنما شملت كل آفاق الماضي بتصديقها للرسالات السالفة وهيمنتها عليها لتضمنها أصول العقائد وكليات التشريع وقواعد الفضيلة التي جاءت بها الرسائل السالفة ، ومصلحة لما أفسده منها ، ورافعة لما لحق هذه الأمم من القيود والعقوبات التي نزلت فيها ، قال تعالى : ﴿ وَيَحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتُ وَيَحْرَمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثُ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ (الأعراف: ١٥٧) (١) .

فرسالة القرآن معجزة في ذاتها وفي شخصية صاحب الرسالة النبي الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب ، وقد جاء بما حوته الكتب التي بأيديهم وبلغاتهم من قواعد العقيدة والتشريع والسلوك بشهادة أبحارهم وعلمائهم كما قال جل شأنه : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأحقاف: ١٠) .

وهذا الشاهد يبينه ما يرويه عامر بن سعد (*) عن أبيه رضي الله عنه ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشي على وجه الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام رضي الله عنه ، قال : وفيه نزلت : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٢١٥-٢٢٦ ، معجزة القرآن ، محمد متولي شعراوي ، ج ١ ، ص ١٠٦ .

(*) عامر بن سعد بن أبي وقاص الزهري المدني ، ثقة ، مات سنة أربع ومائة ، روى له أصحاب السنن ،

تقريب التهذيب ، ج ١ ، ص ٢٩٠ ، وأبيه هو سعد بن مالك بن أبي وقاص ، صحابي جليل ، أحد

العشرة المبشرين بالجنة ، أول من رمى بسهم في سبيل الله ، مات خمس وخمسين هجرية ، وهو آخر

العشرة وفاة ، ج ١ ، ص ٢٢١ .

مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَّنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ﴿ (الأحقاف: ١٠) (١) .

فرسالة القرآن واضحة في هداية المؤمنين حيث يقول ربنا العظيم :
﴿ طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ * هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾
(النمل: ١-٢) .

يقول صاحب الظلال : (هكذا على وجه الإطلاق فيمن يهديهم وفيما يهديهم ، ويشمل ما يهديهم إليه كل منهج وكل طريق وكل خير يهتدي إليه البشر ، في كل زمان ومكان .
وأما فيمن يهديهم ، فيشمل الهدى أقواماً وأجيالاً بلا حدود من زمان أو مكان .

﴿ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ (الإسراء: ٩)

في عالم الضمير والشعور ، بالعقيدة الواضحة البسيطة التي لا تعقيد فيها ولا غموض ، والتي تطلق الروح من أثقال الوهم والخرافة ، وتطلق الطاقات البشرية الصالحة للعمل وللبناء ، وتربط بين نواميس الكون الطبيعية و نواميس الفطرة البشرية في تناسق واتساق .

﴿ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ (الإسراء: ٩)

في التنسيق بين ظاهر الإنسان وباطنه وبين مشاعره وسلوكه وعقيدته وعمله فإذا هي مشدودة إلى العروة الوثقى التي لا تنفصم متطلعة للأعلى ، وهي مستقرة على الأرض وإذا العمل عبادة متى توجه الإنسان به إلى الله ، ولو كان هذا العمل متاعاً واستمتاعاً بالحياة .

﴿ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ (الإسراء: ٩)

في عالم العبادة والموازنة بين التكليف والطاعة ، فلا تشق التكليف على النفس حتى تمل وتيأس من الوفاء ، ولا تسهل وتترخص حتى

(١) صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عبد الله بن سلام رضي الله عنه ، ح ٢٤٨٣ ، ص ١٣٤٨ .

تشيع في النفس الرخاوة والاستهتار ولا تتجاوز القصد والاعتدال و حدود الاحتمال .

﴿ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ (الإسراء: ٩)

في علاقات الناس بعضهم ببعض أفراداً وأزواجاً وحكومات وشعوباً ودولاً وأجناساً ، ويقوم هذه الأسس الوطيدة الثابتة التي لا تتأثر بالرأي والهوى ولا تميل مع المودة والشنآن ولا تعرفها المصالح والأغراض .

﴿ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ (الإسراء: ٩)

في نظام الحكم ونظام المال والاجتماع والتعامل الدولي اللائق بعالم الإنسان .

﴿ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ (الإسراء: ٩)

في تبني الديانات السماوية جميعها والربط بينها كلها وتعظيم مقدساتها وصيانة حرمتها ، فإذا البشرية كلها بجميع عقائدها السماوية في سلام ووئام ، فهذه قاعدة أصيلة في العمل والجزاء ، فعلى الإيمان والعمل الصالح يقوم بناؤه فلا إيمان بلا عمل فهذا مبتور لم يبلغ تمامه ، ولا عمل بلا إيمان فهذا مقطوع ولا ركيزة له ، وبهما معاً تسير الحياة على التي هي أقوم وبهما تتحقق الهداية بهذا القرآن ، فأما الذين لا يهتدون بهدى القرآن فهم متروكون لهوى الإنسان العجول الجاهل بما ينفعه وما يضره ، قال تعالى : ﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً ﴾ (الإسراء: ١١) .

فالهداية التي جاء بها القرآن الكريم والتي كانت وصفاً لازماً له وسمة بارزة عليه لا تنفصل عنه كأنه هو ذاته هدى لكل من نظر إليه أو تدبر فيه أو استمع له أو عمل به أو دعى إليه (١) .

المسألة الأولى : أنواع الهداية في القرآن الكريم :

الهداية في القرآن الكريم ثلاثة أنواع وهي :

الأولى : هداية عامة شاملة لجميع نواحي الحياة وكل جوانب الوجود في كل الأطوار والآفاق .

(١) انظر في ظلال القرآن ، ج ٤ ، ص ٢٢١٥ .

الثانية : هداية للجنس الإنساني كله وذلك للاهتمام به ﴿ هُدَىٰ لِلنَّاسِ ﴾ (البقرة: ١٨٥) .

الثالثة : هداية للمتقين وهي أخص خصوصياتها وأدق جوانبها وهي المعبر عنها بقوله تعالى : ﴿ هُدَىٰ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة: ٢) (١) .

فالإِنسان خليقاً بأن يخص من هداية القرآن الكريم بالذكرى حتى لكان القرآن ما أنزل إلا له وهدايته ما كانت إلا لأجله ، وإن القرآن قد جاء ليأخذ بيده من متاهة الحياة ومعتكها ليسلك به الطريق القويم وليحقق له المنهج الأمثل الذي يهييء له المواعمة والمشاكلة بين شتى عوامل التكوين والقوى التي تسيطر عليه وتتفاعل فيه .

لذلك كانت هدايات القرآن تركز على الإنسان من خلال توجيه العقل - النفس - السلوك ، ثم جاءت الهداية الشرعية لتتويج الحياة بالعدل الذي فيه الأمن والأمان والنهي عن الفحشاء والمنكر .

المسألة الثانية : هداية القرآن في توجيه الإنسان من خلال عقله ونفسه وسلوكه والأحكام الموجهة إليه :

أولاً : الهداية القرآنية للعقل الإنساني :

العقل أهم ما يميز به الإنسان في هذا العالم الأرضي ، فالعقل سر التكريم ومناط التكليف وجوهر الاستخلاف ، وبثمراته سيطر الإنسان على الكون من حوله بكل ما فيه من نامٍ وجامد وثابت ومتحرك ، فالعقل مناط التعامل بين الإنسان والإنسان والعوالم العاقله حوله ، ومن هنا كان لا بد من التعرف على هداية القرآن للإنسان بكل ما تشتمله من آفاق الفكر والعلم والمعرفة ، فالفكر أداة العقل إلى العلم والعلم ثمرته والمعرفة ثمرة العلم .

فهداية القرآن للعقل تظهر في قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَضْرِبَ بِهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ (العنكبوت: ٤٣) .

يظهر الارتباط الوثيق بين تعقل هذه العبرة وبين العالمين ليشير إلى فضل العقل ومنزلة العلم المستفاد به ، وقد ذكر القرآن في مجال هدايته للعقل ضرورة

(١) انظر هذا القرآن فأين منه المسلمون ، ج ٢ ، ص ٢٤٠-٢٤٤ .

إعماله كأداة موهوبة للوصول به إلى سعادة الدنيا والآخرة وتحصيل النفع الآجل والعاجل .

ثانياً : هداية النفس :

فالنفس هي ما عند الناس ، واستدل بقوله تعالى : ﴿ تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ (المائدة: ١١٦) .

والمعنى : تعلم ما عندي ولا أعلم ما عندك ، ومن هنا فإنه قد يطلق النفس ويراد بها كل الإنسان ، وهو ما يشتمل روحه وجسده وقدراته وأفكاره وعواطفه .

فالقرآن عرف الإنسان بربه وخالقه وأنه ما جاء ليبلى وينتهي ، إنما جاء ليحيى ويبقى مكرماً ، ثم عرفه برسالته في الحياة .

فالقرآن استوعب كل دلالات اللغة للنفس الإنسانية كتعبير عن ذات الإنسان في جملته وأصل وجوده كما قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ (النساء: ١) .

وكذلك ما زود به الإنسان من طاقات الخير والشر وما ركب فيه من قوة التعرف على طريقة الهدى والرشاد أو الفجور والانحراف كما في قوله : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ (الشمس: ٧-٨) .

وبين أسباب الانتكاس عن الفطرة السليمة ، إما بسبب المخالطة السيئة أو البيئة أو تصرف هوى النفس الفاسدة ، قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعِضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ (الفرقان: ٢٧-٢٩) .

فقد تحدث القرآن الكريم عن النفس الإنسانية باعتبارها مصدر الرقابة الذاتية والتوجيه المركزي لكل تصرفات المرء وسلوكه ، قال تعالى : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ (القيامة: ١-٢) ، أي تلوم صاحبها

على ما فعل وتحاسبه على ما بدر منه من قول أو فعل أو نية .

وأخبرنا القرآن الكريم عن النفس الإنسانية باعتبارها مكنماً لسلطان الغريزة ومركزاً للرغبات التي تشد الإنسان إلى الحمأ المسنون ، والصلصال الأجوف الناشيء من الطين ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾ (يوسف: ٥٣) .

وأخبرنا القرآن عن النفس باعتبارها قمة الإشراق الروحي والصفاء الوجداني في ذات الإنسان الذي بلغ أسمى منازل التكريم والرضا كما في قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ (الفجر: ٢٧-٣٠) .

وقيل قديماً : "واحذر مصاحبة اللئيم فإنها تعدي كما يُعدي الصحيح الأجرُب"^(١) .
ثالثاً : الهداية السلوكية :

ركز القرآن الكريم على إقامة المجتمع المسلم في جو الأخوة الإنسانية العامة كما يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات: ١٣) .

تبين هذه الآية قضايا هامة وهي :

١- قضية الأخوة الحقيقية في المجتمع الإنساني ، فما الأخوة في الأصل إلا أخوة النسب بمعنى الاشتراك في الأصل الواحد ، وبنو الإنسان جميعاً أبوهم آدم وأمهم حواء ، فهم إخوة أشقاء تجمعهم لحمة النسب والدم فضلاً عن الآمال والآلام المشتركة .

٢- بيان سبب الانقسامات الظاهرة في مجتمع الإنسان ، فهذا عربي وذلك أعجمي ، وهذا آسيوي وذلك أفريقي ، هنا يأتي التفسير لأصل ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات: ١٣) .

(١) انظر هذا القرآن فأين منه المسلمون ، ج ٢ ، ص ٢٩٥-٢٩٨ .

فاللغة واللون ليستا من صفات التفاضل وإنما التفاضل بتقوى الله والعمل الصالح (١) .

فرسالة القرآن هي رسالة سلوكية تصلح لكل زمان ومكان ، بخلاف غيرها من الرسائل .

نقل محمد زكي قاسم في كتابه "هذا القرآن فأين منه المسلمون" يقول :
(يقول باحث مسيحي يتحدث عن عموم رسالة الإسلام وشموله : فرسالة موسى عليه السلام كانت رسالة شعب ورسالة عيسى كانت رسالة قلب ، والذي يهدف إليه هو أن موسى عليه السلام إنما أرسل لإنقاذ بني إسرائيل مما نزل بهم من ظلم وسلوك فرعون الذي كان يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم وأصبح رجالهم عنده عبداً تساق إلى الخدمة ، ونسأؤهم رقيقاً تستحيى للمتاع والمسخرة .

وكانت بنو إسرائيل والحالة هذه في حاجة إلى رفع معنوياتهم ورفع كل آثار الذل والهوان عنهم ، ولم يتمكنوا من إصلاح ما في أنفسهم من عوامل الكيد وعقد الضعف فعمدوا إلى الآيات فيحرفونها عمداً لتوافق هوى أنفسهم أو يطمسونها قصداً لأنها لا توافق شهواتهم .

ثم جاءت رسالة عيسى عليه السلام لتعالج المادية العارمة والقسوة المسيطرة والمغالاة في الأحكام ، فجاءت تعيد سيطرة الروح وإبراز معالم التقوى وتأخذها في ذلك منهج العظات والتسامح ، وأصبحت تعاليم المسيحية تعرض في صورة الدليل الخانع الذي إذا ضرب على خده الأيمن أدار الأيسر ، صورة الذي يعيش في آثار جريمة موروثه وخطيئة لم يشارك فيها ولم يشهدها ، صورة الذي لا يجد الخلاص إلا على كرسي الاعتراف ، وتحكم الكهنة ، صورة من لم يجد وسيلة لتطهير الإثم إلا بالجريمة وغفران الذنب إلا بالمعصية .

فمحدودية المنهج إلى جانب موضوعية الرسالة ، وانفصال المعجزة عن الشريعة والتحرير والتغيير أدى إلى الانحراف عن منهج الحق ، والذي انتهى بهم إلى نبذ عبادة الله والانحراف إلى عبادة عيسى بن مريم ، ولذلك كان هداية

(١) انظر هذا القرآن فأين منه المسلمون ، ج ٢ ، ص ٣٧١ .

القرآن كشف حقيقة هؤلاء الأتباع وما كانوا عليه وما انحرفوا إليه .
ثم جاء الإسلام ليصحح ما أفسدوا ويصلح ما أخرجوا ، ويقوم ما اعوجوا
فيه من مناهج العقيدة والعبادة والحياة) (١) .

رابعاً : الهداية التشريعية :

من أبرز جوانب الهداية القرآنية في مجتمع الإنسان جانب الهداية
التشريعية الذي به قامت شريعة الإسلام جميع الشرائع بما تميزت به من
صلاحيتها لكل زمان ومكان ، وما تميزت به من مبادئ سامية ، كالعدالة
والمساواة والمرونة وتقدير مبدأ الاجتهاد وحرية الرأي وغيرها كقوله تعالى :
﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل: ٩٠) .

فالعادل يطبق على الحاكم والمحكوم ، وخير مثال درع علي رضي الله
عنه التي فقدتها عند توجهه إلى صفين ثم وجدها مع يهودي فسأله عنها ، فادعى
اليهودي ملكيتها ورفع الأمر إلى قاضي المسلمين الذي ولاه الخليفة الراشد علي
رضي الله عنه ، فما كان من القاضي شريح إلا أن طلب من أمير المؤمنين بينته
على دعواه فأورد مولاه وابنه ، فأجاز شهادة مولاه ورد شهادة ابنه .

ولما لم يستطع أن يقيم البيئة على دعواه باستكمال نصاب الشهادة ، رد
القاضي الدعوى وحكم بالدرع لليهودي ، ثم قام بعد ذلك ، وبعد أن أمضى الحكم
أسلم اليهودي ، فتلك إحدى الدعائم التي تقوم عليها عالمية الشريعة الإسلامية
المستمدة من القرآن بما يكفل صلاحيتها للتطور الزمني والبقاء الأبدي (٢) .

(١) انظر هذا القرآن فأين منه المسلمون ، ج٢ ، ص ٢٩٩-٣٠٢ .

(٢) انظر المصدر ، ج٢ ، ص ٣٩٥-٤٠٠ .

المطلب الثاني

التعريف بالقصص القرآني

وفيه ثلاث مسائل :

المسألة الأولى : تعريف القصة وأهدافها.

المسألة الثانية : أسلوب القصة القرآنية .

المسألة الثالثة : الفرق بين القصة القرآنية وغيرها .

المسألة الأولى : أسلوب القصة القرآنية :

تتوع أسلوب القرآن في عرضه للقصص القرآني ، فقد تأتي القصة من بداية الحدث كما في قصة موسى عليه السلام وعيسى عليه السلام ، ففي سورة القصص تأتي قصة موسى عليه السلام من الولادة وذلك يتناسب مع اسم السورة ومضمونها .

وقد تأتي القصة من مشهد يتفق مع جو السورة العام كما في سورة النمل حيث جاءت من بداية الاضطفاء والرسالة والعمل الدعوي وتوجيه موسى عليه السلام إلى فرعون كما جاءت قصة صالح عليه السلام وإرساله إلى ثمود ، وقصة لوط عليه السلام وإرساله إلى أهل سدوم .

وقد تأتي القصة مرة واحدة غير مكررة كقصة يوسف عليه السلام ، والعلماء يوجهون ذلك لحرص القرآن الكريم على صيانة الأعراس لأن في قصة يوسف محاولة إغراء يترتب عليها جريمة خلقية ، لذلك فرغ القرآن الكريم من سوقها للعظة والاعتبار فقط مرة واحدة .

وكثيراً ما يسوق القرآن القصة الواحدة على أنماط متعددة في الصياغة ، وفي كل مرة يكون توجيه جديد ، ومعنى يتناسب مع السياق ، وفي تكرار القصة الواحدة أهداف كثيرة ، فقد وردت قصة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل أكثر من خمس وعشرين مرة ، وذلك للتحذير من هؤلاء القوم والحيطة في معاملاتهم

فإن كان مع نبيهم وهو مصدر الرحمة لهم يعذبونه ويتهمونه ، فكيف يكون معاملاتهم مع من يكونون لهم العداة .

وقد تأتي القصة الطويلة المعبرة الهادفة والقصة القصيرة التي تعالج قضايا عظيمة ، فهذه قصة أبي لهب وما تحمله في طياتها من حاله وحال زوجته وهما من أقرباء النبي ﷺ ، وما توعدهم الله في الدنيا والآخرة ، وكذلك الاختلاف في الأحداث التي تناولها القصص وطريقة عرض تلك الأحداث بطريقة جديدة ومتجددة (١) .

المسألة الثانية : تعريف القصة وأهدافها :

القصة : جمعها قصص ، وهي حكاية تكتب على قواعد معينة من الفن الأدبي (٢) .

فمدلول القصة في اللغة : هي حكاية عن خبر وقع في زمن لا يخلو من بعض العبرة مع شيء من التطويل في الأداء (٣) .

أما مفهوم القصة في القرآن :

فللقصة مفهوم يحدده ما ورد فيه من أنباء خاصة على وجه العبرة للمصدقين والردع والزجر للمكذبين ، فهي توجه الأولين إلى الثبات على الحق والاستزادة من عمل البر والخير ، كما تصرف المتهيين من المكذبين عن الباطل والشرك بأنواعه بقدر ما فيهم من استعداد وتهيؤ ، قال تعالى : ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ (هود:١٢٠) وكثيراً ما يقترن ذكر القصص في القرآن بالأنباء (٤) .

أهداف القصص القرآني :

جاء القصص القرآني حاملاً في طياته توجيهات دينية لكل ما جاء به الإسلام من مبادئ وعقائد ، ولكل ما أنكره الإسلام من أخلاق وعادات وآراء زائفة وعبادات باطلة .

(١) انظر خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، ج ١ ، ص ٣٣٣-٣٣٤ .

(٢) المعجم العربي الأساسي ، ص ٩٩١ .

(٣) بحوث في قصص القرآن ، ص ٤١ .

(٤) انظر المصدر السابق ، ص ٤٤ .

ومن أهداف القصص القرآني :

١- تثبيت العقائد الصحيحة ونفي الخرافات والأفكار القديمة الضالة وتحقيق دعوة الإيمان بالله ورسله ، وذلك بشرح العقائد وتصويرها وحسن التصرف في عرضها ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء: ٢٥) . وما جاء به الرسول ﷺ وهو رحمة للعالمين ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (التوبة: ١٢٨) ، فالنبي ﷺ رحمة من الله بالمؤمنين وغيرهم حيث لا يستأصلهم الله بذنوبهم قائلاً أرجو من الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً (١) .

٢- الإنذار والاعتبار من أهم الأهداف في القصص القرآني وعيد المكذبين وإنذارهم مع تخفيف العبء على النبي ﷺ وأصحابه المؤمنين ، ويتجلى هذا الموقف بما حدث عندما قرأ النبي ﷺ سورة السجدة على جبار من جبابرتهم فمشى في تلاوته حتى انتهى إلى موجز من قصة عاد وثمود ﴿ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَأِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُنذِقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾ (فصلت : ١٤-١٥) أخذته رعدة وهزة فأمسك بفم النبي ﷺ وقال : أناشدك الله والرحم يا محمد أن تمسك ثم عاد إلى قومه بوجه جديد .

٣- تثبيت الرسول ﷺ على لزوم الدعوة إلى الحق وتحمل مشاقها مهما بلغت والصبر على ذلك ، قال تعالى : ﴿ وَكُنَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (هود: ١٢٠) (٢) .

(١) انظر بحوث في قصص القرآن ، ص ٨٩ .

(٢) انظر خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، ج ١ ، ص ٣٣٣ .

٤- تأييد النبي ﷺ فيما اصطفاه الله له من الرسالة وذلك بالمعجزات وإخبار ما سبقه من أصحاب الرسالات ، قال تعالى : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (هود:٤٩) (١) .

٥- التوكل على الله والاعتزاز به من منطق الإيمان الراسخ بالله ، فإبراهيم عليه السلام يقذف في النار قائلاً حسبي الله ونعم الوكيل .

٦- تعليم الأدب في الحوار والمناقشة ، فهذا إسماعيل عليه السلام يحاور أباه فيقول بكل أدب واحترام ﴿ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾ (الصافات: ١٠٢) (٢) .

المسألة الثالثة : الفرق بين القصة وغيرها :

تختلف القصة القرآنية عن غيرها في الوصف والعرض .

أما الوصف : فإن القصة القرآنية صادقة بكل كلمة فيها وما ترمز لها .

أما القصة الأدبية فإنه يتخللها الكثير مما لا يطابق الواقع للحاجة إليه في ترويح أمر أو مبالغة في تصوير شيء ما .

أما الغرض : فإن مقصد القصة القرآنية يتصل بمقاصد القرآن السامية فهو كتاب هداية من الله العليم الخبير الذي لا يخفى عليه شيء ولا يعجزه أمر .

أما القصص الأدبي فله مناحي قد تمت إلى الواقع أو إلى الخيال .

القصص القرآني : يعتمد على الحقيقة والوضوح في إثبات الأحداث بعيداً عن الخيال أو المبالغة .

أما القصص الأدبي : يخلط الخيال بالحقيقة وتبعد فيه آفاق التصوير ويجمل وقعه في النفوس بمقدار بعده عن الواقع والحقيقة لأنه يعتمد على تنمية الخيال وإثارته .

(١) انظر بحوث في قصص القرآن ، ص ١١٦ ، وخصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، ج ١ ، ص ٣٣٣ .

(٢) انظر بحوث في قصص القرآن ، ص ١١٨ .

أما الشخصيات في القصة القرآني لها وجودها الذاتي ولها منطقتها في إثبات الحقيقة وسلوكها المعتدل .

أما الشخصيات في القصة الأدبي تحركها أيدي أو أصابع تشدها أو مخرج مسرحي يفصل في دورها أو مؤلف يضع الكلمات في الأفواه ويشد الشفاه بالعبارة والحوار .

يتفق القصة القرآني في سائر القصة في أنه لا بد له من شخص - حوار - حدث ، ويتعرض لكل من الأشخاص الذين تدور حولهم القصة .
القصة القرآني : عرض لأحداث تاريخية مضى بها الزمن فهو مصدر تاريخي موصوف بالصدق بكل ما أخبر عنه .

أما القصة الأدبية في جميع عهودها وأطوارها فتغذى بالخيال الذي يلون الأحداث بغير ألوانها الحقيقية ، وتعتمد على ذلك في إثارة الانتباه وإلهاب العواطف .
أما القرآن الكريم فهو يعتاض عن ذلك الخيال بسحر بيانه ، وقوة أخذه ودقة اعتباراته في تصويره العجيب الذي أنطق القلوب القاسية بالشهادات الصادقة دون أن يشعروا بما يقولون فقالوا : إن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق ، وإن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة (١) .

المطلب الثالث

القصة القرآني كما تعرضها سورة النمل

وفيه أربعة مسائل :

تعرضت سورة النمل لأربع قصص رئيسة :

المسألة الأولى :

وهي قصة موسى عليه السلام كيف اصطفاه الله وكلمه وناجاه وأعطاه من الآيات العظيمة الباهرة والأدلة القاهرة ثم ابتعثه إلى فرعون وقومه يدعوه إلى الله تعالى ، ويتركوا بني إسرائيل ، فأبى فرعون أن يطلق سراجهم فابتلاهم

(١) انظر بحوث في قصص القرآن ، ص ٥١-٥٥ .

الله بالقحط والسنين ونقص من الأموال والأنفس والثمرات والطوفان والقمل والضفادع ... ولكنهم جحدوا بها وكفروا واستكبروا عن اتباعه والانقياد له ، فكان مصيرهم أن أغرقهم الله بما اقترفوا من الظلم والكفر .

المسألة الثانية :

وهي قصة داود وسليمان عليهما السلام والتي تبين آثار حكمة الله تعالى وعلمه ، فيخبر الله تعالى عما أنعم به عليهما من النعم الجليلة ، وما جمع لهما من سعادة الدنيا والآخرة باتباعهم النبوة والملك معاً .

ومن خلال قصة سليمان عليه السلام تأتي قصة النملة الناصحة لقومها والموضحة عدالة سليمان عليه السلام وجنوده مما دعا سليمان عليه السلام للتبسم لقولها .

وبعد بيان تسخير الله الجن والإنس والطير لسليمان عليه السلام أبان الله تعالى تفقد سليمان عليه السلام لجنس الطير ، فلم يجد الهدد من بين الطير ، أي أنه غائب بدون إذنه ، فتوعده سليمان عليه السلام بالذبح أو العذاب أو أن يأتي بالحجة الواضحة ، فلما جاء الهدد أخبر سليمان عليه السلام عن مملكة تقودها امرأة ، ويسجدون للشمس من دون الله وهذا سبب غيابه ، فكان رد سليمان عليه السلام سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ، فكتب كتاباً وأمر بالهدد أن يوصله إليها ويتولى عنهم ، ويأتي بأخبارهم وما يدور عندهم ، فكان كتاب سليمان عليه السلام هو دعوة إلى الله الواحد لا شريك له وأن يأتوا إليه مسلمين ، فأسلمت هي وقومها مع سليمان لله رب العالمين .

المسألة الثالثة :

ثم ذكر بعد قصص موسى وداود وسليمان عليهم السلام وهم من بني إسرائيل ، ذكر قصص من هم من العرب صالح عليه السلام حيث كان يدعو إلى الله ويفرده بالعبادة ، ليعلموا أنهم في عبادة الأصنام على ضلالة وأن الأنبياء عربهم وعجمهم دعوا إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له .

فقصة صالح عليه السلام تتحدث عن ثبات أهل الحق والإيمان ونصرتهم
وهلاك أهل الشرك والعصيان بعد تأمرهم على صالح ، ومكر الله لأهل
الشرك وإهلاكهم .
المسألة الرابعة :

وهي قصة نبي الله لوط عليه السلام مع قومه وقصد بها كما قصد بغيرها
من القصص السابقة وهي التحذير من مخالفة أوامر الله واقتراف الفواحش
والمعاصي الكبيرة وما يترتب على ذلك من نزول العذاب كما نزل بمن قبلهم ،
وفي هذا تحذير لقريش من السير على نهج من خالف منهاج الأنبياء وما يترتب
على ذلك من نزول العذاب (١) .

(١) انظر التفسير المنير ، ج١٩ ، ص ٢٦٣ .

المبحث الثالث

قصة موسى عليه السلام بالواد المقدس ومعجزاته

ويشتمل على مطلبين :

- المطلب الأول : موسى عليه السلام ودعوته .
- المطلب الثاني : معجزات موسى عليه السلام .

المطلب الأول

موسى عليه السلام ودعوته

ويشتمل على أربعة مسائل :

الأولى : التعريف بنبي الله موسى عليه السلام .

الثانية : موسى عليه السلام بالواد المقدس وبعثته .

الثالثة : وعود ووفاء .

الرابعة : محاجة موسى عليه السلام لفرعون .

المسألة الأولى : التعريف بنبي الله موسى عليه السلام :

هو نبيُّ الله موسى بن عمران بن ماهت بن عازر بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ، قال تعالى : ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا * وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾ (مريم : ٥١-٥٣) (١) .

المسألة الثانية : موسى عليه السلام بالواد المقدس وبعثته عليه السلام :

طاب مقام موسى عليه السلام واخضر في حياته عود الأمل ، فأتم أقصى الأجلين يكلاً أمور الشيخ ويدبر شئونه برعاية الأمين الناصح بعد أن تم الزواج بإحدى الفتاتين (٢) .

اشتاق موسى عليه السلام إلى أهله فقصد زيارتهم ببلاد مصر في صورة مختف فلما سار بأهله ومعه ولدان منهم وغنم قد استفادها مدة مقامه ، اتفق ذلك في ليلة مظلمة باردة حيث تاهوا في طريقهم ، فلم يهتدوا إلى السلوك في الدرب المألوف ، وذلك في ليلة شديدة الظلام والبرد فبينما هم كذلك إذ أبصر عن بعد

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير ، ج ١ ص ١٢٤٣ .

(٢) انظر قصص الأنبياء لابن كثير ، ص ٣٦٤-٣٦٥ ، وقصص القرآن تأليف محمد جاد المولى ،

ناراً تتأجج في جانب الطور وهو الجبل الغربي منه عن يمينه ، فقال لأهله : ﴿ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ﴾ (طه: ١٠) وكأنه رآها دونهم لأن هذه النار هي نور في الحقيقة ولا تصلح رؤيتها لكل واحد ، أي لعلني أستعلم من عندها عن الطريق ، قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبْرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ (النمل: ٧) .

وقد أتاهم منها بخبر وأي خبر : وجد عندها هدى وأي هدى ، واقتبس منها نوراً وأي نور ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (القصص: ٣٠) .

وقال في سورة النمل : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (النمل: ٨) أي سبحان الله الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد (١) .

أي لما قصد موسى إلى تلك النار التي رآها فانتهى إليها وجدها تأجج في شجرة خضراء ، وقف موسى عليه السلام متعجباً في شاطيء الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة في تلك الليلة الطيبة حياً الله بها نبيه وكليمه موسى عليه السلام أن بورك من في النار ومن حولها ، بركة الهداية التي لا تلوهما بركة ، بركة الرسالة والاصطفاء ، بركة التكليف والتشريف من الله العظيم المستحق للعبادة والمتفرد بالخلق والقدرة المنزه عن الحلول بمكان ويجري عليه الزمان ، فهو الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء ، سمع موسى عليه السلام النداء من كل مكان والنور يملأ المكان ، إنه نور الحق الذي أشرف فأنازل الظلمات (٢) .

* قال تعالى : ﴿ يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (النمل: ٩) .

(١) انظر قصص الأنبياء لابن كثير ، ص ٣٦٤-٣٦٥ ، وقصص القرآن ، تأليف محمد جاد المولى ، ص ١١٦ .

(٢) انظر قصص الأنبياء لابن كثير ، ص ٣٦٥ ، قصص القرآن ، محمد جاد المولى ، ص ١١٧ .

بيّن الحق جل جلاله أن المنادي على موسى عليه السلام هو الله العزيز الحكيم لكل ما ترى ويحدث الذي لا إله إلا هو الذي لا تصلح العبادة وإقامة الصلاة إلا له ، ثم أخبره أن هذه الدنيا ليست بدار قرار وإنما الدار الباقية يوم القيامة التي لا بد من كونها ووجودها لتجزى كل نفس بما تسعى من خير أو شر .
* ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْيِكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ (طه: ١٢) .

خلع موسى عليه السلام نعليه تعظيماً وتكريماً وتوقيراً لتلك البقعة المباركة في الليلة المباركة ، ثم خاطبه تعالى بقوله : ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى *
إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ (طه: ١٣-١٤) .
سأل موسى عليه السلام ربه آية وبرهاناً له يقويه عند خصمه وتبياناً له عليها لتصديقه ، فقال تعالى : ﴿ وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴾ (طه: ١٧-١٨) .

ظن موسى عليه السلام أن المقصود أن يذكر خصائص العصا ومنافعها ، تسامت قدرة الله تعالى فلم يكن السؤال إلا تمهيداً لتبينه سر الإبداع في خلقه حتى إذا رأى موسى عليه السلام حقيقة العصا علم أن في ذلك آيات بينات وحججاً صادقات خصه بها رب السماوات تميز لرسالته وتقوية لدعوته ، فأمر الله موسى عليه السلام بقوله ألقها يا موسى فألقاها فإذا العصا تتحول فجأة إلى ثعبان عظيم الحجم هائل الجسم يتحرك بسرعة ، أحس موسى عليه السلام بالخوف الشديد فولى مدبراً ولم يعقب ، أي يلتفت إلى الخلف حتى ناداه الله تعالى : ﴿ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾ (النمل: ١٠) ، وقال تعالى : ﴿ أَقْبَلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ ﴾ (القصص: ٣١) (١) .

وقف موسى عليه السلام والحية تتحرك بسرعة فناده الله تعالى يا موسى لا تخف إنك من الأمنين لأن المرسلين لا يخافون في حضرة الله تعالى .

المسألة الثالثة : وعود ووفاء :

(١) أنبياء الله ، أحمد بهجت ، ص ١٩٧ .

الوعد الأول : أوحى الله إلى أم موسى عليها السلام أن ترضع موسى فإذا خافت عليه أن تلقيه في اليم ولا تخاف ولا تحزن ثم وعدهما برده إليها ، قال تعالى : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ * فَالتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ (القصص: ٧-٨)

فلما خافت عليه أرضعته وألقته في اليم فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً فدخلت محبة موسى قلب زوجة فرعون حين رأت في وجهه نوراً ، قال تعالى : ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ (طه: ٣٩) .

فلما جيء بموسى عليه السلام لفرعون أمر بذبحه فقالت زوجة فرعون : قرة عين لي ولك ، فقال فرعون : أما لك فنعم وأما لي فلا ، فكان قرة عين لها بالإيمان والهداية ، وأما لفرعون فكان عدواً وقاهراً .

حرم الله على موسى المراضع حتى يعود إلى أمه ، فقال تعالى : ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾ (القصص: ١٢) فكان الوفاء بالوعد لأم موسى ، قال تعالى : ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (القصص: ١٣) .

امتثلت أم موسى عليها السلام لأمر الله فرد الله لها ابنها وأجرى عليها رزقاً لها ، فقرت عينها به لتعلم أن وعد الله حق (١) .

الوعد الثاني : بعد أن أنعم الله على أم موسى عليها السلام ببرد موسى لها وإحسانه وامتتانه عليها شرع في وفائه لها بجعله من المرسلين ، فلما بلغ موسى عليه السلام أشده واستوى في الخلق والخلق وهو سن الأربعين ، آتاه الله حكماً وعلماً وهو النبوة والرسالة التي بشر بها أم موسى رضي الله عنها ، قال تعالى : ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ * إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ

(١) انظر قصص القرآن ، محمد جاد المولى ، ص ١١٢ ، وقصص الأنبياء ، للنجار ، ص ١٥٨ ، وأنبياء الله ، ص ١٨٦ .

الصَّلَاةَ لَذِكْرِي ﴿ طه: ١٣-١٤ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا
يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾ (النمل: ١٠) (١) .

وقف موسى عليه السلام أمام الحية ومد يده وهي ترتعش ، قال تعالى :
﴿ خذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾ (طه: ٢١) ، فتحولت العصا في
يد موسى إلى حية ثم أخذها فعادت إلى عصا كما كانت (٢) ، ثم عاد الأمر الإلهي
لموسى عليه السلام ، قال تعالى : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ
مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾
(النمل: ١٢) .

بعد انقلاب العصا "الجماد" إلى ثعبان يتحرك بقدره الله أراه آية أخرى
ليطمئن قلبه بتأييد الله له عند لقاء فرعون ، وهي أن يضع يده عليه السلام في
جيبه ، فإذا باليد تخرج وهي تتلألأ كالقمر بياضاً من غير برص ولا مرض ، فقد
كان موسى عليه السلام رجلاً أدم ألقى جعداً عملاقاً ، فإذا أصابك خوف أو فزع
فضع يدك على فؤادك يسكن جأشك (*) وهذا واضح في قوله تعالى : ﴿ اسْلُكْ
يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ
بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَآئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ (القصص: ٣٢) .

هاتان المعجزتان لموسى عليه السلام تثبتياً لقلبه وتمكيناً لرسالته بين يدي
فرعون وقومه ، وتهيئة للمناداة بالحق وليرفع به صوتاً عالياً ويشهر به سيفاً
قاطعاً وليمزق به حُجب الزيف والضلال ، قال تعالى : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ
بِآيَاتِي وَلَا تَنبَأْ فِي ذِكْرِي * اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ (طه: ٤٢-٤٣) ،
وحدد الحق مهمة موسى عليه السلام في قوله : ﴿ فَاتِّبَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ
فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ﴾ (طه: ٤٧) (٣) .

(١) انظر قصص الأنبياء ، للنجار ، ص ١٧٣ ، وأنبياء الله ، أحمد بهجت ، ص ١٩٨ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ، ص ٣٥٧ .

(*) من جأش يجأش جأشاً : اهتزت واضطربت من خوف أو ألم ، المعجم العربي الأساسي ، ص ٢٢٥ .

(٣) انظر أنبياء الله ، ص ١٩٨-١٩٩ .

المسألة الرابعة : محاجة موسى عليه السلام لفرعون :

استمع فرعون إلى حديث موسى عليه السلام عن عظمة الله رب العالمين ورحمته بالتائبين وألمح موسى لفرعون بأن ملكه يبقى له ، وبعد موته تكون له جنة إن آمن بالله تعالى ، قال فرعون لموسى عليه السلام : ألسنت موسى الذي ربيناك صغيراً ، ألم تقتل الرجل المصري ، ألم تعلم أن القتل كفر فقتلت . فهم موسى عليه السلام أن فرعون يذكره بماضيه ويهدده بعمله .

رد موسى عليه السلام أنه لما قتل القبطي كان خاطئاً ، ولم يكن كافراً ، وهذا حدث قبل البعثة ، لأن الله وهبه حكماً وجعله من المرسلين .

قال تعالى حكاية على لسان فرعون : ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ فَعَلْتَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ * فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (الشعراء: ١٨-٢١) .

أجابه موسى عليه السلام قائلاً : ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (الشعراء: ٢٢) ، أي هل تظن يا فرعون أن النعمة التي أنعمتها علي وأنا واحد من بني إسرائيل تقابل ما استخدمت هذا الشعب الكبير بأكمله واستعبادهم في أعمالك وخدماتك ، أما الآن فقد أتيتك موفداً من الله تعالى رب العالمين ، قال فرعون : وما رب العالمين ؟ أجابه موسى عليه السلام ﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ (الشعراء: ٢٤) (١) .

ألمح موسى عليه السلام على فرعون بالدعوة إلى الإيمان بالله وهو في ملأ قومه وذلك يكسر من هيئته ويحط من رتبته ، وجه فرعون إلى القوم كلامه متجاهلاً الإله الذي يدعو إليه موسى وأنه سيتخذ الوسيلة للصعود إلى إله موسى ليصفي الحساب بينه وبين الله تعالى ، ولعل فرعون فهم من قول موسى رب السماوات والأرض أنه موجود في السماء لأن العظيم القادر على العلو لا ينزل

(١) انظر قصص الأنبياء ، للنجار ، ص ١٨٢ .

إلى أسفل ، وأنه يستطيع أن يصعد إلى السماء فأمر هامان أن يبني له صرحاً حتى يطلع إلى إله موسى عليه السلام (١) .

قال تعالى حكاية على لسان فرعون : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أطَّعُ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (القصص: ٣٨) ، بنى هامان الصرح وصعد فرعون فوق الصرح ليقول له هامان لن تجد شيئاً في السماء ، ليس هناك إله غيرك ، ثم قال فرعون : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ (القصص: ٣٨) (٢) .

حذر فرعون موسى كيف يدعو إلى إله غيره فمن يعمل ذلك يسجن ، قال تعالى : ﴿ قَالَ لئن اتَّخَذتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ (الشعراء: ٢٩) قال موسى لفرعون بعد تهديده له بالسجن : ﴿ قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴾ (الشعراء: ٣٠) إنه يتحدى فرعون وها هو يقبل تحديه ويلق صدقه على أن يأتيه بهذا الشيء المبين ، قال تعالى على لسان فرعون : ﴿ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (الشعراء: ٣١) (٣) .

المطلب الثاني

معجزات موسى عليه السلام

وفيه تمهيد ومسألان :

الأولى : آيات الله لفرعون وقومه .

الثانية : هلاك فرعون وجنوده .

(١) انظر المصدر السابق ، ص ١٨٥ .

(٢) انظر أنبياء الله ، ص ٢٠٥ .

(٣) انظر المصدر السابق ، ص ٢٠٥ .

التمهيد : كان موسى عليه السلام قوي الظهر ، مسدد الخطا يستمد العون والتوفيق من الله العلي العظيم ، كان السحر فناً ذاع في القبط واشتهر شأنه فظهر منهم الساحر الذي يخلب العقول ويسترق الأفئدة ، وقد برعوا في السحر ولم يبارهم سابق .

ومن هذه الناحية وحدها شاعت إرادة الله أن يعجز القوم ، وأن يوقفهم دهشين ذاهلين ، تلك حكمة أرادها الله تعالى ، فأجرى المعجزة على يد نبيه موسى عليه السلام تحاكي ذلك النوع الذي برع فيه القوم ، فإذا عجزوا فيما برعوا فيه ، فهم عن غيره من الأعمال أعجز ، وحينذ فكلمة الله هي العليا ، وكلمتهم هي السفلى ، والله لا يهدي كيد الخائنين .

ألقى موسى عليه السلام عصاه التي أودعها الله القوة الخارقة فإذا هي ثعبان مبین يتحرك بسرعة متجهاً إلى فرعون ، خاف فرعون وانكمش طالباً إبعاده متوسلاً لموسى عليه السلام ، ثم قال فرعون : هل من غيرها ظاناً أن موسى عليه السلام لا بد عاجز ولكن الرسول أدخل يده في جيبه ثم نزعها ، فإذا شعاع ينبعث منها يكاد ضوءه يأخذ الأبصار وينتشر حتى يكاد يسد الأفق (١) .

قال فرعون لمن حوله : أعتقد أن موسى عليه السلام ساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون ، صممت الأصوات ليصدر فرعون إنه عمل ساحر عليم ولا بد من وقف سحره ، وإبطاله على مشهد ومرأى من الناس ، وذلك يوم الزينة صباحاً ، وتم اللقاء وألقى السحرة عصيهم وحبالهم ، شعر موسى عليه السلام بالخوف ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفُ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ (طه: ٦٨-٦٩) .

اطمأن موسى عليه السلام حين سمع رب العالمين يطمئنه ، رفع موسى عليه السلام عصاه وألقاها فجأة فإذا هي ثعبان كبير سريع الحركة ، تقدم الثعبان نحو حبال السحرة وعصيهم التي كانت تتحرك وبدأ يأكلها واحدة بعد أخرى حتى

(١) انظر قصص القرآن ، جاد المولى ، ص ١٢٢ .

لم يبق من عصيهم وحبالهم شيئاً ، واختفت الحبال والعصي في بطن الثعبان وتحرك الثعبان نحو موسى عليه السلام ومدّ يده فتحول الثعبان إلى عصا ، أدرك السحرة أنهم ليسوا أمام ساحر إنما هذه معجزة من الله تعالى فألقى السحرة أنفسهم على الأرض سجداً ، قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون . شاهد المصريون كما شاهد بنو إسرائيل هذه المعجزة المفاجئة شهدوا سجود السحرة لله تعالى .

قال فرعون : إنها مؤامرة واضحة قادها رئيس السحرة سنقطع أيديكم وأرجلكم ، وسنصلبكم في جذوع النخل ، قال السحرة : افعل ما تريد إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أجبرتنا عليه من السحر والله خير وأبقى ، قال تعالى ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ * قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ * وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَعَلَبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ * وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ (الأعراف : ١١٥-١٢٢) (١) .

أسلم السحرة لله رب العالمين ، ولم يجد فرعون إلا الانتقام قائلاً : لأقطعن أيدي السحرة وأرجلهم عن خلاف ولأصلبهم في جذوع النخل عقاباً لهم على إسلامهم قبل أن يأذن لهم فرعون .

تمادى فرعون في كفره وأصر على عناده معرضاً عن الآيات التي أتى بها موسى عليه السلام ، وعد فرعون قومه بأن يقتل موسى عليه السلام ويستحيي نساء بني إسرائيل بما له عليهم من القهر والغلبة ، وبدأ في تعذيب قوم موسى عليه السلام وإلحاق الأذى بهم حتى ضجوا بالشكوى إلى موسى عليه السلام قائلين : ﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾ (الأعراف: ١٢٩) .

(١) قصص القرآن ، جاد المولى ، ص ١٢٣ - ١٢٤ ، وقصص الأنبياء ، للنجار ، ص ١٨٨ ، وأنبياء الله ص ٢١٤ .

فمناهم بهلاك عدوهم وإخراجهم من الضيق إلى السعة وأن يكونوا خلفاء في الأرض التي وعدوا بها ، وأراد فرعون أن يبطش بموسى متحدياً إلهه حتى لا يكون فيه تبديل لدين القوم ، أو فساد في أرضهم ولكن موسى عليه السلام استعاذ بالله من شر هذا المتكبر الذي لا يؤمن بيوم الحساب ، قال تعالى على لسان فرعون : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ * وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ (غافر: ٢٦-٢٧) .

أخذ موسى عليه السلام يواجه غضب فرعون ومؤمراته وتذمر قومه وشكواهم (١) .

المسألة الأولى : آيات الله لفرعون وقومه :

لما أخذت فرعون العزة بالإثم وجد أمر الله تعالى وتمادى في تكذيب موسى عليه السلام وإيقاع الإذلال والإهانة بهم ، أمر الله تعالى موسى أن يعلم فرعون وقومه بأن الله تعالى سيوقع بهم العذاب جزاء لهم على تكذيبه وامتناعهم من إطلاق بني إسرائيل فكانوا كلما وقع بهم عذاب وعدوه بالإيمان به تارة ، وبارسال بني إسرائيل معه تارة أخرى ، إذا سأل ربه كشف ما وقع بهم من العذاب فإذا كشف الله عنهم ما نزل بهم عادوا إلى طغيانهم وغدروا بعهدهم وهكذا إلى أن كانت الآية الكبرى والبطشة العظمى وهي إغراق فرعون في اليم ونجاة بني إسرائيل .

والآيات هي :

- ١- السنين : وهي أعوام الجذب التي لا يُستغل فيها زرع ولا ينتفع بضرع .
- ٢- نقص من الثمرات : وهي قلة الثمار من الأشجار بسبب ما يأتي عليها من الجوائح .
- ٣- الطوفان : كثرة الأمطار المتلفة للزرع والثمار ، أو فيض النيل على الأرض وامتداد بقاءه على وجه الأرض حتى أعاقهم عن الزرع في الوقت المناسب .

(١) انظر قصص الأنبياء ، للنجار ، ص ١٩٣-١٩٤ .

- ٤- الجراد : بأن أرسل الله على بلاد مصر الجراد فأكل الزرع واجتاح الثمار .
- ٥- القمل : الذي أفض مضاجعهم وأتعبهم أيما تعب .
- ٦- الضفادع : قيل إنها كثرت عندهم حتى نغصت عليهم عيشتهم بسقوطها في طعامهم وفرادشهم وبين ملابسهم .
- ٧- الدم : فقد مزج ماؤهم كله به فلا يستقون من النيل شيئاً إلا وجدوه دماً وقيل : سلط الله عليهم الرعاف ^(١) ، وهذا فقط لفرعون وقومه ولم يصب موسى ومن معه شيء .
- ٨- الطمس على أموالهم : وهو محققها وإهلاكها .
- ٩- اليد : إذ كان يضع يده في جيبه ثم يخرجها بيضاء تتلألأ من غير سوء .
- المسألة الثانية : هلاك فرعون وجنوده :

بعد كل هذه الآيات الواضحات التي استمر فيها العذاب لهم حتى يعودوا إلى الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وَأَخَذْنَا مِنْهُمُ الْعَذَابَ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ * وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴾ (الزخرف: ٤٨-٤٩) .

لم يكن لفظ الساحر في زمانهم نقصاً ولا عيباً لأن علماءهم في ذلك الوقت هم السحرة ، ولهذا خاطبوه في حال احتياجهم إليه وضراعتهم لديه ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴾ (الزخرف: ٥٠) .

أخبر تعالى عن تبجح فرعون وعناده فبعد كشف العذاب عنهم إذا هم لا يوفون بوعودهم ولا عهودهم ، فحال قوم فرعون هو حال فرعون حيث أطاعوا فرعون وصدقوه ، قال تعالى : ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ (الزخرف: ٥٤) ^(٢) .

استخف فرعون عقول قومه ودرجهم من حال إلى حال إلى أن صدقوه في دعواه الربوبية لعنه الله أنهم كانوا قوماً فاسقين (فلما آسفونا) أي أغضبونا انتقمنا

(١) المصدر السابق ، ص ١٩٣-١٩٤ .

(٢) انظر قصص الأنبياء للنجار ، ص ١٩٧-١٩٨ .

منهم بالإغراق والإهانة وسلب العز والتبدل بالذل والعذاب بعد النعمة والهوان بعد الرفاهية والنار بعد طيب العيش عياداً بالله العظيم وسلطانه القديم من ذلك .
فجعلناهم سلفاً لمن أتبعهم في الصفات ومثلاً لمن اتعظ بهم وخاف من
وبيل مصرعهم ، قال تعالى : ﴿ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ
وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ * فَأَخَذْنَا هُوَ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ (القصص: ٤٠) .

يخبر تعالى أنهم لما استكبروا عن اتباع الحق وادعى ملكهم الربوبية
ووافقوه عليه وأطاعوه اشتد غضب الله العزيز القدير عليهم فأغرقه وجنوده في
صبيحة واحدة ، فلم يقلت منهم أحد ولم يبق منهم ديار بل كل قد غرق ودخل
النار وأنجى الله موسى ومن معه ، قال تعالى : ﴿ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ
أَجْمَعِينَ ﴾ (الشعراء: ٦٥) .

هكذا أنجى الله موسى عليه السلام ومن معه وأغرق فرعون ومن معه .
شك بعض بني إسرائيل في موت فرعون حتى قال بعضهم إنه لا يموت فأمر الله
البحر فرفعه على مرتفع وعليه درعه الذي يعرفونه به ويتحققوا بذلك من هلاكه
ويعلموا قدرة الله تعالى (١) .

(١) انظر قصص القرآن لابن كثير ، ص ٣٩٨ .

المبحث الرابع

نعم الله الجليلية على داود وسليمان عليهما السلام

ويشتمل على مطلبين :

الأول : نعم الله على داود عليه السلام .

الثاني : نعم الله على سليمان عليه السلام .

المطلب الأول نعم الله على داود عليه السلام

ذكر الله تعالى لداود مواقف صالحات وأنه أنعم عليه نعماً عظيمة
فمن ذلك :

١- ذكر الله تعالى في الكتاب الكريم أنه سخر الجبال مع داود يسبحن بكرة
وعشياً وقد دل على ذلك بقوله في سورة سبأ ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا
جِبَالُ أُوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ﴾ (سبأ: ١٠) ^(١) ، أوبي : أي رجعي في التسبيح
كلما رجّع فيه ^(٢) .

٢- تسبيح الطير معه كما تفعل الجبال أيضاً كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا
دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أُوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ﴾ (سبأ: ١٠) ، أي يا جبال
سبحي مع داود كلما سبح ، أي يجعلها الله قادرة على التسبيح أو يخلق فيها
التسبيح ^(٣) .

٣- علم منطق الطير ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ
الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (النمل: ١٦) والضمير في أوتينا ، وعلّمنا
لسليمان ولأبيه داود عليهما السلام ^(٤) .

٤- إلهة الحديد له كما في قوله تعالى في سورة سبأ ﴿ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنْ
اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ﴾ (سبأ: ١٠-١١) ، "ألنا له الحديد" أي
جعلناه في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير طرق بآلة أو بقوته ولو
كان يعمل الدروع بواسطة النار لم يكن في ذلك امتناناً من الله عليه إذ كل
الناس يعملون كذلك ^(٥) .

(١) انظر قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٣٠٩ ، فتح القدير ، ج ٤ ، ص ٥٣٦ .

(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٢٥-٢٦ .

(٣) انظر قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٣١٠ ، فتح القدير ، ج ٤ ، ص ٣٩٠ ، ٥٢٦ .

(٤) انظر قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٣١٠ .

(٥) انظر فتح القدير ، ج ٤ ، ص ٣٩١ .

٥- عمله الدروع المركبة من حلق الحديد وكانت تعمل صفائح فكان هو الذي نسجها من خلق الحديد تناط الحلقة بأمثالها إلى أن يكمل الدرع وهي أخف من الدروع الأخرى وأبعد من مضايقة لابسها وهي تقي لابسها من أن تعمل فيه الأسلحة فهي على لابسها حصن يتقل بتقله كما قال الله تعالى : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ (الأنبياء: ٨٠) (١) .

٦- تشديد ملكه ذلك وأن الله تعالى قواه في الملك وجعله منصوراً على أعدائه ، فقد انتصر على جميع مبغضيه ومناوئيه قبل الملك وبعده ومكث دهرًا لا يقوم له معارض إلا غلبه ولا يعتدي على ملكه معتد من خارج مملكته في أواخر ملكه ، أي قويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود ، قال تعالى : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخِطَابِ ﴾ (ص: ٢٠) (٢) .

٧- آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب والمراد بالحكمة : النبوة وأصل معناها اللغوي وضع كل شيء في محله ، أي يقول الإنسان القول لا خلل فيه ويفعل الصواب الذي لا اعتراض لأحد عليه فالنبوة طريق إلى الحكمة مختص يختص الله به من اصطفاهم من عباده وفصل الخطاب فصل الخصام يتميز الحق عن الباطل أو الكلام الملخص الذي ينبه المخاطب على المقصود من غير التباس يراعى فيه مظان الفصل (٣) .

٨- إن الله تعالى أعطاه الزبور كما قال تعالى : ﴿ وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ (النساء: ١٦٣) . الزبور : وهو عبارة عن اسم الكتاب الذي أوحاه الله إلى داود عليه السلام وهو عبارة عن قصائد وأناشيد تتضمن تسبيح الله وحمده والثناء عليه والتضرع له ، وبعض أخبار مستقبله كما قال تعالى

(١) انظر قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٣١٠ ، وفتح القدير ، ص ٣٩١ ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٦ ، ص ٢٤٣ .

(٢) انظر قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٣١٠ ، فتح القدير ، ج ٤ ، ص ٥٢٦ .

(٣) انظر فتح القدير ، ج ٤ ، ص ٥٢٧ ، وانظر قصص الأنبياء ، للنجار ، ص ٣١١ .

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ
الصَّالِحُونَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٥) أي أنه تضمن الإخبار بشأن النبي الآتي وهو
محمد ﷺ وأصحابه وكان داود عليه السلام حسن الصوت حسن الإنشاء حتى
إنه إلى اليوم مضرب للمثل بحسن الصوت فيقال للحسن الصوت إنه أعطي
مزموراً من مزامير داود عليه السلام . والزبور يسمى عند أهل الكتاب
(المزامير) وعددها مائة وخمسون مزموراً^(١) .

المطلب الثاني

نعم الله تعالى على سليمان عليه السلام

إن نعم الله كثيرة على الناس وخصوصاً أنبيائه ورسله ، أما نعم الله على
سليمان من خلال ما ورد في القرآن الكريم وفي سورة النمل خاصة
فكثيرة ومنها :

١- ذكائه وفراسته في القضاء : منح الله تعالى سليمان عليه السلام ذكاءً نادراً
وإصابة في القضاء والحكم بدليل قصة الحرث الذي نفشت فيه غنم الراعي
فكان حكمه كما تبين في سورة الأنبياء أصوب من حكم أبيه داود - عليه
السلام - كما قال الله تعالى : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ
نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا
آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾
(الأنبياء: ٧٨-٧٩) .

٢- تعليمه منطق الطير : إن الله تعالى علّم سليمان منطق الطير فكان يفهم مراد
الطيور من أصواتها ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مِنْطِقَ الطَّيْرِ

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ٢٨٨ .

وَأوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴿ (النمل: ١٦) ، أي أوتي نعماً كثيرة ومنها تعليمه
كلاماً لا يعلمه سواه (١) .

٣- تسخير الرياح له : كان لسليمان بساط الريح ينقله من مكان إلى آخر بعيد
ويوجه الريح حيث يشاء فيأمرها بأن تهب في ناحية ما كما قال
تعالى : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا
فِيهَا ﴾ (الأنبياء: ٨١) (٢) .

٤- تربية الخيول وهي الصافنات الجياد للجهاد : كان رباط الخيل مندوباً إليه
في ملة سليمان عليه السلام وكان سليمان يستعرضها كالعروض العسكرية
اليوم بمناسبة وطنية أمام الرؤساء وكان يحبها لأمر الله تعالى وطلب تقوية
دينه ، وهو المراد من قوله تعالى : ﴿ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي ﴾ وقد أعاد عرضها
أمامه يمسح سوقها وأعناقها تشريفاً لها وإعزازاً لنعمتها في جهاد العدو
وتفقداً لأحوالها وأمراضها وعيوبها ، قال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لِداوُدَ
سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴾
(ص: ٣٠-٣١) (٣) . أما تفسير هذه الآيات بما يتنافى مع منصب النبوة
كالاشتغال بالخيول عن صلاة العصر ثم أمرهم بردها عليه ليعاقب نفسه
بإفساد ما ألهاه عن ذلك من عبادة الله مع جواز أن يكون في شرعه مباح ،
وأما المنهي عنه إضاعة المال لغرض غير صحيح ، أما لغرض صحيح
فجائز كما فعل الصحابة بإحراق طعام المحتكر (٤) .

٥- فتنة سليمان عليه السلام وإلقاء الجسد على كرسيه : ذكر الله تعالى بعد قصة
عرض الصافنات الجياد هذه الفتنة فقال : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى
كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ * قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ

(١) انظر التفسير المنير ، ج١٩ ، ص ٢٧٣ .

(٢) انظر قصص الأنبياء ، للنجار ، ص ٣١٨ ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٥ ، ص ٢٠٨ .

(٣) انظر فتح القدير ، ج ٤ ، ص ٥٣٤-٥٣٥ ، وقصص الأنبياء ، للنجار ، ص ٣٢٢ .

(٤) انظر فتح القدير ، ج ٤ ، ص ٥٣٥ .

بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿ (ص: ٣٤-٣٥) . والمراد بهذه الآيات والله أعلم
إن سليمان عليه السلام ابتلي بمرض شديد أضناه ، أي أثقله حتى صار لشدة
المرض كأنه جسد أو جسم بلا روح ثم أناب ، وقيل سبب فتنة سليمان
عليه السلام أنه قال لأطوفن الليلة على تسعين امرأة تأتي كل واحدة بفارس
يقاتل في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله (١) .

٦- إسالة عين القطر (النحاس المذاب) له : أنعم الله على سليمان عليه السلام
بتطويع النحاس المذاب له لاستخدامه لتوثيق المباني العظيمة الضخمة ذات
الحجارة الكبيرة كما ذكر تعالى : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غَدُوًّا شَهْرًا وَرَوَّاحَهَا
شَهْرًا وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ﴾ (سبأ: ١٢) (٢) .

٧- تسخير الجن له : عدّد الله تعالى في سورة سبأ النعم العظمى التي أنعم بها
على سليمان عليه السلام فقال : ﴿ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ
وَمَن يَزِغُ مِنْهُمْ عَن أَمْرِنَا نُدْفِقُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ
مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴾ (سبأ: ١٢-١٣) (٣) ،
وقال تعالى : ﴿ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴾ (ص: ٣٧) وبه تبيّن أن الله
جل جلاله سخر الجن كما سخر له الريح فكانت الجن من جنده يطيعه بما
يأمر وتعمل له ما يشاء من ضخم المباني والعمائر والتماثيل وكانت التماثيل
جائزة الصنع عندهم والقذور الراسيات والجفان الآنية الواسعة التي كأنها
الحياض لسعتها (٤) .

٨- إسلام ملكة سبأ والإتيان بعرشها : عرفنا في البيان المتقدم في قصة سليمان
عليه السلام مع بلقيس ملكة سبأ أن طير الهدهد أخبره بوجود ملكة عظيمة
في سبأ من بلاد اليمن تعبد مع قومها الشمس من دون الله وأن لها عرشاً

(١) انظر قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٣٢٣ ، وفتح القدير ، ج ٤ ، ص ٥٣٦ .

(٢) انظر قصص الأنبياء ، النجار ، ص ٣٣١ .

(٣) انظر التفسير المنير ، ج ١٩ ، ص ٢٧٦ ، وقصص الأنبياء ، النجار ، ص ٣٣٢-٣٣٣ .

(٤) انظر فتح القدير ، ج ٤ ، ص ٥٣٧ ، وانظر قصص الأنبياء ، ص ٣٣٣ ، وتفسير القرآن العظيم ، ج ٧

ص ٤٦ .

عظيماً مزيناً بأنواع الجواهر واللآلئ فأرسل سليمان رسالة لها مع الهدد مضمونة ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ (النمل: ٣٠-٣١) فاستجابت بلقيس مع قومها لطلب سليمان بعد أن أقنعتهم بألا طاقة لهم بمواجهة جنود سليمان وأثرت بكمال عقلها وفطنتها السلم والمصالحة والمسالمة والموادعة على الحرب والقتال بالرغم من توافر قوة عسكرية كبيرة عندها ، قال تعالى : ﴿ نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ (النمل: ٣٣) (١) ، فشيدها سليمان عليه السلام صرحاً عظيماً ومرد أرضه بالزجاج ثم لما دخلته حسبته ماء فكشفت عن ساقها لخوض الماء لئلا تبتل ثيابها بالماء ، ثم أحضروا عرشها من اليمن ليكون دليلاً على صدق نبوته ومعجزة على صحة رسالته وآية على قدرة الله العجيبة في خرق العادات وتجاوز المحسوسات مما لم يكتشف العلم سره ونواميسه إلى الآن ، فما كان من بلقيس إلا أن أسلمت وأمنت برسالة سليمان عليه السلام فقالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين (٢) .

٩- فهم منطق النمل : كان سليمان بتعليم الله وإرشاده يفهم لغة النمل كما يفهم منطق الطير وذلك كله من المعجزات ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ (النمل: ١٨-١٩) (٣) .

١٠- موت سليمان عليه السلام : أعمى الله موت سليمان عليه السلام على الجان المسخرين لخدمته في الأعمال الشاقة فإنه مكث متوكئاً على عصاه

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٣٣٣ ، والتفسير المنير ، ج ١٩ ، ص ٣١٢ .

(٢) انظر قصص الأنبياء ، ص ٣٣٤ .

(٣) انظر التفسير المنير ، ج ١٩ ، ص ٣١٣ .

بعد موته قرابة السنة ، فلما أكلتها دابة الأرض ضعفت وسقطت على الأرض ، وعلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة وهو أمامهم وتبينت الجن والإنس أنهم لا يعلمون الغيب قطعاً ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ (سبأ: ١٤) .
وهذا من تكريم الله لسليمان عليه السلام وإلقاء هيئته على الجن والإنس حتى بعد موته (١) .

(١) انظر قصص الأنبياء ، ص ٣٣٧ ، والتفسير المنير ، ج ١٩ ، ص ٣١٣ .

المبحث الخامس

الحوار في القرآن الكريم وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول : تعريف الحوار

المطلب الثاني : طبيعة الحوار في القرآن

المطلب الثالث : أهداف الحوار

المطلب الأول

تعريف الحوار

الحوار : من حاور يحاور محاوره وحواراً .. والمعنى جاوبه وجادله (١) .
قال الراغب : المحاوره والحوار وهو المرادة في الكلام (٢) .
أما المحاوره فهي مجرد مراجعة الكلام بين المتكلمين لا تلزم فيه الخصومه وإنما تغلب عليها صورة الكلام المتبادل بين طرفين في أسلوب لا يقصد به الخصومه أو لا يراد به بالضرورة الاتجاه إلى الخصومه .
أما المجادله كما يفسرها اللغويون : اللدد في الخصومه (٣) .
والصورة الأخرى للحوار هي الكلام المطبوع في صحيفة أو مجلة فيكون على شكل عرض وجهات نظر أو تعقيبات أو مداخلات " (٤)

المطلب الثاني

طبيعة الحوار في القرآن

المقصود هو محاولة إبراز ما تحويه نظرة إلى أنواع الحوار في القرآن الكريم بوصفها تمثل شيئاً من الشمول وهي :

١- **التنوع في أسلوب الحوار** : فالحوار في القرآن لم يقتصر على نوع معين كالعقيدة أو الدين عامة بل شمل كل أوجه الحياة دينية أو اجتماعية أو سياسية وغير ذلك .

٢- **من طبيعة الحوار الاعتماد على العقل** : وهو واضح في كل أساليب القرآن وطبيعة هذا الاعتماد أن أسلوب المحاوره يتجه إلى إبراز الحجة والمنطق

(١) المعجم العربي الأساسي ص ٣٦٢ .

(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ١٣٤ .

(٣) انظر أسلوب المحاوره في القرآن الكريم ، دكتور عبد الحليم حنفي ، ص ١٠ .

(٤) أخلاقيات الحوار للدكتور عبد القادر الشيلغي ، ص ١٢ .

العقلي في تتابع متسلسل منطقي للوصول إلى الأهداف القرآنية فهذا نبي الله إبراهيم عليه السلام وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام في حوارهِ مع الله يصل إلى طمأنة قلبه .

قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمَ تُوْمَنٌ قَالَ بَلَىٰ وَكَانَ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (البقرة : ٢٦٠) فإبراهيم عليه السلام مؤمن بقلبه ولكن أراد أن يطمئن قلبه ، فأمره الله أن يأخذ أربعة من الطير ثم يذبحهن ويقطعهن ثم يضع كل جزء على جبل ثم يدعُهن فإذا بالأجزاء تتجمع بإذن الله تعالى وتعود مسرعة إلى إبراهيم ، ومن هنا كان اعتماد المحاوره على العقل ومتابعة الحوار للوصول إلى الهداية المرجوة (١) .

٣- ومن طبيعة المحاوره في القرآن : إنصاف الخصم والمحافظة على حق الخصم في كل وجه سواء كان الخصم مؤمناً عادياً أم كان شخص نبي من الأنبياء ، بل وحتى وإن كانت ذات الله سبحانه وتعالى . فالأمر واحد في المحاوره ، ومثاله هذا الذي يحاور في الله مدعياً إنكاره أو إنكار مقدرته على بعث الموتى ، وكيف يوجه الله نبيه إلى محاورته في غير إيذاء بل بما يشبه عتاب الود والتقريب . قال تعالى : ﴿ وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ (يس ٧٨-٨٠) (٢) .

قال الشوكاني : نبه سبحانه على وحدانيته ودل على قدرته على إحياء الموتى بما يشاهدونه من إخراج النار المحرقة من العود الندي الرطب ، وذلك أن الشجر المعروف بالمرخ والشجر المعروف بالعفرار إذا قطع منها عودان

(١) انظر أسلوب المحاوره في القرآن الكريم ، ص ٢٧-٢٨ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٢٩-٣٠ .

وضرب أحدهما على الآخر انقذت منها النار وهما أخضران ﴿ فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوْقِدُونَ ﴾ أي تقذحون منه النار وتوقدون منها ذلك الشجر الأخضر (١) .

٤- **ومن طبيعة المحاوراة في القرآن تحديد الغاية وتوضيحها :** يهتم القرآن الكريم بإبراز الهدف الذي تدور حوله المحاوراة مع التركيز الشديد على أن يكون الهدف واضحاً ومحددًا ومقبولاً على النفس والمشاعر ، فنتيجة المحاوراة إما تسليم الخصم ، وإما إفحامه وعجزه عن متابعة المحاوراة ، وفي حالة التسليم من الخصم متابعته فهذه ملكة سبأ تأتيها رسالة سليمان ﷺ لترد عليه في النهاية بقولها : ﴿ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ وإما إفحام الخصم ، كما في محاوراة إبراهيم ﷺ مع النمرود وإفحامه ويبين ذلك قوله تعالى : ﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾ (البقرة : ٢٥٨) . (٢)

٥- **تحديد الهجوم :** فليست الخصومة أو المحاوراة كلها رفقا فليس من طبيعة الخصومة أن تكون رفقا ، فالذي يرفق بخصمه ليس أهلا للفوز الدائم سواء في حرب السيف أو اللسان ، ولكن القوي حقا هو من يستطيع معالجة خصمه وخاصة في الدعوة العامة ، فطبيعة الخصام من حيث هو جانب القوة أمضى أسلحة الخصومة على الإطلاق فالقوة هي قوة الحجة ، كما أن قوة الطعن في الحرب هي مظهر القوة فلا بد من ارتباط القوة بشخص الخصم بمعنى أن يحسب الطرف الآخر أن خصمه قوي وهذا الإحساس له أهمية كبيرة في التأثير على النفس من حيث التمهيد لتحقيق ما يهدف إلى تحقيقه الطرف القوي . (٣)

وهذا واضح في قصة سليمان ﷺ مع ملكة سبأ بقوله تعالى ﴿ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَنُخْرِجُهُمْ مِنْهَا أُذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (النمل: ٣٧)

(١) فتح القدير ، ج ٤ ، ص ٤٧٥ .

(٢) انظر أسلوب المحاوراة في القرآن الكريم ، ص ٣٢-٣٣ .

(٣) انظر المصدر السابق ، ص ٣٦ .

"وإن كان القرآن جمع في محاورته بين اللين والشدّة ليكون قمة في التأثير والجمع بينهما يحتاج إلى حكمة ، وَمَنْ أُولَىٰ بِهِ هَذِهِ الْحِكْمَةُ مِنْ أَسْلُوبِ الْقُرْآنِ ."
فاجتماع الشدة واللين ، فلأن موادعة الخصم تهدف إلى كسبه للدعوة وإعلان القوة لهذا الخصم ليكون من عوامل كسبه للدعوة أيضاً. (١)

المطلب الثالث أهداف الحوار في القرآن الكريم

- ١- غني عن البيان أن القرآن الكريم كل هدفه الدعوة إلى الله بصفة عامة ، وإثبات وحدانية الله تعالى وإبطال ما عداها من المعبودات بصفة خاصة .
- ٢- تحقيق أغراض القرآن الشاملة لكل جوانب الإصلاح الفردية والجماعية وخاصة إصلاح العقيدة وتوجيه السلوك الإنساني وما يتعلق بهما كحالة الغضب والكذب والغش والخداع وما شابه ذلك كالخوف والحزن ، فالمحاورات في القرآن تدخل في هذا الإطار من حيث إنها تتضمن جزءاً من هذه الدعوة.
- ٣- بيان أثر الحجة والفصاحة في الدعوة وتأثيرها في الوصول إلى أهداف القرآن وتقريب الناس إلى الله والدخول في دينه .
- ٤- استخدام كافة الأساليب المؤثرة كالقصة التي تترك صدى في النفس وشوقاً وأثراً واضحاً في الخضوع والخشوع . كقصة يوسف عليه السلام صبيّاً يلقي في البئر وكبيراً يتعرض لفتنة النساء ثم يسجن البريء ويصبر ثم عفوه عن إخوته في تناسق واضح مؤثر . (٢)
- ٥- إبراز الهدف أو الأهداف التي تدور حوله المحاورّة مع التركيز الشديد على أن يكون الحوار واضحاً محدداً ومقبولاً من النفس كدعوة سليمان عليه السلام ملكة سبأ إلى الإيمان بالله ، وأن يأتوا مسلمين .

(١) انظر أسلوب المحاورّة في القرآن ، ص ٣٧ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٤٠-٤٣ .

٦- تسلية النبي ﷺ بما يلاقيه من الخصوم والصبر عليهم . وأن النصر مع الصبر
ومن سنة الله نصره أوليائه ، كقصة موسى ﷺ مع فرعون ، وإبراهيم ﷺ
مع النمرود.

٧- إثارة العقول ودفعها للتفكر والتأمل بإلقاء الأسئلة عليها كما في قوله ﴿ قَالَ
يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّتْ
عَلَيْكُمْ أَنْزَلِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ (هود:٢٨)

ومعنى أَرَأَيْتُمْ أي أخبروني ، أو افترضوا أن رسالتي التي أكرمني الله بها
ظاهرة واضحة بما فيها من معجزات ، هل نكرهكم عليها (١) .

٨- الرد على الخصم من الواقع المشاهد الذي به يقف الخصم على البينة
الواضحة كروية بلقيس عرشها في قصر سليمان ﷺ ، وروية الهدد وهو
يدخل من كوة في قصرها حاملاً لرسالة سليمان ﷺ التي كانت سبباً للهداية
فاهتدت(٢).

٩- بيان دور القيادة وتأثيرها على الناس والأتباع . فهذا فرعون يرفض دعوة
موسى عليه السلام ويتبعه قومه مع وضوح المعجزات واحدة تلو الأخرى
وفي هذا بيان لأثر القيادة على الناس ، فبلقيس أسلمت فأسلم قومها .(٣)

١٠- ضرورة مراعاة أساسيات فن الإقناع وذلك بهدوء وروية واستخدام أقل
الكلمات المعبرة عن الحجة القوية والدليل الواضح المستند إلى الواقع. كقول
إبراهيم ﷺ للنمرود: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا
مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤)
(سورة البقرة : ٢٥٨) .

(١) انظر انظر أسلوب المحاوراة في القرآن ، ص ٤٥.

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٧٣ .

(٣) انظر المصدر السابق ، ص ٢٠٥ .

(٤) انظر أخلاقيات الحوار ، ص ٦٢-٦٤ .

المبحث السادس

قصة صالح عليه السلام

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التعريف بنبي الله صالح عليه السلام وقومه .

المطلب الثاني : دعوة صالح عليه السلام .

المطلب الأول

التعريف بالنبي صالح عليه السلام

وفيه ثلاث مسائل

المسألة الأولى : نبي الله صالح عليه السلام في القرآن :

ذكر اسم صالح في القرآن تسع مرات في سورة الأعراف في الآيات [٧٣-٧٥-٧٧] ، وفي سورة هود في الآيات [٦١-٦٢-٦٦-٨٩] وفي سورة الشعراء في الآية [١٤٢] . وقوم صالح عليه السلام هم ثمود . (١)

نسب صالح عليه السلام :

هو نبي الله بن عبيد بن ماسح بن عبيد بن حادر بن ثمود بن عاثر بن إرم ابن نوح عليه السلام . (٢)

المسألة الثانية : تعريف بثمود ومساكنهم :

ثمود قبيلة منها نبي الله صالح عليه السلام ، سميت باسم جدها ثمود بن عاثر بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام (٣)

مساكن ثمود :

كانت مساكن ثمود بالحجر ، وموقعها بين الحجاز والشام إلى وادي القرى ومدائن صالح ظاهرة إلى اليوم ، وهي بيوت منقورة في الصخر ، والمكان الذي فيه ديارهم يعرف إلى اليوم بـ " فج الناقة " (٤) .

المسألة الثالثة : دين ثمود :

كانوا عرباً من العاربة يعبدون الأصنام . (٥)

(١) قصص الأنبياء للشيخ النجار ، ص ٥٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٨ .

(٣) انظر قصص الأنبياء لابن كثير ، ص ٢٠١ .

(٤) انظر قصص الأنبياء للشيخ النجار ، ص ٥٨ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٥٩ .

المطلب الثاني دعوة صالح عليه السلام

وفيه ثلاث مسائل :

المسألة الأولى : دعوة صالح إلى عبادة الله وحده :

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴾ (النمل : ٤٥) .

يؤكد الحق سبحانه وتعالى إرساله صالحاً عليه السلام إلى ثمود فدعاهم إلى الله تعالى ، وأن يخلعوا الأصنام والأنداد ولا يشركون به شيئاً .

هذه الدعوة أحدثت في القوم هزة كبيرة فصالح كان معروفاً بالحكمة والنقاء والاحترام قبل أن يوحي الله إليه ويرسله بالدعوة إليهم . (١)

فكان ردهم على دعوته عليه السلام ﴿ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ (هود:٦٢) .

إنهم يدخلون - أي ثمود - لصالح عليه السلام من باب شخصي بحت لقد كان لنا رجاء فيك لعلمك وعقلك وصدقك وحسن تدبيرك ثم خاب رجاؤنا فيك ، أنتهانا أن نعبد ما عبد آباؤنا . هكذا عجب القوم مما لا عجب فيه ، ويستتكرون ما هو واجب وحق حيث دعاهم إلى عبادة الله وحده ، فهم يقلدون آبائهم في عبادتهم من غير حجة ولا برهان ، هكذا تفعل العادة في الإنسان فعلها القوي ، والتقليد الأعمى فعله العتي فيأتي النبي ﷺ فيبطل هذا التقليد ويحطم العادات المهلكة وهكذا تعلن عقيدة التوحيد عن نفسها كدعوة تحرر فكري قبل كل شيء ، ودعوة إلى إطلاق العقل البشري من حبال التقاليد وخرافات السابقين وأوهام العادات المستقرة (٢) .

(١) انظر أنبياء الله ، ص٦٧ ، وقصص الأنبياء لابن كثير ، ص٢٠١ .

(٢) انظر أنبياء الله ، ص ٦٧-٦٨ .

المسألة الثانية : دور العقيدة الصحيحة للهداية :

عقيدة التوحيد هي إعلان بميلاد الحرية العقلية وكل أنواع الحريات ويرفض العقيدة الصحيحة من تحجر عقله بخرافات السابقين وعادات وأوهام الآباء والأجداد .

ورغم نصاعة دعوة صالح عليه السلام فقومه لا يصدقونه ﴿ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعْرٍ * أَلْقَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴾ (القمر ٢٥-٢٦) وفي مواجهه أهل الكفر والاستكبار وهم الكثرة كان هناك أهل الإيمان الذين صدقوا به قال تعالى : ﴿ وَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴾ (النمل : ٤٥).

ثم يورد لنا القرآن هنا الخصام في قوله تعالى : ﴿ قَالَ الْمَلَأَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (الأعراف: ٧٥-٧٦) .

ويتوجه المستكبرون إلى الذين آمنوا بصالح عليه السلام يسألونهم ﴿ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ اصطدم سؤال المستكبرين برد الفئة المؤمنة ﴿ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ ، وفي ذلك دعوة للمستكبرين بالإيمان بصالح عليه السلام .

فالحق الذي جاء به صالح ليس له علاقة بالناقة إنما له علاقة بدعوته ورسالته نفسها ، فيكون رد المستكبرين الذين أخذتهم العزة بالإثم ﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (الأعراف: ٧٦) أي رفض رسالة صالح عليه السلام ودعوته لهم بترك الأصنام وعبادة الله الواحد القهار . (١)

استمر صالح عليه السلام يدعو إلى الله وحده لا شريك له وخلع ما سواه من الأنداد فكان ردهم عليه ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾ (الشعراء: ١٥٣) .

(١) انظر أنبياء الله ، أحمد بهجت ، ص ٦٧-٦٨ ، وقصص القرآن ، جاد المولى ، ص ٢٦-٢٨ .

والمعنى إنك يا صالح لا تدري ما تقول في دعائك إيانا إلى أفراد العبادة
لله وقال آخر من المستكبرين ﴿ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ
الصَّادِقِينَ ﴾ (الشعراء: ١٥٤) .

اجتمع قوم ثمود يوماً في ناديهم فجاءهم رسول الله صالح عليه السلام فدعاهم إلى
الله وذكرهم وحذرهم ووعظهم وأمرهم فقالوا له إن أخرجت لنا من هذه الصخرة
وأشار إلى صخرة هناك ناقة من صفتها كيت وكيت أوصافاً سموها فأخذ عهودهم
ومواثيقهم على ذلك ثم قام فصلى الله عز وجل ودعا ربه عز وجل أن يجيبهم إلى
ما طلبوا ، فأمر الله عز وجل تلك الصخرة أن تنفطر عن ناقة عظيمة عشراء
على الوجه المطلوب الذي طلبوه ، فلما رأوا أمراً عظيماً ومنظراً هائلاً وقدرةً
باهرةً ودليلاً قاطعاً وبرهاناً ساطعاً ، آمن كثير منهم واستمر أكثرهم على كفرهم
وضلالهم وعنادهم ولهذا قال ﴿ فَظَلَمُوا بِهَا ﴾ أي جحدوا بها ولم يتبعوا
الحق بسببها .

فحثهم صالح عليه السلام ﴿ هَذِهِ نَاقَةٌ لِلَّهِ لَكُمْ آيَةٌ ﴾ (الأعراف: ٧٣) إضافة الناقة
إلى الله تعالى إضافة تشريف ، فالناقة دليل واضح على صدق صالح عليه السلام ثم
أمرهم فقال : ﴿ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ
قَرِيبٌ ﴾ (هود: ٦٤) ، فاتفق الحال على أن تبقى هذه الناقة بين أظهرهم ترعى
حيث شاءت من أرضهم ، أما شرابها فلها شرب يوم وللقوم شرب يوم آخر قال
تعالى ﴿ لَهَا شَرِبٌ وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴾ (الشعراء : ١٥٥) فالناقة ترد الماء
يوماً بعد يوم وكانت إذا وردت الماء تشرب ماء البئر يومها ذلك فكانوا يرفعون
حاجتهم من الماء يومهم لخدمهم ويقال إنهم كانوا يشربون من لبنها كفايتهم فهذه
الناقة هي آية لهم كما أنها فتنة واختبار لهم قال تعالى : ﴿ إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً
لَهُمْ ﴾ (القمر: ٢٧) أيؤمنون بها كآية تدل على عظمة الله ودليل صدق على رسالة
صالح عليه السلام أم يكفروا بها والله أعلم بما يفعلون . (١)

المسألة الثالثة : التأمير سياسة قديمة حديثة على الهداة والمصلحين :

(١) انظر قصص الأنبياء لابن كثير ، ص ٢٠٥ ، وقصص القرآن جاد المولى ، ص ٢٧ .

لما طال الحال على قادة الشر ، اجتمعوا واتفقوا على أن يعقروا هذه الناقة ليستريحوا منها ويتوفر لهم مأوئهم بعد قتل الناقة ، ويقتلوا صالحاً عليه السلام بعد ذلك ، وهذه هي أساليب الأنظمة الكافرة ، وهذا سلاحهم منذ أقدم العصور إلى اليوم لا يعتمدون على العقل أو الفكر أو الجدل أو البرهان ، إنما تمتد الأيدي إلى السلاح وهو أسلم الحلول عندهم وفق تصورهم ، فهو يطوي المشكلة ويدفنها .

قال أحدهم : لقد حذرنا صالح عليه السلام من المساس بالناقة ، وهددنا بالعذاب القريب ، فأسكت الجالسون هذا الصوت قائلين تشاء منا منه ومما جاء به ومن معه قال تعالى : ﴿ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾ (النمل: ٤٧) فأفضل الحلول أن نبدأ بقتل الناقة ثم ننثي عليه فكان السؤال من الذي يقتل الناقة ؟ فتناقلوا الاسم الأشهر في الإجماع "قدار بن سالف وجماعته وهم أداة الجريمة المشهورون قال تعالى : ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ (النمل: ٤٨).

اتفقوا على موعد الجريمة ومكان التنفيذ ، وجاءت ليلة تنفيذ الجريمة . الناقة تجلس وبجانبيها فصيلها كعادتها ، فجاء المجرمون التسعة بأسلحتهم في ظلام الليل ﴿ فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴾ ذهب عقل قدار بن سالف مما تعاطاه .

وابتدر قدار بن سالف فشد عليها بالسيف فكشف عن عرقوبها فخرت ساقطة إلى الأرض ورغت رغاء واحدة عظيمة تحذر فصيلها ثم طعن قدار الناقة . فانطلق فصيلها فصعد جبلاً منيعاً ورغاً ثلاثاً حزناً على أمه ، علم صالح عليه السلام بما حدث فخرج غاضباً على قومه ، وقال : ألم أحذركم من أن تمسوها بسوء ، قالوا قتلناها فأتنا بالعذاب واستعجله لنا ألم تقل إنك من المرسلين ؟ قال صالح عليه السلام : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (النمل: ٤٦). (١)

(١) انظر أنبياء الله ، ص ٦٩-٧٠ ، وقصص الأنبياء للنجار ، ص ٢٨٣ .

ذكر المفسرون أنهم لما عقروا الناقة كان أول من سطا عليها قدار بن سالف لعنه الله فعقرها فسقطت إلى الأرض ثم ابتدروها بأسيا فهم يقطعونها فلما عاين ذلك فصيلها شرد عنهم فعلا أعلى الجبل هناك ورغا ثلاثاً قال صالح عليه السلام ﴿ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ﴾ (هود: ٦٥) أي غير يومهم الذي هم فيه فلم يصدقوه في هذا الوعد الأكيد بل لما أمسوا ^(١) ، وهموا بقتله وأرادوا فيما يزعمون أن يلحقوه بالناقة ، وذلك في ظلام الليل فيقتلوه غيلة ثم يقولون لأوليائه من أقربائه أنهم ما علموا بشيء من أمره وأنهم لصادقون فيما أخبروهم به قال تعالى: ﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّنَنَّهٗ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ (النمل: ٤٩) ^(٢) .

فكاد الله لصالح عليه السلام من هؤلاء المجرمين وجعل الدائرة عليهم بإهلاكهم . قال عبد الرحمن بن أبي حاتم لما عقروا الناقة قال لهم صالح: ﴿ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرُ مَكْدُوبٍ ﴾ (هود: ٦٥) قالوا زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاثة أيام فنحن نفرغ منه وأهله قبل ثلاث ، وكان لصالح مسجد في الحجر عند شعب هناك يصلي فيه فخرجوا إلى كهف هناك ليلاً فقالوا إذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا فإذا فرغنا منه إلى أهله قتلناهم ، فبعث الله عليهم صخرة من الهضب فخشوا أن تشدخهم فتبادروا فانطبقت عليهم الصخرة وهم في ذلك الغار فلا يدري قومهم أين هم ، ولا يدرون ما فعل بقومهم فعذب الله هؤلاء هنا وهؤلاء ههنا .

وأنجى الله صالحاً ومن معه أجمعين قال تعالى: ﴿ وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرَنَا مَكَرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ * فَتِلْكَ بَيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ (النمل : ٥٠-٥٣) ^(٣) .

(١) انظر قصص الأنبياء لابن كثير ، ص ٢٠٧-٢٠٨ ، وقصص القرآن لجاد المولى ، ص ٢٩-٣٠ .

(٢) انظر قصص الأنبياء لابن كثير ، ص ٢٠٨ ، وقصص القرآن ، ص ٣٠ .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ٣ ، ص ٣٦٨ .

هكذا تأهبوا وتحنطوا وقعدوا ينتظرون ماذا يحل بهم من العذاب لا يدرون كيف يفعل بهم ولا من أي جهة يأتيهم العذاب ، فلما أشرقت جاءتهم صيحة من السماء من فوقهم ورجفة شديدة من أسفل منهم ففاضت الأرواح وزهقت النفوس وسكنت الحركات وخشعت الأصوات وحقت كلمة الحق قال تعالى : ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ أي جثث لا أرواح فيها ولا حراك بها قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴾ (القمر: ٣١) أي أصبحوا كيبس الزرع والنبات وهلكوا جميعا قبل أن يدركوا ما حدث ، أما الذين آمنوا بصالح عليه السلام فكانوا قد غادروا المكان مع نبيهم ونجوا . (١)

(١) انظر أنبياء الله ، ص ٧٢-٧٣ ، وقصص الأنبياء لأين كثير ، ص ٢٠٨ .

المبحث السابع

دعوة لوط عليه السلام

ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : التعريف بالنبي لوط عليه السلام وقومه .

المطلب الثاني : دعوة لوط عليه السلام .

المطلب الأول

التعريف بالنبي لوط عليه السلام وقومه

وفيه مسألتان :

المسألة الأولى : نسب لوط عليه السلام :

هو نبي الله لوط بن هاران بن تارح ابن أخ إبراهيم الخليل عليهما السلام ،
فإبراهيم وهاران وناحور إخوة .

آمن لوط عليه السلام بإبراهيم عليه السلام واهتدى بهديه كما قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّنَ لَهُ
لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ﴾ . (١)

تبع لوط عليه السلام عمه إبراهيم عليه السلام في رحلاته لمصر ، وأغدق عليهما ملك
مصر المال والأنعام ورجعا من هذه البلاد ونزلا بتلك الأرض المقدسة ، فضاقت
بأنعامهما وأغنامهما بقعة الأرض التي نزلا بها فنزح لوط عن محلة عمه إبراهيم
عليه السلام بأمره وإذنه ، فنزل بمدينة سدوم واستقر بها . (٢)

المسألة الثانية : من هم أهل سدوم (*) :

أهل سدوم من أفجر الناس وأكفرهم وأسوأهم وأردئهم سريرة
وسيرة ، يقطعون السبيل ويأتون في ناديهم المنكر ولا يتناهون عن منكر
فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ، ابتدعوا فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من
العالمين وهي إتيان الذكران من العالمين وترك ما خلق الله من النساء ، فلا
يقربونهن وتمادوا في ضلالهم حتى فشت المنكرات وكثرت الموبقات
واستحبوا الضلالة على الهدى وآثروا الغواية على الهداية ، وذلك بتزيين
الشیطان لهم الشهوات .

(١) انظر قصص الأنبياء لابن كثير ، ص ٢٦٨ ، وقصص الأنبياء للشيخ النجار ، ص ١١٢ .

(٢) انظر قصص القرآن ، ص ٥٩ .

(*) سدوم : مفعول السدم وهو الندم مع غمّ مدينة من حدائق قوم لوط كان قاضيها يقال له سدوم ، معجم

البلدان ياقوت الحموي ، ج ٣ ، ص ٢٢٦ .

المطلب الثاني

دعوة لوط عليه السلام

وفيه ثلاث مسائل :

المسألة الأولى : تكليف لوط عليه السلام بدعوة قومه وردهم عليه :

أوحى الله تعالى إلى لوط عليه السلام أن يدعو قومه إلى عبادة الله وبينهاهم عن اقتراف هذه الجرائم ، فأذن بدعوته وأعلن بينهم رسالته ، قال تعالى : ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (الشعراء: ١٦٠-١٦٣) . (١)

فلم يستجيبوا له ولم يؤمنوا به ولم يتركوا ما نهوا عنه ، بل استمروا على حالهم من الغي والضلالة التي ابتكروها وهي إتيانهم الرجال شهوة من دون النساء ، قال تعالى : ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ * أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرَّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ النمل (٥٤-٥٥) .

كان رد قومه على نصحه لهم بالطهر والعفاف بإجابة مبتكرة كجريرتهم التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين ، قال تعالى : ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ (النمل: ٥٦) (٢) .

فجعلوا نصح لوط عليه السلام لهم جريمة تقتضي الطرد والإخراج ، وكان من عادة القوم إذا دخل المدينة غريب أو مسافر أو ضيف لم ينقذه من أيديهم أحد . فكان ذلك يزيد في دعوته عليه السلام قوة وثباتاً ، واستمر في دعوته سنين طويلة من غير أن يؤمن معه أحد إلا ابنتيه ، أما امراته فبقيت على عنادها وكفرها .

استمر استهزاء قوم لوط به وبرسالته فتوعدهم بعذاب الله إن استمروا

على ذلك .

(١) انظر أنبياء الله أحمد بهجت ، ص ١٠١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٠٢ ، وقصص الأنبياء لابن كثير ، ص ٢٧١ .

فكان ردهم ﴿ اٰتٰنَا بَعْدَآبِ اللّٰهِ اِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ ﴾ (العنكبوت: ٢٩) .
ولما وقع هذا منهم ، دعا لوط عليه السلام أن ينصره الله ويهلك المفسدين .
غار الله لغيرته وغضب لغضبه واستجاب لدعوته فبعث الله رسله الكرام
وملائكته العظام ، فمروا على الخليل إبراهيم وبشروه بالغلام العليم ، قال تعالى :
﴿ فَاَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾ (الذريات: ٢٨)
وأخبروه بما جاءوا له من الأمر الجسيم والخطب العميم ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا
الْمُرْسَلُونَ * لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ * مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾
(الذريات: ٣١: ٣٤) .

قال المفسرون ، لما فصلت الملائكة من عند إبراهيم وهم جبريل
وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام أقبلوا حتى أتوا أرض سدوم في صور شبان حسان
اختباراً من الله تعالى وإقامة للحجة عليهم فاستضافهم لوط عليه السلام عند
غروب الشمس ، حسبهم لوط عليه السلام بشراً من الناس فقال لوط عليه السلام في نفسه
هذا يوم عصيب خوفاً على الضيوف من قومه وما يلاقونه منهم
فأخذ يبين أحوال أهل القرية وخبثهم وقلّة أدبهم - حتى إنهم
لا يحترمون الضيف بل يسيئون له - رغبته من لوط عليه السلام أن يصرف
الضيوف عن المبيت في مدينته ، ولكن الضيوف يريدون الصمت فلما
رأى إصرارهم على المبيت سألمهم أن يمكثوا بهذا البستان حتى الغروب ،
وتنزل العتمة على المدينة فلا يراهم أحد من أهل المدينة ، ومع الفجر يخرجهم
خارج المدينة . (١)

سقط الليل على المدينة وصحب لوط عليه السلام ضيوفه إلى بيته ، ولم يره
أحد من أهل المدينة ، لم تكد زوجته تشهد الضيوف حتى تسللت خارجة بغير أن
تشعره ، أسرعت إلى قومها وأخبرتهم الخبر ، انتشر الخبر وهرع القوم إلى بيت
لوط عليه السلام .

(١) انظر قصص الأنبياء لابن كثير ، ص ٢٧٢-٢٧٣ .

قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ * وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾ (هود ٧٧-٧٨)

بدأ الوقت العصيب بمجيء قومه له . تساءل لوط عليه السلام بينه وبين نفسه من الذي أخبرهم ؟ تلفت باحثاً عن زوجه فلم يرها ، زاد حزناً على حزن ، ووقف القوم على الباب ، أخذ لوط عليه السلام يحاكي فطرتهم وعقلهم ويرشدهم إلى بناته التي هي نساؤهم والنساء أظهر للرجال من الرجال للرجال . (١)

قال تعالى : ﴿ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ * قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ * وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ * قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ * قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ (الحجر ٦٧-٧١) أرشدهم إلى غشيان نساءهم وهن كبناته شرعاً ، قال تعالى : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ (الأحزاب: ٦) .

فكان الرد عليه : ﴿ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ (هود: ٧٩) والمعنى يقولون عليهم لعائن الله : لقد علمت يا لوط عليه السلام إنه لا إرب لنا بنسائنا وإنك لتعلم مرادنا وغرضنا ، هكذا واجهوا رسولهم الكريم ولم يخافوا سطوة العظيم ذي القوة المتين .

ذكر المفسرون أن نبي الله لوط عليه السلام جعل يمانع قومه الدخول ويدافعهم ، والباب مغلق وهم يحاولون فتحه وولوجه - والضيوف الكرام يرون ويسمعون - وقف لوط عليه السلام يرتعد خوفاً وأسفاً على ما يحدث لضيوفه وصرخ قائلاً : ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ (هود: ٨٠) . تمنى أن تكون له قوة تصدهم عن ضيوفه ، أو ركن شديد يحتمي فيه ويأوي إليه . غاب عن لوط عليه السلام في شدته وكربته، أنه يأوي إلى ركن شديد [ركن الله العظيم] الذي لا يتخلى عن أنبيائه وأوليائه . (٢)

(١) انظر أنبياء الله ، ص ١٠٣ .

(٢) انظر قصص الأنبياء لابن كثير ، ص ٢٧٤ ، وانظر قصص الأنبياء للشيخ النجار ، ص ١١٣ .

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال رحمة الله على لوط لقد كان يأوي إلى ركن شديد . يعني الله عز وجل . (*)

المسألة الثانية : عسر ويسر :

بلغ الضيق ذروته بنبي الله لوط ﷺ فتحرك الضيوف الكرام ونهضوا فجأة ، وأفهموه أنه يأوي إلى ركن شديد قال تعالى : ﴿ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ ﴾ (هود: ٨١) .

خرج جبريل ﷺ عليهم فضرب وجوههم بخفقه فطمست أعينهم حتى غارت بالكلية ولم يبق لها محل ولا عين ولا أثر ، فرجعوا يتحسسون مع الحيطان يتوعدون رسولهم الكريم ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرْ * وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴾ (القمر ٣٧-٣٨) .

تقدمت الملائكة إلى لوط ﷺ آمرين له بأن يسري هو وأهله من آخر الليل ولا يلتفت منكم واحد عند سماع صوت العذاب إذا حلَّ بقومه ﴿ إِلَّا امْرَأَتَكَ ﴾ (هود ٨١) ، على قراءة النصب يحتمل أن تكون مستثني من قوله ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ ﴾ (هود ٨١) (١) .

كأنه يقول إلا امرأتك فلا تسري بها ، ويحتمل أن يكون من قوله " ولا يلتفت منكم أحدًا إلا امرأتك " أي فإنها ستلتفت فيصيبها ما أصابهم والله أعلم (٢) .

وقال الملائكة الكرام للوط ﷺ مبشرين بهلاك هؤلاء البغاة العتاة الملعونين الذين جعلهم الله سلفا لكل خائن مريب ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ (هود: ٨١) .

خرج لوط ﷺ بأهله وهم ابنتاه ولم يتبعه منهم أحد - ويقال إن امرأته خرجت معه فلما خلصوا من بلادهم وطلعت الشمس فكان عند شروقها جاءهم من

(*) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب زيادة طمأنينة القلب ، حديث ٢٣٨ ، ح ١ ، ص ٨٩-٩٠ .

(١) انظر قصص الأنبياء لابن كثير ، ص ٢٧٦ ، أنبياء الله ، ص ١٠٥ .

(٢) انظر قصص الأنبياء لابن كثير ، ص ٢٧٦ ، وقصص القرآن ، ص ٦٤ .

أمر الله ما لا يرد ومن البأس الشديد ما لا يصد ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبِيعِدٍ ﴾ (هود: ٨٢-٨٣) .

المسألة الثالثة : هلاك قوم لوط :

اقتلع جبريل عليه السلام بطرف جناحه السبع مدن بمن فيهن من الأمم وما معهم من الحيوانات وما تبع تلك المدن من الأرض والأماكن فرفع الجميع حتى بلغ بهن عنان السماء حتى سمعت الملائكة أصوات ديكتهم ونباح كلابهم ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها .

قال تعالى : ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ ﴾ (هود: ٨٢) أي أنزلنا عليهم حجارة صلبة يتبع بعضها بعضا في نزولها عليهم من السماء وهي معلمة مكتوب على كل حجر اسم صاحبه الذي يهبط عليه فيدمغه من الحاضرين في بلدهم والغائبين عنها والمسافرين ^(١) .

أما امرأة لوط عليها السلام فخرجت مع زوجها ولما سمعت الصيحة وسقوط البلدة التفتت إلى قومها وخالفت أمر ربها قديما وحديثا وقالت واقوماه فسقط عليها حجر فدمغها وألحقها بقومها ، إذ كانت على دينهم وكانت عينا لهم على ما يكون عند لوط عليه السلام من الضيوف .

قال تعالى : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَاتَمَهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ (التحريم: ١٠) .

والخيانة هي في الدين أي فلم يتبعاهما فيه ، وليس المراد كانتا على فاحشة فإن الله لا يقدر على نبي أن تبغي امرأته كما قال ابن عباس وغيره من أئمة السلف ^(٢) .

(١) انظر قصص الأنبياء لابن كثير ، ص ٢٧٧ ، وأنبياء الله ، ص ١٠٥ .

(٢) انظر قصص الأنبياء للنجار ، ص ١١٣ ، وقصص الأنبياء لابن كثير ، ص ٢٧٧ .

قال تعالى : ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا مِنْ الْغَابِرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ﴾ (النمل ٥٧-٥٨) . لم يعد هناك أحد ، نكست المدن على رؤوسها وغارت في الأرض حتى انفجر الماء من الأرض وهلك قوم لوط ومحيت مدنهم وتحولت إلى بحيرة الموت ، فهي آية لم تتدنر ، ويؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهَا لِبِسْبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾ (الحجر: ٧٦) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمْرُؤُنَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ * وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (الصافات ١٣٧-١٣٨) .

أي إنها آية ظاهرة - أي مكان المدن السبع وهي ما يعرف اليوم بالبحر الميت وما حوله من مدن قوم لوط عليه السلام .

انطوت صفحة قوم لوط وانمحت مدنهم وأسماءهم من الأرض وسقطوا من ذاكرة الحياة والأحياء.

وتوجه لوط عليه السلام إلى إبراهيم عليه السلام وقص عليه نبأ القوم ، ومضى لوط في دعوته إلى الله ومضى الاثنان ينشران الإسلام في الأرض... (١)

(١) انظر أنبياء لأحمد بهجت ، ص ١٠٧ .

المبحث الثامن

من أمارات القيامة ومقدماتها

وفيه ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : إخراج الدابة .
- المطلب الثاني : النفخ في الصور .
- المطلب الثالث : تسيير الجبال .

المطلب الأول إخراج الدابة

وفيه خمس مسائل

المسألة الأولى : صفاتها .

المسألة الثانية : زمان خروجها .

المسألة الثالثة : مكان خروجها .

المسألة الرابعة : ماذا مع الدابة ؟

المسألة الخامسة : هل ينفع الإيمان عند خروج الدابة ؟

قال تعالى ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ (النمل: ٨٢).

يبين الحق جل جلاله من مقدمات قيام القيامة إخراج الدابة ثم يبين لنا رسول الله ﷺ صفاتها ومتى تخرج ؟ ومن أين تخرج ؟ وكم مرة تخرج وما معها ؟.

المسألة الأولى : صفاتها :

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن فاطمة بنت قيس (*) قالت يا رسول الله ﷺ : " إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا رهبة ولكن جمعتكم لأن تميماً الداري كان رجلاً نصرانياً فجاء فبايع وأسلم وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن الدجال حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لخم وجذام فلعب بهم الموج شهراً في البحر ثم أرفؤوا^(١) إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس فجلسوا في أقرب^(٢) السفينة فدخلوا إلى الجزيرة فلقبتهم دابة أهلب^(٣) كثير الشعر لا يدرون ما قبُّله من دُبُرِه من كثرة الشعر .

(*) فاطمة بنت قيس بن خالد الفهرية أخت الضحاك - صحابية مشهورة وكانت من المهاجرات الأول روي لها أهل السنن ... تقريب التهذيب ، ج ٢ ، ص ٤٤٥ .

(١) أرفؤوا : أي لجأوا ومرقاً السفينة حيث ترسي ، المعجم العربي الأساسي ، ص ٥٣٥ .

(٢) أقرب : هي القوارب الصغار التي يتصرف بها ركاب السفينة والواحد قارب ، المصدر السابق ، ص ٩٧٦ .

(٣) أهلب : المهلب أي الشعر الغليظ ، انظر نفس المصدر ، ص ١٢٦٨ .

فقالوا ويلك ما أنت ؟ فقالت أنا الجساسة (١) قالوا وما الجساسة ؟ قالت أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق قال : لما سمّت لنا رجلاً فرقنا أن تكون شيطانه (٢) ، أي إنها خلق عظيم ذات وبر وقوائم وتتكلم بلسان واضح عربي .

المسألة الثانية : زمان خروج الدابة : متى تخرج ؟

تخرج هذه الدابة في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق واستحقاقهم العذاب وذلك قرب مجيء الساعة وعندها تحدثهم أن الناس كانوا بآيات الله لا يوقنون .

ويؤيد ذلك ما يرويه الحاكم في مستدركه عن واثلة (٣) بن الاسقع سمعت رسول الله ﷺ يقول : "لا تقوم الساعة حتى يكون عشر آيات خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف في جزيرة العرب والدجال والدخان ونزول عيسى عليه السلام ويأجوج ومأجوج والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر تحشر الذر والنمل" (٤).

المسألة الثالثة : مكان خروج الدابة وعدد خرجاتها :

تخرج الدابة ثلاث خرجات : يؤيد ذلك ما أخرجه الحاكم في مستدركه عن أبي سريحه (٥) الأنصاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : "يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر تخرج أول خرجة بأقصى اليمن فيفشوا ذكرها بالبادية ولا يدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم يمكث زماناً طويلاً بعد ذلك ثم تخرج خرجة أخرى قريباً من مكة فيُنشَرُ ذكرها في أهل البادية ويُنشر ذكرها بمكة ثم تكمن زماناً طويلاً ثم

(١) الجساسة : يعني الدابة التي يراها في جزيرة البحر وسميت بذلك لأنها تجس الاخبار وتأتي بها الدجال .

(٢) صحيح مسلم كتاب الفتن وأشرط الساعه باب الجساسة ، حديث ٢٩٤٢-٢٩٤٣ ، ص ١٥٧٥-١٥٧٦ .

(٣) واثلة بن الأسقع : ابن كعب الليثي صحابي مشهور نزل الشام وعاش إلى سنة خمس وثمانين وله مائة وخمس سنين روى له أصحاب السنن ، تقريب التهذيب ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ .

(٤) المستدرک على الصحيحين للحاكم كتاب الفتن باب لا تقوم الساعة حتى تكون عشر آيات ، ج ٤ ، ص ٢٢٨ .

(٥) أبو سريحه . بفتح أوله وكسر الراء . وهو حذيفة بن أسيد الغفاري - صحابي من أصحاب الشجرة

مات سنة اثنتين وأربعين روى له أصحاب السنة معدا البخاري ، تقريب التهذيب ، ج ١ ، ص ١٢٧ .

بينما الناس في أعظم المساجد حرمة وأحبها إلى الله وأكرمها على الله تعالى المسجد الحرام لم يرعهم إلا وهي في ناحية المسجد تدنو وتربو بين الركن الأسود وبين باب بني مخزوم عن يمين الخارج في وسط من ذلك فيرفض الناس عنها شتى دمعاً ويثبت لها عصابة من المسلمين عرفوا أنهم لن يعجزوا الله فخرجت عليهم تنفض عن رأسها التراب فبدت بهم فجلت عن وجوههم حتى تركتها كأنها الكواكب الدرية ثم ولت في الأرض لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب حتى إن الرجل ليتعود منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول أي فلان الآن تصلي فيلنقت إليها فتسمه في وجهه ثم تذهب فيجاور الناس في ديارهم ويصطحبون في أسفارهم ويشتركون في الأموال يعرف المؤمن الكافر حتى إن الكافر يقول يا مؤمن اقضي حقي ويقول المؤمن يا كافر اقضي حقي . (١)

المسألة الرابعة : ماذا مع الدابة ؟

تخرج الدابة ومعها عصا موسى عليه السلام وخاتم سليمان عليه السلام ويؤيد ذلك ما يرويه الحاكم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تخرج الدابة ومعها عصا موسى عليه السلام وخاتم سليمان فتجلوا وجه المؤمن بالعصى وتخطم أنف الكافر بالخاتم حتى إن أهل الخوان (*) يقولون لهذا يا كافر (٢) .

أما كلام الدابة فقد أشار إليه قوله تعالى : ﴿ أَنْ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ (النمل: ٨٢) أي أن أكثر الناس كانوا لا يؤمنون بآيات الله الدالة على مجيء الساعة .

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم كتاب الفتن والملاحم - باب تخرج الدابة ثلاث خرجات ، ج ٤ ، ص ٤٨٤ .

(*) الخوان : أثاث منزلي من الخشب أو المعدن يوضع عليه الطعام وأدواته ، ويجلس حوله الآكلون ، المعجم العربي الأساسي ، ص ٤٣٠ .

(٢) المصدر السابق كتاب الفتن باب تخرج الدابة ومعها عصى موسى عليه السلام وخاتم سليمان عليه السلام ، ج ٤ ، ص ٤٨٥-٤٨٦ .

المسألة الخامسة : هل ينفع الإيمان عند خروج الدابة ؟

لا ينفع الإيمان حين خروج الدابة والدليل ما يرويه الإمام مسلم في صحيحه .

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض) . (١)

المطلب الثاني

النفخ في الصور

وفيه ثلاث مسائل :

المسألة الأولى : تعريف الصور .

المسألة الثانية : اختلاف العلماء في عدد النفخات .

المسألة الثالثة : اختلاف العلماء في المستثنى من الصعق .

قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ (النمل: ٨٧) والمعنى والله الملك يوم ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور وقد حنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ ... (٢) .

المسألة الأولى : تعريف الصور :

والصور قرن ينفخ فيه كهيئة البوق كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فسأله عن الصور قال قرن ينفخ فيه. (٣) وحينها يخاف جميع من في السموات ومن في الأرض خوفاً شديداً يؤدي بهم إلى الموت إلا من شاء الله أن يثبت قلبه فلا يخاف وهم بعض الملائكة

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان ، ص ٩٣ ، حديث ١٥٨ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ٣ ، ص ١٦٨ .

(٣) المستدرک على الصحيحين كتاب الأحوال باب ينتظر صاحب الصور متى يؤمر بنفخه ، ج ٤ ، ص ٥٦٠ .

كجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وقيل هم الشهداء فإنهم أحياء عند ربهم يرزقون (١) ، ولا مانع من شمولهم جميعاً بالاستثناء والتثنية .

﴿ وَكُلُّ أُمَّةٍ دَاخِرِينَ ﴾ أي كل واحد من الخلائق يأتي بين يدي الله للسؤال والحساب أذلاء صاغرين صغار ذل إن كانوا كافرين ، وصغار هيبة وخشية إن كانوا مؤمنين ولا يتخلف أحد عن أمر ربه كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ (مريم: ٩٣) ، وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ (الروم: ٢٥) .

فالصورة قرن من نور ينفخ فيه ويُجعل فيه الأرواح وسماه الله تعالى أيضاً " الناقور " في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا نَقَرَ فِي النَّاقُورِ ﴾ (المدثر: ٨) (٢) .

قال المفسرون : الصورة ينقر فيه مع النفخ الأول لموت الخلق وذلك يوم الجمعة كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ "خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة" . (٣)

وذلك من آخر عمر الدنيا حين تقوم الساعة على شرار الناس من الأحياء فيفرغ من في السموات ومن في الأرض (٤) .

فالنفخة الأولى : للفناء وهي نفخة الصعق التي تكون مع النقر في الناقور لتكون الصيحة أشد وأعظم .

والنفخة الثانية : تكون بعد ذلك بأربعين عاماً حيث يُنزل الله ماءً كمني الرجال فتنبت جثمانهم ولحمانهم كما تنبت الأرض من الثرى ، كما قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْتَاهُ إِلَى بَدَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾ (فاطر: ٩) ، ثم يقوم ملك الصور بين السماء والأرض

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ١٤٦ ، والتفسير المنير ، ج ٢ ، ص ٤١ .

(٢) انظر التذكرة للقرطبي ، ص ١٥٩ .

(٣) صحيح مسلم كتاب الجمعة ، باب فضل يوم الجمعة ، حديث ٨٥٤ ، ص ٤٢٥ .

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم ، ج ٦ ، ص ٧٧ .

فينفخ فيه فتنتلق كل نفس إلى جسدها حتى تدخل فيه فيقومون فيجيبون إجابة رجل واحد قياماً لرب العالمين فيحيون معاً. (١)

فقد ورد عن أبي سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ : " كيف أنعم وصاحب الصور قد التهم القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فكأن ذلك ثقل على أصحاب النبي ﷺ فقال لهم : ﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (آل عمران: ١٧٣). (٢)

" والأمم مجمعة على أن الذي ينفخ في الصور هو إسرئيل عليه السلام . (٣)
فالنفخ في الصور إنما هو سبب لخروج أهل القبور وغيرهم فيعيد الله الرفات من أبدان الأموات ويجمع ما تفرق منها في البحار وبطنون السباع وغيرها حتى يصير كهيئاتها الأولى. ثم يجعل فيها الأرواح فتقوم الناس كلهم أحياء حتى السقط والسقط الذي تم خلقه ونفخ فيه الروح ، حتى الموعودة تحشر وتسال وتبعث ، وأما من لم ينفخ فيه الروح فهو وسائر الأموات سواء . (٤)

المسألة الثانية : اختلاف العلماء في عدد النفخات :

اختلف العلماء في عدد النفخات على قولين :

الأول : إنها ثلاث نفخات :

النفخة الأولى : هي نفخة الفزع لقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ففَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ (النمل: ٨٧)

النفخة الثانية : نفخة الصعق لقوله تعالى : ﴿ وَنُفَخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ (الزمر: ٦٨) .

(١) انظر التذكرة للقرطبي ، ص ١٥٧ .

(٢) المستدرک على الصحيحین کتاب الأھوال ، باب ینتظر صاحب الصور متى يؤمر بنفخه ، ج ٤ ، ص ٩٥٥ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، ج ٧ ، ص ٢٤ .

(٤) انظر التذكرة للقرطبي ، ص ١٥٦ .

النفخة الثالثة : نفخة البعث لقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ نَفْخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ (الزمر: ٦٨) . (١)

الثاني : نفختان :

الأولى : نفخة الفزع حيث تكون راجعة إلى نفخة الصعق ؛ لأن الأمرين لازمان لها أي فزعوا فزعاً ماتوا منه . لقوله تعالى ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَفْخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ (الزمر : ٦٨) ، فاستثنى هنا كما استثنى في نفخة الفزع فدل على أنهما واحدة .

استدل الإمام القرطبي على نفختين بحديث أبي هريرة قال : قال رسول الله : " ما بين النفختين أربعون " قالوا يا أبا هريرة أربعون يوماً قال : أبيت قالوا أربعون شهراً ؟ قال:أبيت قالوا : أربعون سنة ؟ قال :أبيت ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ، قال وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة (٢) .

أي أنهما نفختان لا ثلاثة وهو الصحيح إن شاء الله . (٣)

وقول أبي هريرة أبيت ، توجه إلى قولين :

الأول : أبيت أي امتنعت من بيان ذلك وتفسيره وعلى ذلك يكون علم من النبي ﷺ علماً بذلك .

الثاني : أبيت أن أسأل عن ذلك النبي ﷺ وعلى ذلك لم يكن عنده علم من ذلك . (٤)

المسألة الثالثة : اختلاف العلماء في المستثنى من الصعق :

قيل هم الملائكة وقيل جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت والشهداء .

وقيل الحور العين وقيل هم المؤمنون . والصحيح إنه لم يرد في تعيينهم خبر صحيح والكل محتمل . (١)

(١) انظر الفتح القدير ، ج ٤ ، ص ١٩١ ، وتفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ١٤٦ .

(٢) صحيح مسلم كتاب الفتن ، باب ما بين النفختين ، ص ١٥٨١ ، حديث ٢٩٥٥ .

(٣) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، ص ١٦١ .

(٤) انظر المصدر السابق ، ص ١٥٦ .

(١) انظر فتح القدير ، ج٤ ، ص١٩٢.

المطلب الثالث

تسيير الجبال

ويشتمل على مسألتين :

المسألة الأولى : متى تسيير الجبال ؟

المسألة الثانية : أحوال الجبال في الآخرة .

تسيير الجبال :

قال تعالى : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾

(النمل: ٨٨) .

خاطب الحق - جل جلاله - نبيه ﷺ تعليماً له لمعنى يدرك هو كنهه فخص بالخطاب "وترى الجبال" ولم يعمم كما عمم قوله ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ ﴾ في هذا الخطاب ادخاراً لعلماء أمته الذين يأتون في وقت ظهور هذه الحقيقة الدقيقة ، فالله أطلع نبيه ﷺ على هذا السر العجيب في نظام الأرض كما أطلع إبراهيم عليه السلام على كيفية إحياء الموتى .

حتى إذا كشف العلم عنه وجد أهل القرآن ذلك حقاً في كتاب الله .

فإن الرأي للجبال يراها في هيئة ساكن وهي تمر مرأً واضحاً لكنه لا يبين من أول وهله ، فهي تنتقل من جهة إلى جهة مع أن الرأي يخالها ثابتة في مكانها كما يحسب الناظر للسحاب الذي يعم الأفق أنه مستقر وهو ينتقل من صوب إلى صوب فلا يشعر به الناظر إلا وقد غاب عنه ، صنع الله الذي أتقن كل شيء وهذا في حالة نظامها المؤلف لا بحاله انخرام النظام ؛ لأن خرم النظام لا يناسب وصفه بالصنع المتقن ولكن يوصف بالأمر العظيم (١) .

المسألة الأولى : تسيير الجبال يكون في وقت اختلال نظام العالم الأرضي كما قال تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾ (طه ١٠٥-١٠٧) .

(١) انظر التحرير والتنوير ، ج ٢٠ ، ص ٤٩-٥٠

يقول الإمام الرازي : اعلم أن هذا هو العلامة الثالثة لقيام الساعة وهي تسيير الجبال ، والوجه في حسابهم أنها جامدة فلأن الجسام الكبار إذا تحركت حركة سريعة على نهج واحد في السمات والكيفية ظن الناظر إليها أنها واقفة مع أنها تمر مرأً حثيثاً. (١)

يرى الباحث : أن هذه الآية الكريمة تقرر حركة انتقالية للأرض قبل أن يعرفها العالم بقرون ، ويلحق قدامى المفسرين هذه الآية بآيات الجبال إذ لم يخطر ببالهم ، أن للأرض حركة .

وإن حركة الجبال هذه لا بذاتها لأنها في مرأى العين جامدة ، ولكن بواسطة الأرض التي تحملها ، أي أن الآية تثبت حركة انتقالية عن طريق إثبات حركة للجبال تشبه حركة السحاب وهي معجزة علمية قرآنية لا شك فيها .

المسألة الثانية : أحوال الجبال في الآخرة :

أما أحوال الجبال في الآخرة فترجع كلها إلى تفريغ الأرض منها وإبراز ما كانت تواريه فوصفها الله تعالى بصفات :

١- الاندكاك وذلك قبل الزلزلة كما قال تعالى : ﴿ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾ (الحاقة: ١٤) ، والمعنى ضرب بعضها حتى تتدق وتصير كثيباً وهباءً منبثاً .

٢- أنها تصير كالعهن المنفوش وذلك إذا صارت السماء كالمهل وقد جمع الله بينهما فقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴾ (المعارج ٨-٩) ، والمعنى يوم تكون السماء كالمعدن المذاب وتكون الجبال كالقطن المنفوش .

٣- أن تصير الجبال كالهباء وذلك أن تتقطع بعد أن كانت كالعهن كما قال تعالى ﴿ وَبُيُوتُ الْجِبَالِ بَسًا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴾ (الواقعة ٥-٦) ، والمعنى تفتت الجبال حتى صارت كالدقيق تشبه الغبار المتفرق المنتشر .

(١) انظر التفسير الكبير للرازي ، ج ٢٤ ، ص ٢٢٠ .

- ٤- أن تتسف لأنها مع الأهوال المتقدمة قارة في مواضعها والأرض تحتها غير بارزة فتسف عنها لتبرز .
- ٥- وأن الرياح ترفعها على وجه الأرض فتظهرها شعاعاً في الهواء كأنها غبار فمن نظر إليها من بعد حسبها لتكاثفها أجساداً جامدة ، وهي في الحقيقة مارة إلا أن مرورها من وراء الرياح كأنها متفقة .
- ٦- أن تكون سراباً فمن نظر إلى مواضعها لم يجد شيئاً منها كما قال تعالى ﴿وَسَيَّرَ الْجِبَالَ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ (النبا: ٢٠) ^(١) ، وتسير الجبال وإن دكت عند النفخة الأولى : يحدث بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق ليشاهدها أهل المحشر، فيبدل الله الأرض غير الأرض والسموات كما قال تعالى ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (إبراهيم: ٤٨) . ^(٢)

(١) انظر الجامع لاحكام القرآن ، ج١٣ ، ص٢٥٢ .

(٢) انظر التفسير المنير ، ج٢٠ ، ص٤٢ .

المبحث التاسع

الشورى

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الشورى وأهميتها .

ويشتمل على خمس مسائل :

المسألة الأولى : تعريف الشورى .

المسألة الثانية : أهمية الشورى .

المسألة الثالثة : حكم الشورى في الإسلام .

المسألة الرابعة : كيفية الشورى .

المسألة الخامسة : مجالات الشورى .

المطلب الثاني : فوائد الشورى .

المطلب الثالث : الفرق بين الشورى والديمقراطية .

التمهيد : الشورى ضرورة بشرية :

لما كانت القيادة البشرية - مهما بلغت من الرشد والحصانة - تبقى بشرية خاضعة للعوامل الإنسانية من عجز أو قصور أو هوى ، لذلك فإن المنهج القويم الذي وضعه الإسلام لهذه القيادة وارتضاه الله لعباده وأمر رسوله ﷺ توجيهاً له ولمن سيلي أمر المسلمين من بعده به ، وجعله صفة لازمة للمسلمين تتبع من إيمانهم وعقيدهم ، و دعا إلى الأخذ به قادة الأمة ومسؤوليها في جميع شؤون الحياة بشكل عملي وفعال ومبينا مرونته كنص تشريعي لا جمود فيه ولا قيود وإنما هو تدريب علي تحمل المسؤولية وتربية على الحرية في إبداء الرأي خالصاً لله ، وإفساح المجال لتلاقي الأفكار واستخلاص ما صلح فيها .

إذن فمبدأ الشورى يتنافى مع الاستبداد الفردي ويتعارض مع الارتجالية في كل عمل يهدف إليه الفرد أو الجماعة .

فمبدأ الشورى في الإسلام إلزامي لا يجوز العدول عنه وذلك لقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ (الأنفال: ٢٤) .

والاستجابة لله ولرسوله بالتمسك بما شرع الله لعباده من تنفيذ أوامره واجتتاب نواهيه ، ومما أمر به الله مبدأ الشورى ، قال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَكَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ (آل عمران: ١٥٩) .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ (الشورى: ٣٨) (١) .

لقد أقر القرآن الكريم على ملكة سبأ مبدأ الشورى الذي اتخذته والتزمت به عند اتخاذ القرار ، قال تعالى : ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ وقال تعالى على لسان بلقيس : ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي

(١) انظر الشورى في الإسلام للمحامي محمود بابلي ، ص ٢٠-٢١ .

مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونَ * قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأَوْلُو بِأْسٍ شَدِيدٍ
وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ * قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا
وَجَعَلُوا أَعزَّةَ أَهْلِهَا أَذَلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ
يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿ (النمل ٣٢-٣٥) .

بينت الآيات التي نقلها القرآن الكريم عن كتاب سليمان ﷺ الذي يدعوها
به إلى الإيمان بالله تعالى ، شاورت بلقيس من حولها مبينة أن كتاباً عظيماً وصل
إليها على غير العادة في قولها ﴿ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّْ ﴾ ، أي بإلقاء ملق على وجه
غريب وفيه كلام وجيز جامع.

لم تعهد مثله من جهة المرسل والرسول والافتتاح بالاسم الأعظم ، إلى
ماله من وجازة اللفظ وبلوغ المعنى وأنه من سليمان ﷺ يدعوهم أن يأتوا
منقادين خاضعين .

شاورت الملكة من حولها ، تحاورهم وتشاورهم في كل جليل وحقير
فكيف بهذا الأمر الخطير ، فطلبت منهم استعطافاً لهم وتعظيماً لشرفهم ﴿ قَالَتْ
يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونَ ﴾ وهذا دليل
على غزارة عقلها وحسن أدبها وبذلك جنت ثمرة ذلك طاعتهم لها في المنشط
والمكره فكان ردهم نحن أولوا قوة أي بالمال والرجال وعزم في الحرب والأمر
إليك في اتخاذ القرار ، ولما علمت أن من سخر له الطير وغيره لا يعجزه شيء
يريده ولا أحد يكيده فمالت إلى المسالمة فقالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها
بالتخريب وجعلوا أعزة أهلها أذلة بما يرونهم من البأس والسطوة ، ثم أكدت هذا
المعنى بقولها وكذلك يفعلون في مثل هذا الفعل الوعر فالإفساد عادتهم المستمرة
ولما بينت ما في المصادمة من الخطر أتبعته بما عزمت عليه من المسالمة فقالت
وإني مرسلَةٌ إليهم بهدية تقع منهم موقِعاً فَنَاظِرَةٌ عقب ذلك بم يرجع المرسلون
بتلك الهدية من المقال أو الحال فنعمل بعد ذلك على حسب ما نراه من أمره .
فكان رد سليمان ﷺ أتمدونني بمال فما أتاني الله خير مما آتاكم ، وكل ما أريده
منكم هو طاعة الله وليس هداياكم ، ارجع أيها الرسول إلى ملكتك وأخبرها

بأنا سنأتي لها بجنود لا قبل لها بمقاومتهم ولنخرجهم من بلادهم أذلة وهم صاغرون لا يملكون شيئاً من المنعة إن لم يقروا بالإسلام (١) .

مضت الملكة ومن معها إلى سليمان عليه السلام لتحاوره وتسمع منه فرأت من المعجزات ما أبهرها فبادرت إلى طاعته علماً بأنه رسول الله وقالت يا أيها المحسن إليّ وإنّي ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان عليه السلام الله رب العالمين .
فله درها ما أعلمها، وأطيب أعراقها وأكرمها وصلت إلى مرشد الأمور وذلك نتيجة مشورتها مع قادتها ؛ لأنه ما تشاور قوم إلا هدوا إلى أرشد أمرهم : (٢)

فالقيادة الحكيمة الراشدة لن تتعدم في أية أمة - أخلصت الله عبوديتها وترعرعت على دعوته والتزمت بمنهاجه - إلى أصوب الأمور وأحسنها (٣) .
فالحكم الإسلامي قائم على الشورى وكل حكم لا يتخذ الشورى مبدأ له لا يكون إسلامياً لمخالفته مبدأ أساسياً من مبادئ التشريع الإسلامي . (٤)

المطلب الأول الشورى وأهميتها في الإسلام

المسألة الأولى : تعريف الشورى :

الشورى لغة : من الفعل " شار " بمعنى "جنى" يقال "شار العسل " بمعنى جمعة وجناه، ومنه المشورة والشورى : هي طلب رأي الغير في أمر من الأمور (٥) .
وفي الاصطلاح : عدم الانفراد بالتصرف قبل معرفة ما للأمر وما عليه عند مراجعة الغير فيه وهو أن يبدي كل مستشار رأيه حراً مختاراً ينطق به ويؤيده ويدعو إليه ويجادل فيه غير وان ولا مقصر ولا يجامل ولا يمالئ (٦) .

(١) انظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، ج ٥ ، ص ٤٢٣-٤٢٦ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٤٣٠ .

(٣) انظر الشورى في الإسلام ، د. محمود بابللي ، ص ١٨ .

(٤) انظر المصدر السابق ، ص ٥٠ .

(٥) مختار الصحاح للامام الرازي ، ج ١ ، ص .

(٦) الشورى في الإسلام ، د. محمود بابللي ، ص ٢٨ .

فالشورى مبدأ يتنافى مع الاستبداد الفردي ويتعارض مع الارتجالية في كل عمل يهدف إليه الفرد أو الجماعة .

فملكة سبأ مع عظمتها وقوة شخصيتها تشاور من حولها ولا تقطع أمراً إلا على مشهدهم وحضورهم ، لذا كانت تحكمهم برضاهم وتصل بهم إلى مرشد الأمور .

فالحكم الإسلامي قائم على الشورى وكل حكم لا يتخذ الشورى مبدءاً له لا يكون حكمه إسلامياً لمخالفته مبدأً أساسياً من مبادئ التشريع الإسلامي. (١)

المسألة الثانية : أهمية الشورى :

١- تكمن أهمية الشورى في أنها إحدى القواعد الأساسية التي تضي على نظام الحكم مشروعية من وجهة نظر التشريع الإسلامي حيث إنها مظهر عظيم من مظاهر حرية التعبير عن الرأي في كل أمر يتعلق بالجماعة .

٢- فالشورى هي طريق من طرق تحقيق الألفة والمحبة بين أفراد الجماعة نظراً لما يشعره كل فرد من أهمية عندما يطلب منه المشاركة في كل ما يتعلق بهذه الجماعة وانتمائه إليها. (٢)

٣- الشورى تدرب العقول سبر الأمور وتفحصها وتمحيصها ومعرفة غنها من سمينها عن طريق النظر في الأمور المطروحة على الناس . (٣)

٤- الشورى طريق من طرق الوحدة الإسلامية عن طريق عرض المشاكل العامة للمجتمع ومشاركة الجميع في حلها (٤) .

المسألة الثالثة : حكم الشورى في الإسلام :

الشورى واجبة في الإسلام لما يلي :

١- قوله تعالى ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ (آل عمران: ١٥).

(١) الشورى في الإسلام ، د. محمود با بللي ، ص ٥٠ .

(٢) انظر الشورى في الإسلام ، د. محمود با بللي ، ص ٢٣-٢٧ .

(٣) انظر جامع الاحكام ، ج ٤ ، ص ٢٦٢ .

(٤) انظر نشأة الفكر السياسي وتطوره في الإسلام ، تأليف د. محمد جلال شرف ، ص ٣٠ .

٢- إذا كان الرسول ﷺ مأموراً بمقتضى هذه الآية بالشورى وهو معصوم بالوحي فتكون الشورى أكثر وجوباً بالنسبة لغيره . (١)

المسألة الرابعة : كيفية الشورى :

الإسلام لم يحدد شكلاً معيناً لنظام الحكم لئلا يفرض على الناس نظاماً لزمان بعينه دون زمن . من أجل ذلك لم يحدد شكلاً معيناً حيث شاور النبي ﷺ أصحابه بطرق مختلفة . فقد يشير عليه الرجل الواحد فيرى رأيه صواباً فيأخذ به وأحياناً يستشير أناساً معينين كأبي بكر وعمر وأحياناً يشاور الناس عن طريق ممثليهم .

وبناء على ذلك يصح إجراء الشورى بكل طريق مناسبة لا تتعارض مع روح التشريع الإسلامي ومقاصده . (٢)

المسألة الخامسة : مجالات الشورى :

١- شورى عامة : وتكون في الأمور الخطيرة والتي تتعلق بالوضع العام للدولة كالاستشارة للحرب أو عقد المعاهدات ، واختيار نظام الحكم أو تعيين رئيس الدولة أو محاسبته أو عزله .

٢- شورى خاصة : وهي ما كان من أمور التشريع الدقيقة التي تتطلب مختصين في كل مجال على حدة بحسب الواقعة المعروضة كالصحة والتعليم والمواصلات فهذه الأمور لا يقول فيها إلا أصحاب الاختصاص . (٣)

المطلب الثاني

فوائد الشورى

(١) انظر الشورى في الإسلام ، الاستاذ عبدالغني بركة ، ص ١٢ .

(٢) انظر النظم الإسلامية ، د . أحمد شويديح ، ص ٢٤٣ .

(٣) انظر النظم الإسلامية ، د . أحمد شويديح ، ص ٢٤٣ .

- ١- مبدأ الشورى دعوة إلى الأصح في كل الأمور ، وتحري لتحقيقه من كل الوجوه وتحمية للمسؤولية الفردية ودعم للجماعة أثناء الأزمات .
- ٢- الشورى تدريب عملي على تحمل المسؤولية وتربية على الحرية في إبداء الرأي خالصا لله وإفساح المجال لتلاقى الأفكار واستخلاص ما صلح منها .
- ٣- الشورى تؤدي إلى تطيب النفوس وازهاب للأضغان. (١)
- ٤- الشورى نوع من النصيحة وتخليص الذمة من فريضة قول الحق وهذا منتهى الحرية والرأي ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ "المستشار مؤتمن" (٢) ، وقال ﷺ : ومن استشار أخوه فأشار عليه بغير رشده فقد خانه ومن أفتى بفتيا غير ثبت فإنما إثمه على من أفتاه . (٣)
- * الشورى في جميع الأحوال لا تعدم فائدة في تطبيقها فأما تثبيت صاحب الرأي على رأيه ، أو كشف الضعف أو التعرف على آراء الغير في هذه المشكلة وما عندهم من آراء حولها أو حلول لها .
- * الشورى صفة خاصة للمؤمنين وبهذه الصفة وبأمثالها يعتبرون خير أمة أخرجت للناس بمبادئها ونظمها وأعرافها ما تمسكوا بتعاليمهم هذه وأحسنوا تمثلها تطبيقاً (٤) .
- * الشورى واجبة التطبيق وان كانت غير ملزمة في نتائجها للحاكم . (٥)

المطلب الثالث

الفرق بين الشورى والديمقراطية

الشورى في الإسلام روح تسري في حياة الأمة الإسلامية لتحقيق سعادة الأمة في الدنيا والآخرة .

-
- (١) انظر الشورى في الإسلام ، د.محمود بابلي ، ص٢٦ .
 - (٢) كتاب السنن الكبرى ، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ ، ج ١٠ ، ص ١١٢ .
 - (٣) كتاب السنن الكبرى للبيهقي ، ج ١٠ ، ص ١١٢ .
 - (٤) انظر جامع الاحكام ، ج ٤ ، ص ٢٦٤ .
 - (٥) انظر نشأة الفكر السياسي وتطوره في الإسلام ، د. جمال شرف ، ص ٣٠ .

* الشورى أمر رباني حث عليه الشارع الحكيم ورسوله الكريم ﷺ وسارت عليه الأمة بعده .

* **الديمقراطية** : مجهود بشري ناتج عن طريق الصراعات الحزبية المتلاحقة التي ورثت النظام الحزبي لأنه كان ضرورة لها في أطوارها ضد الطغيان الملكي والكنائسي .

* الشورى مبادئها ثابتة بالكتاب والسنة ليس فيها تفاوت فهي شرعية واجبة على الأمة الإسلامية فهي كلٌ محكم من أظهر سماته الوحدة والتوحيد ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُون ﴾ .

* الديمقراطية مبادئها متفاوتة في وسائلها ، فكل لون يستهوي طائفة تحت لوائه فتكونت لذلك الأحزاب وكان لها أثر قي تثبيت هذه المبادئ ورفعها لتجد لها مكانا في الحياة .

* **الشورى في الإسلام** : المسلم مسؤول أولاً وقبل كل شيء أمام ربه دون التقيد برأي فرد أو جماعة ، فالمسلم يسير وراء الحق ويقف وراءه وينصره ويدافع عنه مبتغيا وجه الله.

* **الديمقراطية** : نظام حزبي يجعل العضو ملتزماً برأي الحزب وحكمه على الأمور التي تعرض على المجلس وليس له الخروج عليه ، فصورة المعارضة في النظام الديمقراطي عبارة عن وقوف أحزاب الأقلية البعيدة عن كرسي الحكم في وجه حزب الأغلبية المتوخى في الدولة ، وخرجت المسألة عن أن تكون بحثا عن الأصح للأمة إلى انتهاز الفرصة بالحق والباطل لإخضاع الخصم والتشهير به وإخراج مركزه لكل رأي يبيده لأن الموافقة عليه تقوية للخصم . (١)

(١) انظر الشورى في الإسلام ، محمد بركة ، ص ٩٦-٩٧ .

المبحث العاشر

الناصحون

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : النَّملة .

المطلب الثاني : الهدد .

المطلب الثالث : الحكمة بلقيس .

المطلب الأول

النملة (*)

وفيه تمهيد ، وخمس مسائل :

التمهيد : ويشتمل على تعريف بالنملة والحكمة من وجودها .

المسألة الأولى : لغة الحيوان .

المسألة الثانية : ظن النمل بالإنسان .

المسألة الثالثة : أنواع النمل .

المسألة الرابعة : صفات النمل والدروس المستفادة .

المسألة الخامسة : حكم قتل النمل .

التمهيد :

يعتبر النمل من أهم الأمم التي عني بها القرآن وخذ ذكرها في محكم آياته حيث سمي سورة من سور القرآن باسمه وهي سورة النمل وأكد لها لغة تخاطب فيما بينها قال تعالى : ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (النمل: ١٨) (١) .

الحكمة من وجود النمل : ربما فكر كثير من الناس في حشرة من الحشرات كالنملة وقالوا ما الحكمة من وجودها ؟ ولو فكروا في عظيم القدرة ، وجسيم النعمة ، لرجعوا إلى الطريق وخافوا عذاب الحريق ولكن القلوب عليلة والبصائر مدخولة (٢) ألا ينظرون إلى صغير ما خلق كيف أحكم خلقه وأتقن تركيبه ، وخلق له السمع والبصر ، وسوى له العظم والبشر (٣) .

قال أبو حامد الغزالي : ألهمت حفر بيوتها في الأرض ، وتقصد إلى قوتها فتقسمه خشية أن ينبت بنداوة الأرض ، فإذا أصاب الحب بلل أخرجه فنشرته حتى يجف ، ثم إنها تتخذ البيوت فيما علا من الأرض خوفاً من السيل أن يغرقها (٤) .

قال الإمام علي ؑ : انظروا إلى النملة في صغر جثتها ولطافة هيئتها ، لا تكاد تتال بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر ، كيف دبّت على أرضها ، وصبّت على رزقها (٥) تنقل الحبة إلى جحرها ، وتعدّها في مستقرها ، تجمع في حرّها لبردها ، وفي وردها لصدّها (٦) ، مكفولة برزقها ، مرزوقة بوقفها (٧) ، لا يغفلها

(*) سميت النملة نملة لتتملها وهوكثر تحركتها وقلة قرارها ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٣ ، ص ١٨٠ .

(١) انظر القرآن وعالم الحيوان ، د. محمد محمود عبد الله ، ص ٧٠ .

(٢) مدخولة : أي معيبة ، شرح نهج البلاغة ، ص ٥٧ .

(٣) البشر : ظاهر الجلد ، انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ص ٥٦ .

(٤) انظر الحكمة لأبي حامد الغزالي ، ص ١١٢ .

(٥) وصبت على رزقها : أي كيف همت حتى انصبت على رزقها انصباباً ، شرح نهج البلاغة ، ص ٥٧ .

(٦) في وردها لصدّها : أي تجمع من أيام التمكين من الحركة لأيام العجز عنها وذلك لان النمل يظهر صيفاً

ويختفي في الشتاء لعجزه من ملاقة البرد ، المصدر السابق ، ص ٥٧ .

(٧) مرزوقة بوقفها : أي بقدر كفايتها ، نفس المصدر ، ص ٥٧ .

المنان ولا يحرّمها الديان ،ولو في الصّقا اليابس والحجر الجامس (١) ، ولو فكرت في مجاري أكلها وفي علوها وسفلها ، وما في الجوف من شراسيف (٢) بطنها وما في الرأس من عينها وأذنها، لقضيت من خلقها عجباً ! ولقيت من وصفها تعباً ، فتعالى الذي أقامها على قوائمها ،وبناها على دعائمها ، لم يشركه في فطرتها فاطر ولم يُعنه على خلقها قادر .

ولو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته ،مادلتك الدلالة إلا على أن فاطر النملة هو فاطر النحلة ، لدقيق تفصيل كل شيء وغامض اختلاف كل حي وما الجليل واللطيفُ والثقيل والخفيف والقوي والضعيف في خلقه إلا سواء . (٣)

المسألة الأولى : لغة الحيوان :

لقد اهتم العلماء بدراسة لغة الحيوان وكانت نتيجة الدراسة أن أجمعوا على أن للحيوانات والحشرات وسيلة تخاطب وتفاهم فيما بينها ، وإن كانت هذه اللغة لا تظهر جلية للإنسان ،أي أن الإنسان لا يستطيع ترجمة هذه اللغات لأنها من علم الله تعالى المكنون الذي لا يعلمه إلا هو وَمَنْ اصْطَفَىٰ فَكَشَفْنَا عَنْهُ الْحِجَابَ كَمَا هُوَ الْحَالُ مَعَ نَبِيِّ اللَّهِ سَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . لا شك في أنه لكل كائن لغة سواء كان جماداً أو شجراً أو نباتاً أو حيواناً أو طيراً ؛ لأن القاعدة العامة أن الكائنات في الوجود تسبح بحمد الله المعبود ، دل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (الإسراء: ٤٤) .

وهل كان التسبيح إلا لغة ، وهل اللغة إلا نطق وهل النطق إلا كلام ،ولكن نسبة العجز واقعة في الإنسان بقوله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ .

كما أثبت التنزيل أن السموات والأرض ومن فيهن تسبح هي الأخرى لله عز وجل وعلا ﴿ تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (الإسراء: ٤٤) .

(١) الحجر الجامس : الجامد ، نفس المصدر ، ص ٥٧ .

(٢) شراسيف : أطراف الأضلاع المشرفة على البطن ، نفس المصدر ، ص ٥٧ .

(٣) انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ص ٥٦ .

فالإنسان يفنقر إلى خاصية كشف الحجب حتى يمكنه معرفة بعض أسرار
نطق هذه الكائنات (١) .

فأما ما وهبه الله لسليمان عليه السلام ، فكان شأناً خاصاً به على طريق الخارقة
التي تخالف مألوف البشر ، لا على طريق المحاولة منه والاجتهاد لتفهم وسائل
الطير وغيره في التفاهم .

المسألة الثانية : ظن النمل بالإنسان :

لقد أثبت التنزيل حسن ظن النمل بالإنسان في قوله تعالى : ﴿ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ
سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (النمل : ١٨) ، فقد دعت النملة قومها إلى
الدخول إلى مساكنهم خشية أن يحطمهم سليمان وجنوده دون قصد وشعور منهم ،
ولهذا أثبتت النملة حسن ظن النمل بالإنسان .

وهذا يدل على حسن خلق النمل مع الإنسان ، فكيف يكون مع بني جنسه
وغيره من الكائنات وهل عرف هذا إلا بعد نزول القرآن بأربعة عشر قرناً من
الزمن ، وبعد دراسة سلوك النمل ومراقبة حركاته ، والتمكن من تشريح جسمه
واختبار أجهزته ، والوقوف على أجهزته ووظائفها .

ومن خلال الدراسات توصل العلم إلى حقيقة قررها عالم النمل "موريس
مار لينك" يقول : "إن النملة هي بلا منازع أنبل وأسخى وأشجع وأخلص وأكثر
مخلوقات هذه الدنيا إثارة للغير . إن النمل لا يقترض ولكنها تقدم كل ما لديها .
دون تحفظ أو تدبير أو تفكير كما أنها لا تطلب الوفاء أبداً ، أي تعطي ولا تنتظر
مقابلاً للعطاء .

وما زال العلم يبحث ويسعى ويجد ليضيف الجديد من العلم إلى عالم النمل
وفي ذلك دعوة للإيمان بالله العظيم مبدع الأكوان . (٢)

المسألة الثالثة : أنواع النمل كما ذكرت في القرآن :

ذكر القرآن الكريم نوعين من النمل :

(١) انظر القرآن وعالم الحيوان ، ص ٦٥-٦٦ .

(٢) انظر القرآن وعالم الحيوان ، ص ٧٠-٧٢ .

فالأول : الذي ذكره القرآن في سورة النمل ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ ﴾ (النمل: ١٨) فهذا النوع اجتماعي ولا يمثل خطراً على الإنسان .

النوع الثاني : ما يسمى بالنمل الأبيض وهو "الأرضة" فهو مجتمع خطير يعمل في السر والأعماق . فهو يسير في الأرض ٣٠ متراً إلى ٤٥ متراً ، فهو يهدم ويدمر ، وقد تنبّهت كثير من الدول في العصر الحالي كفرنسا وألمانيا وبريطانيا والهند واليونسكو من أجل القضاء عليه وتحت عنوان بلدة تلتهمها حشرة .

نشرت جريدة الجهاد أول يوليو سنة ١٩٣٦م : أنشئت مساكن "بر سبق" التابعة لمركز "أبي حمص- بحيرة" على كوم قديم به مقابر عتيقة ومنذ زمن ليس ببعيد تفشت في مساكنها حشرة أو دويبة صغيرة يقال لها الأرضة أو النمل الأبيض وتكاثرت بدرجة مخيفة وجعلت تلتهم من المحصولات وآلات الزراعة والثياب ولم تبق على شيء ، ولا يمكن مكافحتها لأنها تعيش في أنفاق وسرادب تحت جدران البيوت ولها قرى في أغوار الأرض تحت المساكن ، ولها ملكات تبيض الواحدة منها بيضة في كل ثانية ، فهي لذلك لا يمكن مكافحتها ، أو التخفيف من ضررها والعلاج الوحيد هو النزوح بعيداً عنها وتركها . (١)

المسألة الرابعة : صفات النمل والدروس المستفادة :

يتمتع النمل بصفات عدة ومنها :

١- **الصبر والجلد :** فهي غريبة في جديتها وجلدها ، فعند بناء البيوت تجتمع

النمل وتبني بيتها تحت الأرض بما يشبه المدينة من تهوية وغرف ضيوف

ولو هدم مرات لأعادته حتى يستقيم . (٢)

* يُروى أن قائداً ميدانياً دخل المعركة فهُزم وتفرق جيشه ، فما كان إلا أن ذهب

إلى مغارة مهموماً على جيشه الذي تفرق وذهب إلى بلده وإذا بنملة تريد أن

تصعد جداراً فتسقط مرات والقائد ينظر حتى عد سبعة عشر مرة وصعدت .

(١) انظر قصص الأنبياء للشيخ النجار ، ص ٣٤٤ .

(٢) انظر الأساس في التفسير ، ج ٧ ، ص ٤٠٠١ .

نزل القائد من المغارة ، وجمع جيشه وتعاهدوا على الموت أو النصر فدخلوا المعركة فانتصروا ، وفي هذا درس للقيادة في الصبر والجلد والمحاولة المستمرة حتى النصر . (١)

٢- **مملكة النمل مجتمع مثالي** : نشيط عامل لا مكان فيه لكسول أو متخاذل ولا مكان فيه للكذب فهذه قصة تظهر ذلك . جاء رجل بقطعة من الحلوى فجاءت نملة وأرسلت إشارة عن طريق القرنين "مركز الاستشعار" فجاءت النملات إليها فقام الرجل برفع قطعة الحلوى فلم تجد قطعة الحلوى وانصرفت ، وبقيت النملة ، فجاء الرجل ووضع قطعة الحلوى فأرسلت النملة إشارة لأخواتها فجاءت ، فلما جاءت وقفت ولم تجد قطعة الحلوى ، صدمت النملات ثم رجعن ، فجاء الرجل ووضع قطعة الحلوى فجاءت النملات فلم تجد قطعة الحلوى ، وحين ذلك وقعت الصدمة ، فقد أعذر من أنذر ، مرة أولى عذر وثانية وهَم ، وثالثة إذن كذب فقامت النملات بقتل النملة وذهبت إلى البيت وفي ذلك وجوب محاربة الكذب بثتى الوسائل .

إذا كان لا مكان للكذب في عالم النمل فمن باب أولى أن يكون كذلك في عالم الإنس . (٢)

٣- **التعاون** : في عالم النمل صفة التعاون واضحة في بناء البيوت ، ونقل الطعام ، فربما أكل الإنسان الجراد أو بعض ما يشبه الجراد فيسقط من يده الواحدة أو صدر واحدة . وليس بقربه ذرة ، ولا له عهد بالذر في ذلك المنزل فلا يلبث أن تقبل ذرة قاصدة إلى تلك الجرادة . فترومها وتحاول نقلها وجرها إلى جحرها فإذا أعجزتها بعد أن تبلى عذراً مضت إلى جحرها راجعة ، فلا يلبث ذلك الإنسان أن يجدها قد أقبلت وخلفها كالخييط الأسود

(١) شريط مسجل عن النملة للشيخ ناصر بن سليمان العمر .

(٢) انظر القرآن وعالم الحيوان ، ص ٦٥-٦٧ .

الممدود حتى يتعاونَ عليها فيحملنها ، ثم انظر إلى بُعد الهمة والجرأة على محاولة نقل شيء في وزن حجمها مائة مرة وأكثر . (١)

٤- **الترتيب والتنظيم** : ثبت علمياً التنظيم والترتيب في مجتمع النمل حيث لا مكان للفوضى في حياته ، فهو مجتمع منظم مرتب يعمل من الصباح حتى المساء ثم ينام ، وبيوت النمل مقسمة إلى غرف ومستودع فالغرف للنوم وللضيوف ، وللتهوية ، وأعشاش النمل توجد تحت الأرض ، ويحتوي العش عادة على عدد من الطوابق قد تصل إلى عشرين طابقاً في جزئه الأعلى وعلى عدد مماثل من الطوابق تحت سطح الأرض . ولكل طابق غرض خاص تحدده درجة الحرارة .

الأكثر دقناً للصغار فهو نظام معماري هندسي عجيب إذ يعيش هذا العالم بطريقة يحار فيها عقل وقدرات وفكر البشر (٢) .

والنمل داخل المملكة يتكون من أربعة أقسام :

- ١- ملكة لوضع البيض .
 - ٢- عساكر حماية للنمل ولببوت النمل .
 - ٣- الوصيفات - حماية الملكة وتبليغ أوامرها .
 - ٤- الشغالات عملها في الداخل والخارج .
- وكل نوع منظم لا يتعدى على عمل غيره إلا عند الخطر تجتمع جميعها أمام الخطر أو هدم بيوتها (٣) .

٥- **وحدة الموقف وخاصة أمام الأعداء** : دخل ثعبان كبير وطويل على واد النمل . أحست النمل بالخطر فدخلت النملات جحورها وتشاورت فيما بينها فانطلقت بأعداد كبيرة حوالي (٣٠) ألفاً نحو الثعبان الذي أخرج أنيابه ولكن دون جدوى ليسقط جثة هامة .

(١) انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ص ٥٩ .

(٢) انظر القرآن وعالم الحيوان ، ص ٦٧-٦٨ .

(٣) انظر الأساسي في التفسير ، ج ٧ ، ص ٤٠٠١ .

فالأمة الإسلامية والعربية أكثر من مليار نسمة ، ولكنهم متفرقون ،
لذا لا يمثلون خطراً على العدو الصهيوني .

فلو اجتمع المسلمون في صف واحد أمام عدوٍ ضعيف لانتصروا عليه .

٦- **النظافة** : ثبت أن النملة تنظف نفسها يومياً ما يقارب من عشرين مرة ، فهو
إذن مجتمع نظيف .

٧- **التضحية** : حيث لا مكان للأناية في مجتمع النمل . مجتمع شعاره التضحية
مجتمع ناجح فالفرد في عالم النمل يضحي من أجل المجموعة ، فإذا أرادت
أن تمر على عائق مائي تتشابك النمل حتى تصل إلى الطرف الثاني وتمر
بأقي النملات فوق الجسر حتى تصل إلى ما تريد (١) .

٨- **النملة حشرة اجتماعية** : فبعض أنواع النمل يأتي القملة منه بحبوب صغيرة
لإطعام غيرها في خلال فصل الشتاء . (٢)

٩- **إنها مجتمع مسبح لله تعالى** : فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ "أن
نملة قرصت نبياً من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرقته ، فأوحى الله إليه أفي
أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح . (٣)

١٠- **النمل حيوان فطن قوي** : شمام جدا يدخر ويتخذ القرى ويشق الحب
بقطعتين لئلا يذوب ويشق الكزبرة بأربع قطع لأنها تنبت إذا قسمت شقتين
ويأكل في عامه نصف ما جمع (٤) .

المسألة الخامسة : حكم قتل النمل :

ترجم الإمام مسلم في صحيحه باب النهي عن قتل النمل . واستدل
بالحديث السابق .

(١) شريط مسجل عنوانه النملة للشيخ ناصر بن سليمان العمر .

(٢) انظر العلم يدعو للايمان تأليف كريس موريسون ترجمة محمود الفلكي ، ص ٨٩ ، وانظر بهجة المعرفة
موسوعة علمية مصورة المجموعة الأولى ، ص ٤ .

(٣) صحيح مسلم كتاب السلام باب النهي عن قتل النمل ج ٢٢٤١ ص ١٢٣١ .

(٤) انظر الجامع لاحكام القرآن ج ١٣ ص ١٨٤ .

يقول الإمام القرطبي رحمه الله "فإن من آذاك حل لك دفعه عن نفسك ، ولا أحد من خلقه أعظم حرمة من المؤمن ، وقد أبيح لك دفعه عنك بقتل وضرب على المقدار ، فكيف بالهوام والدواب التي قد سخرت لك وسلطت عليها فإذا آذاك أبيح لك قتله .

فقوله " ألا نملة واحدة " دليل على أن الذي يؤذي يؤذى ويقتل وكلما كان القتل لنفع أو دفع ضرر فلا بأس به عند العلماء . "فهلا نملة واحدة " أي هلا حرقت نملة واحدة ، وهذا بخلاف شرعنا فإن النبي ﷺ قد نهى عن التعذيب بالنار وقال "لا يعذب بالنار إلا الله ."

وقد كره الإمام مالك قتل النمل إلا أن يضر ولا يقدر على دفعه إلا بالقتل . (١)

المطلب الثاني

الهدد

ويشتمل على تمهيد ، وخمس مسائل :

المسألة الأولى : لغة الطير .

المسألة الثانية : عدالة سليمان ﷺ .

المسألة الثالثة : الهدد في صفوف المجاهدين .

المسألة الرابعة : الهدد يقدم حجته لسليمان ﷺ لغيابه .

المسألة الخامسة : الهدد الداعي إلى الله ، والدروس المستفادة .

المطلب الثاني

الهدد الناصح لغير جنسه

ويشتمل على :

التمهيد : وفيه تعريف بالهدد :

(١) انظر المصدر السابق ج١٣ ص١٨٣-١٨٥ ..

لقد كرم الله سبحانه وتعالى الهدهد بذكره في القرآن الكريم في صورة الداعي للحق المجد المجتهد في طريق الدعوة إلى الله . صاحب الهم على غير جنسه من الكفار المتفكر لهم بالهداية والإيمان المضحي بوقته وجهده ونفسه من أجل أن يعبد الله في كل مكان حتى لا يبقى شقي ولا محروم من رحمة الله .

هذا هو الهدهد الطائر الصغير الناصح لله عنوان للدعاة في العطاء إذ كيف سار الهدهد بمفرده ودون تكليف مسبق أو تنفيذ لأمر صادر حيث جلب خبراً للقيادة المؤمنة أدى إلى دخول أمة كاملة في الإسلام ، وذلك يرجع إلى فضل الله وجهود القيادة الحكيمة المتفقدة للرعية المحاسبة بالحزم لها القابلة للحوار والأعدار ، فكل ذلك من أسس الإدارة السليمة المرتكزة على التخطيط والانضباط في منهج التربية^(١) .

قال ابن باديس قد شارك الحيوان الإنسان في الإدراك والتمييز وبلغ إدراكه إلى معرفة وجود خالقه ورازقه ، ولكن الإنسان يمتاز عنه بقوة التحليل لكل ما يصل إلى حسه وإدراكه .

فإدراك الحيوان فطري يعطاه من أول الخلق ، والإنسان يعطى الإدراك الإجمالي . ثم بتلك القوة يتسع أفق إدراكه ، ويستمر في درجات التقدم^(٢) .

المسألة الأولى : لغة الطير :

قال الشيخ عبد الوهاب النجار : "والذين لهم مراقبة للحيوان والطيور يجدون أصواتها تتكيف بكيفيات مختلفة باختلاف حاجاتها ومطالبها ، فمواء الهرة المحبوسة غير موائها إذا طلبت السفاد و الطعام أو الماء ، فلكل صوت كيفيات ونبرات ليست في الصوت الآخر يفهمه عنها أبناء جنسها .

قال الشيخ النجار : أخبرني صديقي الشيخ أحمد عمر السكندري : إن أطفالاً ألقوا في بيته حداً بعد أن عبثوا بها ونهكوا قوتها ، ورضوا عظمها ،

(١) انظر الإيجابية في حياة الداعية للدكتور عادل الشويخ ، ص ١٢ .

(٢) انظر تفسير ابن باديس ، ص ٢٥٨ .

فألقاها أولاده فوق السطح .فكان يصدر عنها صوت خاص كلما رأت الحدأ ، فكنَّ يحمن عليها وفي كل يوم يلقين إليها الطعام من عظام بها بعض اللحم ، وأرجل دجاج ونحوه مما يرزقهن الله ، وكان أولاده يقدمون لها الماء ، وبعض الأكل إلى أن قويت وطارت ، وعلى كل فإدراك كل صوت من الطير وما يقصد به لم يكن إلا هبة من الله تعالى يختص بها من يشاء من عباده وقد وهبها الله سليمان عليه السلام . (١)

فقد توسعت دائرة الاختصاص في عصرنا ، والتتبع الدقيق من قبل المختصين لكل جانب من جوانب الكون مما أعطانا تصورا واسعا عن عالم الحيوان ، وطرق تخاطبه ولغاته والقوانين السائدة عند كل جنس من أجناسه ، فالقرآن يعرض من خلال قصة سليمان عليه السلام ما يشير إلى مثل هذه المعاني لدليل على أن هذا القرآن فيه تبيان كل شيء ، وعلى أن منزله هو الذي يعلم السر في السموات والأرض (٢) ، وسيختار الباحث بعض النقول عن الطيور والنمل لنرى فيها بعض مظاهر الأعجاز .

نشرت جريدة الأهرام في عددها الصادر الأحد ٤ من فبراير سنة ١٩٣٧م ما يلي :

لغة الطير : كشف عالم ألماني : بعد ملاحظات دقيقة وصبر طويل - أثراً لم ينتبه إليه أحد قبله وهو أن الطيور لا تصدح فقط ولكنها تتكلم ، ولها على مثال البشر لهجات خاصة ، مثال ذلك أن الشحورور النمساوي لا يفهم لهجة الشحورور الفرنسي ولا يفهم لهجة الشحورور الإنكليزي . (٣)

المسألة الثانية : عدالة سليمان عليه السلام :

في أول أيام سليمان عليه السلام تفضل الله تعالى بتعليمه لغة الطيور وغيرها فقد فهم منطق النملة ، فقام خطيباً في شعبه قائلاً : ﴿ **عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ** ﴾ (النمل: ١٦) فقد كانت هذه المنة وهي تعليم

(١) قصص الأنبياء للشيخ النجار ، ص ٣١٧.

(٢) الأساس في التفسير ، ج ٧ ، ص ٤٠٠٠.

(٣) انظر قصص الأنبياء للشيخ النجار ، ص ٣١٨.

سليمان عليه السلام من غير معلم بشري ، ولكن المعلم هو الله الذي علمه منطق الطير وتصويتها التي تتمشى مع خطة العمل التي عزم أن ينفذها بين أفراد مملكته من الطير والحيوانات ويوفر لهم طريق العدل والأمان حتى لا تعتدي الجوارح من الطيور على ضعيفها ولا المفترس من الحيوانات على أليفها وهذا الفضل لم يؤته أحدا من قبله . (١)

ولما كان سليمان عليه السلام ملكاً حكيماً فقد استن مع رعاياه من الإنس والجن والطيور والحيوانات أن يجتمع بممثلين من كل نوع منهم يوماً ليبحث في شئونها ويحكم فيما يعرض من قضايا أو خلافات بينهم ، فالإنس لهم يوم خاص كل شهر يجتمع بممثلين عن الشعب بالمدن والقرى والأقاليم يسنون القوانين ويضعون النظم السياسية والمالية للدولة حكومة وشعباً ثم يجتمع بممثلين عن الحيوانات الضاربة منها والأليفة . القوي منها والضعيف ، ويوقف كلاً منها عند حده وينزل العذاب على المعتدين ، ثم يجتمع بممثلين عن أنواع الطيور المختلفة ليقف على أمورها ويسمع شكاياتها ثم يجتمع بنواب الجن والشياطين وهؤلاء لا يراهم إلا سليمان عليه السلام ، فهذه المجالس النيابية التي يحضرها سليمان مع رعاياه من الإنس والجن والطيور والحيوانات فكل نوع من الطيور والحيوانات له لغة خاصة ، والجن كذلك .

هذا الجهد الجبار المتواصل الذي كان يقوم به سليمان عليه السلام في مملكة الحق والعدل والامان قال تعالى : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ .

لقد كان لسليمان عليه السلام جنود منتظمون في سلك عسكريته يجتمعون له عند الحاجة إليهم في سفر وغيره وهؤلاء الجنود من الجن والإنس والطيور معروفون ومعينون ، وكان لسليمان أعوان يعرفون أولئك الجنود وأماكنهم ويجمعونهم عند الحاجة .

(١) انظر اشهر النساء في التاريخ ، ص ٨٣ .

فلسطة سليمان عليه السلام على الجن وتسخيره لهم وسلطته على الطير وفهمه لها وفهمها له معجزة له وخصوصية ملك لا ينبغي لأحد من بعده . (١)

المسألة الثالثة : الهدد في صفوف المجاهدين :

هذه صورة تامة لنظام الجندية في ملك سليمان عليه السلام ، فقد كان الجنود يُسرحون من الخدمة ويجمعون عند الحاجة وكانت لهم هيئة تعرفهم وتضبطهم منعاً للاضطراب والإخلال والفوضى ، فقد كان لهذه الآية أثر بليغ في نفوس العرب لما اسلموا فسرعان ما تحولوا إلى جنود منظمة لم يعرفوها من قبل - وبقيت الآية على الدهر مذكرة لنا بأن النظام أساس كل مجتمع واجتماع ، وأن القوة والكثرة وحدهما لا تغنيان بدون نظام ، والنظام لا بد له من رجال أكفاء يقومون به ويحملون الجموع عليه وهم الوازعون .

وفي أحد الأيام طلب سليمان عليه السلام معرفة أحوال الطير فلم يجد الهدد وأخذ يتساءل فظن أن شيئاً ستره فلم يره ، وهذا من حق الرعية على راعيها أن يتفقدتها ويتعرف على أحوالها لأنه المسؤول عنها ، فلم يجد الهدد وعلم بغيابه من غير إذن فاقسم على معاقبته بالتعذيب أو الذبح إذا لم يأتيه بالحجة التي تبين عذره في غيبته هذا أصل في صرامة أحكام الجندية وشدتها لعظم المسؤولية التي تحملها ، وتوقف سلامة الجميع على القيام بها ، وعظم الخطر الذي يعم الجميع إذا أخل بها .

المسألة الرابعة : الهدد يقدم حجته لسليمان عليه السلام لغيابه :

كلف الهدد بما يستطيعه في مركزه ، ولكن جرمه بإخلاله بهذا الواجب كان كبيراً ، فإن الخلل الصغير مجلبة للخلل الكبير ، فقدرت عقوبته على حسب كبر ذنبه لا على صغر ذاته . (٢)

لم تطل غيبة الهدد عن مركزه في جنود سليمان عليه السلام . وكان السؤال عن سبب الغيبة وبدون إذن لأن الغياب إخلال بأحكام الجندية .

(١) انظر أشهر النساء في التاريخ ، ص ٨٦ .

(٢) انظر تفسير ابن باديس ، ص ٢٦٩ .

أسرع الهدد بالجواب والاعتذار عن الغيبة والدفاع عن نفسه فقال :
أحطت بما لم تحط به ، ففي مملكة سبأ خير خبير ذو شأن عظيم وهذا سبب
الغياب . (١)

فتقرير الهدد عن بلقيس الذي يوضحه قوله تعالى : ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً
تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ (النمل: ٢٣) وهذه الآية تشير
إلى الآتي :

أولاً : شخصية الملكة التي يغلب عليها القوة والتمكن في الملك والحكم وهذا
واضح في قوله تعالى ﴿ وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ﴾ فالتعبير يوحي بعظمة الملكة في
إدارة الحكم .

ثانياً : وصف ملكها بالقوة والرقى بأقصى ما يتيح الفهم لهذين المدلولين فقوة
الملك تتمثل في أنها ﴿ أُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ فالمملكة التي تحوي كل شيء لابد
وأن تكون بالغة القوة والمجد . وأما عن رقي هذا الملك وما اشتمل عليه من
حضارة فيتمثل في قوله تعالى ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ فعظمة العرش يوحي برقي
الصناعة وسمو الحضارة .

ثالثاً : وصف الحالة الدينية لها ولقومها ، وهو أهم ما يهم سليمان عليه السلام
فهم يعبدون الشمس من دون الله ، فكان رد سليمان عليه السلام ﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ
أَصْدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ فأمر بكتابة كتاب محوره هو دعوة إلى عبادة الله
وحده لا شريك له وأن تحضر طائفة مسلمة فسليمان عليه السلام لا يهمه الخضوع
السياسي والعسكري بقدر ما يهمه الخضوع الديني وبذلك استخدم معها أسلوب
الطريق السلمي أولاً. (٢)

فسبب سجودهم للشمس وتمكن الشيطان منهم الذي أعماهم فصرفهم عن
عبادة الله وتوحيده مع ظهور الدلائل ووضوح الآيات .
سلاح الشيطان وأصل الضلالة :

(١) انظر اشهر النساء في التاريخ ، ص ٨٦ .

(٢) انظر أسلوب المحاوره ، فتح القدير القرآن الكريم ، ص ١١٩-١٢١ .

محبة الإنسان نفسه غريزة من غرائزه وهو محتاج إليها ليجلب لنفسه حاجتها ويدفع عنها ما يضر بها ويسعى في تكميلها ، هذه هي الناحية النافعة والمفيدة من هذه الغريزة ولكنها من جهة أخرى هي مدخل من أعظم مداخل الشيطان على الإنسان ، فيحسن له أعماله وهو لمحبة نفسه يحب أعماله ويغتر بها فيذهب مع هواه في تلك الأعمال على غير هدى ولا بيان فيهلك هالكا بعيداً . فاستحسان المرء لأعماله هو أصل الضلالة ، وتزيين الشيطان لتلك الأعمال هو أحد أسلحة الشيطان .

الوقاية : أن يتهم المرء نفسه في كل ما تدعوه إليه ، وأن يزن جميع أعماله بميزان الشرع الدقيق خصوصاً ما تشتد رغبة فيه ويعظم حسنه في عينيه . (١)

المسألة الخامسة : الهدد الداعي إلى الله :

يَبِّنُ الْهَدْدُ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسْتَحَقُّ لِلسُّجُودِ لِأَنَّهُ يَنْزِلُ لَهُمْ مِنَ الْخَيْرَاتِ الْمَخْتَبِئَاتِ فِي السَّمَوَاتِ مِنْ أَمْطَارٍ وَفِي الْأَرْضِ مِنْ نَبَاتٍ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى عَظَمَتِهِ وَعِلْمِهِ جَلَّ جَلَالُهُ بِبُؤَاظِنِ الْأَشْيَاءِ وَظَوَاهِرِهَا .

وبذلك يكون وجوب السجود لله وتحريم السجود لغيره أو الانحناء لتعظيمه ثم بين الهدد صفات الله فقال ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ .

فذكر وحدانية الله الذي لا يعبد سواه ، ووحدانيته في الربوبية بانفراده في الخلق والملك والتصرف والتدبير لهذا الخلق العظيم .

حمل الهدد الخطاب من مملكة سليمان عليه السلام بفلسطين إلى إقليم سبأ بمملكة اليمن ، ودخل مخدع الملكة من إحدى النوافذ وألقى الهدد الخطاب بين يديها وهي جالسة على سريرها ففزعت في أول الأمر وقرأت ما بالكتاب وفهمت مضمونه فخرجت إلى شعبها تعرض عليهم كتاب سليمان عليه السلام . (٢)

جمعت بلقيس أمراءها ووزراءها وأكابر دولتها إلى مشورتها قالت ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ ثم قرأت عليهم عنوانه إنه من سليمان

(١) انظر تفسير ابن باديس ، ص ٤٧٥ .

(٢) انظر اشهر النساء في التاريخ ص ٨٧ .

ثم قرأته ﴿ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ (النمل: ٣١) ، ثم شاورتهم في أمرها وما قد حل بها تأدبت معها وخاطبتهم وهم يسمعون : ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴾ تعني ما كنت لأبت أمراً إلا وأنتم حاضرُونَ ﴿ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ فبذلوا لها السمع والطاعة وأخبروها بما عندهم من الاستطاعة وفوضوا إليها في ذلك الأمر لترى فيه ما هو الأرشد لها ولهم فكان رأيها أتم وأسدّ من رأيهم وعلمت أن صاحب هذا الكتاب لا يغالب ولا يخالف ولا يخادع ... وكان في نهاية المطاف أن أخذت أسلوب الامتثال الذي قادها إلى الهداية ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . (١)

الدروس المستفادة :

- ١- الهدهد يتفكر لغير جنسه بالهداية ويتفكر لهم بالنجاة من النار ، فحرم الشارع ذبح الهدهد وخذ موقفه في القرآن .
- ٢- الداعية مطالب بالعمل الإيجابي والسعي وراء المصالح والبحث عن الخير دون انتظار أوامر أو تعليمات .
- ٣- القيادة المسلمة مفتقرة إلى الأعوان من أجل نجاح العمل الدعوي ، فهذا نبي الله المؤيد بالوحي من جهة وسخرت له الجن والطير لم يكن قادراً على الإحاطة بجميع الأمور ولم يكن ملماً بجميع المعلومات فاحتاج إلى خبر من طائر صغير لنجاة أمة .
- ٤- نقل الأخبار لمن يهمله الأمر للوصول إلى المنافع العامة دون توانٍ أو تأخير .
- ٥- القيادة تتحرى في كل ما يصل إليها دون توانٍ لمعرفة الحق وإنصافه وإزالة الباطل وإفشاله . (٢)

(١) انظر قصص الأنبياء لابن كثير ، ص ٥١٣-٥١٦ .

(٢) الإيجاز في حياة الداعية ، ص ١٣-١٤ .

- ٦- لا مساومة على العقيدة .
- ٧- تميز الدعاة بالحزم في الأمور مع الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة .
- ٨- بيان عظمة الله للناس وإظهار معجزاته وقدراته التي بها الوصول إلى الهداية والنور .^(١)

المطلب الثالث

الحكيمة بلقيس

- وفيه تمهيد ، وتعريف عن مملكة سبأ في القرآن ، وخمس مسائل :
- المسألة الأولى : ديانة بلقيس .
- المسألة الثانية : رد سليمان عليه السلام على تقرير الهدد .
- المسألة الثالثة : دراسة كتاب سليمان عليه السلام والرد عليه .
- المسألة الرابعة : سليمان عليه السلام ورسد بلقيس .
- المسألة الخامسة: إسلام بلقيس وقومها .
- ملكة سبأ (*) :

أولاً : التمهيد ويشمل المرأة في القرآن الكريم "ملكة سبأ" :

لقد صور القرآن الكريم المرأة وهي في مكان الصدارة الدولية . ملكة ذات دولة ودلال ، وذات سلطان وجلال ، ولها في قومها المكان الذي اكتسبته بعقلها وحكمتها وتدبيرها قبل أن تكتسبه بملكها وسلطانها ... يتمثل ذلك في ملكة سبأ وما كان بينها وبين سليمان عليه السلام ، مما ورد في قصة الهدد إذ يقول ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ

(١) انظر الكشاف ، ج ٣ ، ص ١٤٥ .

(*) سبأ بفتح أوله وثانيه وهمزة آخره ، أرض في اليمن مدينتها مأرب بينها وبين صنعاء ثلاثة أميال . وسميت الأرض بهذا الاسم لانها كانت منازل ولد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وسمي سبأ لأنه أول من سبى السبي ، وسبأ رجل ولد عشرة بنين فسميت القرية باسم أبيهم ، انظر معجم البلدان ياقوت الحموي ، ج ٣ ، ص ٢٠٣-٢٠٤ .

وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿ استطاعت تلك المرأة أن تدبر أمر ملكها ، وأن تجيل (*)
الرأي والآراء في مشاكلها حتى تجتمع بنبي الله سليمان ﷺ ، وتسلم معه
الله رب العالمين . (١)

فالمراة في وضعها وباشتراكها مع شقيقها الرجل الذي تساويه في صفاته
الطبيعية وهي صفات جسمانية، وعقلية ، ونفسية ، وإن كان هناك شيء من
التميز فإنه شيء يدعو إليه تنسيق العناية الربانية كما يشير إلى ذلك قوله تعالى
﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ . (٢)
المسألة الأولى : ديانة مملكة بلقيس :

أما حالة مملكة بلقيس كما بينها تقرير الهدد وهو قوله ﴿ وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا
يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ أي وجدت هذه الملكة وقومها يعبدون الشمس
من غير الله وزين لهم الشيطان قبيح أعمالهم ، فصاروا يرون السيء حسناً ،
ومنعهم الشيطان عن طريق الحق وعبادة الله الواحد الأحد ، فأصبحوا
لا يهتدون إليه . (٣)

المسألة الثانية : رد سليمان على تقرير الهدد :

كان رد سليمان ﷺ على تقرير الهدد ﴿ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ
الْكَاذِبِينَ ﴾ .

فالأدب النبوي من سليمان ﷺ يقدم الصدق لأنه الأصل من أفراد
مملكته .

(*) تجيل : من أجل يجيل إجاله ، والمعنى : تداولوا البحث فيما يتباحثون فيه ، المعجم العربي الأساسي ،
ص ٢٨٠ .

(١) بحوث في قصص القرآن ، السيد عبد الحافظ عبدربه ، ص ٧١ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٧٠ .

(٣) انظر التفسير المنير ، ج ١٩ ، ص ٢٨٥ .

كتب سليمان عليه السلام كتابا يظهر فيه العقيدة السليمة التي هو متحدث بها ويدعوهم فيها إلى الله ، ومما جاء في الرسالة " من عبدالله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ (بسم الله الرحمن الرحيم ، السلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فلا تعلوا علي وأتوني مسلمين) ثم طبعه بالمسك وختمه بخاتمه .

ثم أمر الهدد بأن يذهب بالكتاب إلى بلقيس وقومها ، ليلقاه إليهم ثم ينصرف عنهم وينظر ماذا يردون من جواب ، ذهب الهدد بالكتاب وألقاه في حجر بلقيس فلما رآته ارتعدت وخضعت خوفا ثم وقفت على ما فيه . (1)

المسألة الثالثة : دراسة كتاب سليمان عليه السلام والرد عليه :

جمعت بلقيس مستشاريها وكبار دولتها وقرأت عليهم كتاب سليمان عليه السلام لتستشيرهم في أمره . فهيتت نفوسهم لهذا الكتاب الذي كان مفاجئاً لها ، قال تعالى : ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْ كِتَابٍ كَرِيمٍ﴾ وهذا الكتاب ليس كتاباً عادياً إنما هو كتاب كريم لنتبهم إلى أهميته ومضمونه ، وهذا من الحكمة في العرض لأمر مهم .

فالمملكة أمينة في عرضها الموضوع عليهم فأخبرتهم أنه من سليمان الذي تعرفونه ثم تلت عليهم نص الكتاب ﴿وإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَا تَعْلَمُوا عَلِيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ فالكتاب يبين أن سليمان عليه السلام يتحرك باسم الله وأمره والثاني أن سليمان عليه السلام يطلب الخضوع الكامل دون شروط ، ثم بينت الهدف من عرض الموضوع وهو ﴿أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾ كأنها تخشى أن يظنوا بها ضعفاً ، وهذا الضعف ألجأها إلى مشورتهم فذكرتهم بعادتها في استشارتهم أن رأيهم غير ملزم لها حيث تقول ﴿مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونَ﴾ فلم تقل حتى ترشدوني أو تعينوني بالرأي وإنما يحضرون ما تقول وما تفعل كما يفعل الملوك ولكن أوتر أن تكونوا على علم بالأمور .

(1) انظر قصص الأنبياء للشيخ النجار ، ص ٣٣٣ ، وأسلوب المحاوراة في القرآن الكريم ، ص ١١٩ -

فكان رد المستشارين على الملكة بأن تجاهلوا الجانب الديني ولم ينظروا إلى سليمان أنه الأعلى ، وأنه يتهدد ملكهم .ويطلب منهم ما فيه إذلال لهم . (١)

فردوا على ذلك باستعدادهم للحرب والقتال وهم أهل لذلك .
قال تعالى ﴿ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأَوْلُو بِئْسِ شَدِيدٍ ﴾ كأنهم يشيرون إلى الملكة بأمرين :

الأول : استبعاد التفكير في الخضوع لأن لديهم القوة الكافية لرفض هذا التهديد .
الثاني : الاستعداد للحرب حيث لا مبرر لديها للتفكير في الاستسلام أي إلى الاتجاه إلى الحرب ، ومع هذا كانوا يمثلون غاية الأدب مع الملكة وإظهار الطاعة لها في قولهم ﴿ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ ﴾ بمعنى أننا أقوىاء على أهبة الاستعداد للحرب ، فأنت صاحبة الأمر .

استطاع المستشارون أن يوقفوا بين إبداء رأيهم وإظهار الطاعة للملكة التي وصفت الكتاب الذي يشعرهم باتجاه الملكة للسلم ،فوضعوها في معاودة التفكير في رأيها بقولهم فانظري بمعنى فكري وقدري الموقف مع الاستعداد لتنفيذ كل ما تأمرين به ؟ ولم يقولوا ماذا ترين أو ماذا تفعلين وإنما يقولون نحن مستعدون لتنفيذ ما تأمرين ، فلا بد مع هذا التوكيل من تبرير وجهة نظرها حتى ينقادوا لها عن اقتناع وقد بلغت الملكة قمة البراعة في معالجة الموقف وإقناع قومها برأيها ومن ذلك لم تسفه رأيهم ولم تتعصب لرأيها بل جاءت قومها لتصل بهم ماذا بعد الحرب إلا الخراب والدمار والمغلوب يجتمع عليه خرابات خراب الحرب وخراب تتكامل المنتصر به وهذا ما أتوقعه لكم لو اتجهتم إلى الحرب .

فسليمان عليه السلام أقوى وأعظم ملكا وأشد بأسا فهو إذن سيكون المنتصر ونحن سيحل بنا الدمار ، واستدللت بقولها ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ﴾ ودخولهم رمز النصر ، وإفسادها رمز الخراب والتكامل بالمغلوب .

(١) انظر أشهر النساء في التاريخ أحمد الجبالي ، ص ٨٧ .

فهي تدرس ما سيحل بالمملكة لو جارتهم فيما يتجهون إليه ، بينت للمستشارين بأنهم سيكونوا أشد الناس تضرراً بهذه الهزيمة المتوقعة ، وما يتبعها من تحطيم كل جوانب الحياة أي سيقضي عليهم أولاً حتى يأمن العدو عدم عودتهم للحرب مرة أخرى .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا آذِنَةً ﴾ .

فهي تخاطب أعزة القوم فهم سيصبحون أذلة بعد العز ، أفهذا خير أم جنوحكم إلى السلام وتضمنوا البقاء في عزة وسيادة ونعيم . (١)
فالمملكة هدمت رأيهم واتجاههم إلى الحرب ، وكأنهم يقولون لها فماذا تقدمين بدلاً للحرب ؟؟؟

فهي لا تلجأ إلى الحل المهين وهو استسلام القيادة والخضوع . فقد أعملت فكرها واهتدت إلى الوسط الذي لا يعرضها لخطر الحرب بل تستعمل أسلوب استجلاب القلوب بإرسال الهدايا لفتح باب الحوار للوصول إلى الحلول المشرفة ولمعرفة شخصية سليمان عليه السلام وأهدافه ، وهل هو ملك يريد مجرد التوسع في ملكه ، وهل هو داعية إلى الله والدين كما يتحدث في كتابه ، أم هناك شيء آخر قالت : ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ فالملكة تنتظر إلى أمرين وهما : جواب سليمان عليه السلام الذي يكشف الكثير عن شخصية سليمان عليه السلام وأغراضه .

والآخر : ما يقدمه هؤلاء المرسلون إلى الملكة من معلومات وأخبار عن سليمان عليه السلام وأحوال مملكته ، وبهذا تكون قد وصلت بفكرها وسداد رأيها إلى أفضل ما يمكن التوصل إليه في مثل هذا الوقت العصيب . (٢)

المسألة الرابعة : سليمان عليه السلام ورسول بلقيس :

(١) انظر أسلوب المحاوره في القرآن الكريم ، ص ١٢٣ ، أشهر النساء في التاريخ ، ص ٨٨ .
(٢) انظر قصص القرآن للشيخ النجار ، ص ٣٣٤ ، وأسلوب المحاوره في القرآن الكريم ، ص ١٢٤-١٢٦ .

علم سليمان ﷺ بمسير رسل بلقيس عن طريق الجن ، وصل رسل بلقيس إلى مملكة سليمان ﷺ ورأوا جيوشه من الإنس والجن والطير ، وسلطان سليمان ﷺ على الريح في الجو وسليمان ينزل رويداً رويداً في ساحة قصره بسلامة الله .

زاد إعجاب رسل بلقيس وخصوصاً لما مثلوا بين يدي سليمان ﷺ ليقدّموا إليه الهدايا ، سخر منهم لأنه ليس في حاجة إلى أموالهم وهداياهم ، فهو رجل عقيدة يريد نشر عقيدة التوحيد ، قال سليمان ﷺ للرسول : ارجعوا إلى قومكم بهداياكم وأنذروهم بحرب قاضية عليهم وبنجود لم يروا مثلهم من الإنس والجن والطير وسنقهرهم في أوطانهم ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ * ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (النمل ٣٦-٣٧) .

لما رجع الرسل إلى بلقيس وقصوا عليها ما حدث من سليمان ﷺ ، وما رأوا وما سمعوا عن قوة سليمان ﷺ وسلطانه القاهر في الأرض والسماء على الجن والوحوش والطير قررت بلقيس لقاء سليمان .

المسألة الخامسة : إسلام بلقيس وقومها :

قررت بلقيس أن تذهب إليه عسى أن يكون اللقاء معه خيراً على مملكتها وشعبها وتصل إلى حل سلمي .

علم سليمان ﷺ بقدوم الملكة وقومها فقرّر أن يكرمها حيث أمر رجاله أن يبنوا لها قصراً لتنزل فيه ويكون آية في الفن والعظمة يحكي عن قدرة سليمان ﷺ وثرائه وسلطانه على الجن الذين يستخدمهم في البناء وقطع الأحجار الكبيرة ونحتها .

وفي داخل القصر أقيمت أحواض متسعة وفي قاعة العرش الذي هو الصرح جعلت أرضية من زجاج أملس تجري تحته المياه تحسبه بركة ماء عند أول نظرة إليه .

أراد سليمان عليه السلام أن يظهر للملكة معجزة تفوق عظمة القصر وأن تكون متصلة بشخصية الملكة لتدل على سلطان الوحي ، وهو إحضار عرشها ومثوله بين يديها .

وصلت الملكة إلى بلاد الشام واستقبلها سليمان عليه السلام أحسن استقبال فقد استقل سليمان بساطه التي تحمله الريح رخاء وتظله الطيور من فوقه مرحباً بمقدمها الكريم ، ولقد بهرها الحشود من الإنس والطيور تكريماً وابتهاجاً بها.

وأدهشها ما رأت من حضور عرشها الذي تركته في قصرها ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ (النمل: ٤٢) (١) .

بقيت الملكة في مقر سليمان عليه السلام فترة من الزمن موضع التكريم والحفاوة .

اقتنع عقلا الكبير بنبوة سليمان عليه السلام وأنه على الحق في دعوته ، فتفجر الإيمان في قلبها وملاه نور اليقين عن اقتناع صادق فهتفت أمام الشعب وبين يدي سليمان ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

بهذا التصرف الحكيم أسدلت بلقيس سبأ الستار على قصة قصيرة بين دولتين وتبعها شعبها فأسلم مثلها ، وقضت على الوثنية في بلادها بفضل الله تعالى ثم بفضل دعوة الهدد وهمة عليهم ليسجدوا لله .

وبذلك جنبت قومها ويلات الحرب بسياستها الحكيمة فأحبها وأسلم لها القيادة فقادته إلى السلام والإيمان فله الفضل والإكرام ، ولها من الله الرحمة والسلام . (٢)

تحقيق

رسالة هادفة

(١) انظر قصص الأنبياء للنجار ، ص ٣٣٤ .

(٢) انظر أشهر النساء في التاريخ ، ص ٩١ ، وأسلوب المحاور في القرآن الكريم ، ص ١٣٠ .

كانت رسالة سليمان ﷺ تهدف إلى اختبار صدق الهدد فيما قاله عن ملكة سبأ وقومها وهم يسجدون للشمس من دون الله والتحقق منه ، وكذلك دعوة الحكمة بلقيس إلى الله والسجود له دون غيره .

فرسالة تبدأ بسم الله الرحمن الرحيم رسالة خير وبركة وكل شيء لا يبدأ باسم الله فهو أبتر ،لذا كان هدف سليمان ﷺ أن يُعَرَّفَ بلقيس أن المستحق للسجود هو الله المتصف بالرحمة في الدنيا والرحيم في الآخرة . (١)

فكانت تلك الرسالة فاتحة الطريق للتفكير في دعوة سليمان ﷺ التي مقصدها تعظيم الله ، رسالة كلها خير وموصلة إلى خير فكان الخير في الرسول والمرسل والرسالة ولمن استجاب للرسالة ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (النمل ٤٤) .

(١) انظر شرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن تيمية ، ص ٣ ، صححه وعلق عليه الشيخ إسماعيل الأنصاري مكتبة التراث الإسلامي .

المبحث الحادي عشر

الإعجاز العلمي في سورة النمل

ويشتمل على تمهيد ، وخمسة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الإعجاز العلمي .

المطلب الثاني : توافق قواعد العلم الحديث مع القرآن .

المطلب الثالث : التحدي القرآني على مر الزمان

الماضي والحاضر والمستقبل .

المطلب الرابع : التحدي القرآني في سورة النمل .

المطلب الخامس أمثلة على الإعجاز العلمي .

تمهيد :

إن كتاباً أنزل قبل أربعة عشر قرناً من الزمن وعرض لكثير من مظاهر الوجود الكونية كخلق السموات والأرض وخلق الإنسان والحيوان والنبات وسوق السحب المتركمة ونزول المطر وجريان الشمس والقمر ، وتحدث عن الكواكب والنجوم والشهب والبحار وأحوال الجنين وغير ذلك كثير ، ومع ذلك لم يسقط العلم كلمة من كلماته ولم يصادم جزئية من جزئياته فإذا كان الأمر كذلك فإن هذا بحد ذاته يعتبر إعجازاً علمياً للقرآن .

فالإعجاز العلمي قاعدة صلبة يقف عليها المسلمون جميعاً بكل ثقة وكل أمن في كل زمان ومكان ولقد أجمع علماء المسلمين على الإعجاز العلمي للقرآن (١) .

المطلب الأول تعريف الإعجاز العلمي

وفيه مسألتان :

المسألة الأولى : تعريف الإعجاز العلمي .

الإعجاز : مصدر أعجزَ وإعجاز القرآن : امتناع محاكاته على البشر ، أي أن الإنسان يعجز عن الإتيان بمثله (٢) .

قال الراغب : أعجزت فلاناً وعجزته وعجزته : أي جعلته عاجزاً (٣) .
والمراد بـ " إعجاز القرآن " أي كونه خارقاً للعادة لم يستطع أحد معارضته رغم تصدي الناس له (٤) .

قال الرافعي : الإعجاز شئان ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته ، ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه فكأن العالم كله في العجز إنسان واحد (٥) .

(١) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ، دكتور فهد الرومي ، ص ٦٠٠-٦٠١ .

(٢) المعجم العربي الأساسي ، ص ٨٢٢ .

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الاصفهاني ، ص ٣٣٤ .

(٤) انظر معجزة القرآن ، محمد متولي الشعراوي ، ج ١ ، ص ١٠ ، والمعجم العربي الأساسي ، ص ٨٢٢ .

(٥) انظر إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي ، ص ١٣٩ .

أما تعريف الإعجاز العلمي للقرآن : هي تلك الموافقة بين المكتشفات الحديثة لسنن الإلهية وبين ما أشار إليه القرآن مع تمام المطابقة بينهما (١) .

المسألة الثانية : التفسير العلمي :

هو محاولة فهم النص القرآني في أي عصر من العصور حسب الثقافات والمعارف والعلوم التي تمتاز بها تلك العصور .

ومن تعريفي الإعجاز العلمي والتفسير العلمي يظهر أن القول بالإعجاز العلمي مبني على أساس وقاعدة التفسير العلمي (٢) .

المطلب الثاني

توافق قواعد العلم الحديث مع القرآن

وفيه مسألتان :

المسألة الأولى : اتفاق العلم مع القرآن الكريم :

يقرر الدكتور الفرنسي موريس بوكاي في كتابه " القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم " وذلك بعد ما قرر دراسة القرآن الكريم واللغة العربية ثم عكف على إجراء دراسة مقارنة بين نصوص القرآن الكريم والكتاب المقدس (التوراة والإنجيل) في ضوء المعارف العلمية الحديثة وكانت النتيجة بعد البحث والمقارنة كالتالي : التوصل إلى التطابق التام بين الإشارات العلمية والتاريخية في القرآن الكريم والعلوم والمعارف الحديثة ، بينما يتناقض الكثير مما جاء بالتوراة والإنجيل مع الحقائق العلمية ويضرب أمثلة لذلك .

المسألة الثانية : يقول الدكتور موريس : " العلم والدين توأمان في الإسلام " :

إن الدارس للإسلام يعرف أن العلم والدين توأمان حتى في هذا العصر الذي قطع العلم فيه أشواطاً تبدو مذهلة .

لم يصطدم الإسلام أبداً مع العلم بل على العكس ألقت المعارف الحديثة أضواءً جلت لنا معاني القرآن وما فيه من روعة ، فقد ساعدت الكشوف العلمية

(١) انظر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، ص ١١٤ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ١١٥ .

وحقائقها على إثبات ما في رسالة الإسلام والنص القرآني من إعجاز علمي يؤكد صدوره من قوى خارقة للطبيعة أي من وحي الخالق الأعظم (١) .
وسأركز بصفة خاصة على بعض ما جاء في سورة النمل من حقائق علمية تتفق بمنتهى الدقة مع العلوم الحديثة في المطلب الخامس .

المطلب الثالث

التحدي القرآني

لقد تحدى القرآن الكريم العرب في بلاغتهم ، والإسلام دين البشرية كلها ، ولذلك كان للقرآن أن يتحدى الذين عاشوا وقت نزوله من غير العرب ثم يحمل تحدياً لكل جيل بعد ذلك ، وإلا فالمعجزة لا تكون قائمة (٢) .

فالقرآن الكريم استطاع أن يمزق حجب الغيب الثلاثة ، مزق حجاب الزمان الماضي وروى لنا بالتفصيل تاريخ الرسل وحوادث من سبقنا من الأمم ، وتحدى فيها ، فقد كان رسول الله ﷺ يتحدى بالقرآن أحبار اليهود ورهبان النصارى ويبين ما حرفوه في التوراة والإنجيل . ولم يستطيعوا أن يواجهوا هذا التحدي أو يردوا عليه ، وكل ذلك على لسان نبي أمي لا يقرأ ولا يكتب ويحكي أسرار الماضي ويتحدى الذين يكذبون من اليهود والنصارى وغيرهم ، قال تعالى : ﴿ ذَلِكِ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ سورة آل عمران : (٤٤) ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعُرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (القصص: ٤٤) (٣) .

" وهكذا نرى القرآن مزق حجاب الماضي في أكثر من مناسبة ليخبر بالأخبار الصحيحة من الرسل والأنبياء ، ويصحح ما حرف من الكتب السماوية

(١) انظر القرآن والعلم الحديث للدكتور موريس بوكاي ، ص ١٦-١٨ .

(٢) انظر معجزة القرآن للشيخ محمد متولي الشعراوي الكتاب الأول ، ص ١٠٦ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٢٩ .

التي أنزلها وحرّفها الرهبان والأخبار " (١) .

ثم مزق حجاب المكان وروى لنا ما يدور داخل نفوس الكفار والذين يحاربون الإسلام وما يببّئونه للمسلمين . روى لنا ما يدور في نفوسهم ، ولم تتطّق به شفاههم ولم يجروا واحد منهم أن يكذب القرآن ويقول لم تهمس نفس بهذا ، ثم مزق حجاب المستقبل القريب ، وتتّبأ بأحداث ستقع بعد شهور وبأحداث ستقع بعد سنوات وحدث كل ما أنبأ به القرآن ، ثم مزق القرآن حجاب المستقبل البعيد ليعطي الأجيال القادمة من إعجازه ما يجعلهم يصدقون القرآن ويسجدون لقائله وهو الله تعالى (٢) .

ومزق حجاب المستقبل على مراحل المعاصرة لكي يعرف أصحاب الرسالة والمؤمنون وغير المؤمنين أنه الحق ، ومن هنا كان التحدي بالنسبة للمعاصرين لأحداث قريبة ، وبالنسبة للعالم عن حقائق الكون كله حتى قيام الساعة .

ومن هنا لا بد أن يكون قائل القرآن متأكداً من أن هذا سيحدث في المستقبل ، فَمَنْ من البشر يستطيع أن يتأكد ماذا سيحدث له بعد ساعة واحدة ، فما بالك بعد أيام وسنوات ، والجواب لا أحد ؛ لأن قدرة البشر في صنع الأحداث محدودة . فقد حجب عنهم الزمان والمكان ، والذي يملك ذلك هو الله سبحانه وتعالى الذي يخبر بما سيحدث بعد آلاف السنين ، إنه الله عالم الغيب والشهادة (٣) .

التحدي لأعداء الله :

قال تعالى على لسان نبيه محمد ﷺ : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ ﴾ (المسد : ١-٥) فقد بينت سورة المسد أن أبا لهب سيختم له بشر وأنه سيموت كافراً ، وسيعذب في النار .

(١) انظر معجزة القرآن للشيخ محمد متولي الشعراوي الكتاب الأول ، ص ١٠٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٢٩ .

(٣) معجزة القرآن للشعراوي ، ص ١١٣ .

وكان يكفي أن يذهب أبو لهب إلى أي جماعة من المسلمين ، ويقول
أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، يقولها نفاقاً ورياءً ،
يقولها ليهدم بها الإسلام . لا ليدخل بها الإسلام ، يقولها ثم يقف وسط
القوم يقول : إن محمداً قد أنبأكم أنني سأموت كافراً ، وأن هذا الكلام
له من الله ، وأنا أعلن إسلامي لأثبت لكم أن محمداً كاذب " وحاشاه
الكذب ، فلو كان أبو لهب يملك ذرة واحدة من الذكاء لفعل هذا ، ولكن حتى
هذا التفكير لم يجرؤ عقل أبي لهب عن الوصول إليه بل بقي كافراً مشركاً
ومات على ذلك .

المعجزة هنا أن القرآن قد أخبر بما سيقع من عدوه ، وتحذاه في أمرٍ
اختياري ، وكان من الممكن أن يقوله ، ومع ذلك لم يحدث لأن الذي قال هذا
القرآن يعلم أنه لن يأتي إلى عقل أبي لهب تفكير يكذب به القرآن هل هناك
إعجاز أكثر من هذا (١) .

التحدي لغير العرب :

فقد حمل القرآن التحدي لغير العرب في عصره . ولغير العرب
والدنيا كلها بعد عصره .

ومن أمثلة ذلك : كانت هناك أمتان كبيرتان إمبراطوريتان
بجانب الجزيرة العربية ، هما الروم والفرس ، الروم أمة من أهل
الكتاب ، والفرس كانوا أهل إلحاد وأهل الكتاب أقرب من غيرهم للمسلمين من
أهل الإلحاد .

قامت الحرب بين الدولتين وانتصر الفرس على الروم وفرح المشركون
بانتصار أهل الإلحاد ، وحزن المؤمنون لهزيمة الرومان ، ويتدخل الحق ليزيل
عن المؤمنين هذا الحزن فيقول في كلام محفوظ متعبد بتلاوته لن يجرؤ ولن
يستطيع أحد أن يغير فيه .

(١) معجزة القرآن للشعراوي ، ص ١١٥ .

قال تعالى : ﴿الم * غَلَبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سِيَغْلِبُونَ * فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصِرُ مَنْ يُشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ الروم (١-٥) .

أيستطيع محمد ﷺ أن يتتبا بنتيجة معركة ستحدث بين الروم والفرس بعد بضع سنين ؟ هل يستطيع قائد أن يتتبا بمصير معركة عسكرية بعد ساعة واحدة من قيامها ؟ فما بالك بالقرآن الذي أخبر أنه بعد بضع سنين ستحدث بين الروم والفرس معركة وسينتصر فيها الروم .

ماذا كان من الممكن أن يحدث لو لم تحدث معركة بين الروم والفرس أو لو حدثت معركة وهزم فيها الروم ، أكان بعد ذلك يصدق أي إنسان القرآن أو يؤمن بالدين الجديد ، ثم إذا كان القرآن من عند محمد فما الذي يجعله يدخل في قضية غيبية كهذه لم يطلب منه أحد الدخول فيها ، أضيع الدين من أجل مخاطرة لم يطلبها أحد ، ولكن القائل هو الله جل جلاله .

وهكذا تحدى القرآن الكفار وغير المسلمين في وقت نزوله ، أي أنه لم يتحد العرب وحدهم . بل تحدى الكفار والمؤمنين من غير العرب ، وتحدى الإنس والجن عبر الأجيال إلى يومنا وإلى أيام قادمة (١) .

المطلب الرابع

التحدي القرآني

وفيه سبع مسائل :

المسألة الأولى : الأحرف المقطعة في بداية السورة ﴿ طس ﴾ :

قال الفراء (*) : الأحرف المقطعة أعلم الله بها العرب حين تحداهم بالقرآن أنه مؤتلف من حروف هي بناء كلامهم عليها ؛ ليكون عجزهم عنه أبلغ في الحجة عليهم إذا لم يخرج عن كلامهم (٢) .

(١) معجزة القرآن للشيخ الشعراوي الكتاب الأول ، ص ١١٦-١١٧ .

(*) الفراء هو إبراهيم بن يزيد التميمي أبو إسحاق الفراء الرازي ، الملقب بالصغير - ثقة حافظ توفي بعد العشرين ومائتين روى له أصحاب السنن ، تقريب التهذيب للحافظ العسقلاني ، ج ١ ، ص ٥٣ .

(٢) انظر فتح القدير للشوكاني ، ج ١ ، ص ٣٧ .

المسألة الثانية : خلق السموات والأرض :

قال تعالى : ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ (النمل : ٦٠) .

إن الله سبحانه وتعالى هو الذي اختص بخلق السموات في ارتفاعها وصفائها وما جعل فيها من الكواكب النيرة والنجوم الزاهرة والأفلاك الدائرة . وخلق الأرض في استقلالها وكثافتها وما جعل فيها من الجبال والأطواد (*) والسهول والزرورع والأشجار والثمار والبحار والحيوان على اختلاف الأصناف والألوان وغير ذلك .

المسألة الثالثة : إنبات النبات :

قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ﴾ إن المنبت للزرع هو الله الذي ينزل الماء من السماء ليكون سبباً ، ولولا الله ما نبت لكم شجر ولا وجدت بذرة .

فالبشر ما كان لهم ولا تهيأ لهم ولا يقع تحت قدرتهم أن ينبتوا شجرة ، إذ هم عجزة عن مثلها لأن إخراج الشيء من العدم إلى الوجود شأن الله تعالى (١) .

المسألة الرابعة : بدأ الخلق وإعادته :

قال تعالى ﴿ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ ﴾ (النمل : ٦٤) .

إن الله سبحانه وتعالى يُوجد الخلق مبتدئاً له ثم يعيده أي يكرر إيجاده ويرجعه كما كان بعد إهلاكه .

﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾ : أي هاتوا برهاناً عقلياً أو نقلياً يدل على أن معه عز وجل إلهاً ، أو هاتوا برهانكم على أن غيره يقدر على شيء مما ذكر من أفعاله عز وجل (٢) .

(*) الأطواد : جبل عظيم راسخ ، المعجم العربي الأساسي ، ص ٨٠١ .

(١) انظر جامع الأحكام للقرطبي ، ج ١٣ ، ص ٢٣٠ .

(٢) انظر تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للالوسي ج ٢٠ ص ٦ .

المسألة الخامسة : علم الغيب خصوصية ربانية :

قال تعالى : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ (النمل آية ٦٥) .

يقول تعالى أمراً رسوله ﷺ أن يقول لجميع الخلق إنه لا يعلم أحد من أهل السموات والأرض الغيب إلا الله ، وذلك تمهيد لما بعده من أمر البعث ومتى ينشرون من القبور ، فهم كما لا يعلمون متى يموتون لا يعلمون بما يصيبهم غداً (١) .

المسألة السادسة : علمه تعالى بالسر والعلن :

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْتَنُونَ ﴾ (النمل ٧٤) أي أن الله يعلم الضمائر والسرائر كما يعلم الظواهر ، أي أنه عالم غيب السموات والأرض وأنه عالم الغيب والشهادة وهو ما غاب عن العباد وما شاهدوه (٢) .

المسألة السابعة : قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِبِكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

أمر الله رسوله ﷺ أن يقول للمعاندین : إن الله هداه للدين الحق من التوحيد وشرائع الإسلام وأنهم سيرون آيات الله فيعرفونها ، وسيكون هذا الكون الفسيح ساحة للتحدي ، والله موجهه فتأملوا وستعرفون بعض آيات الله الدالة على قدرته (٣) .

المطلب الخامس

أمثلة تطبيقية على الإعجاز العلمي

ويشتمل على أربع مسائل :

المسألة الأولى : النملة ولغة التفاهم :

أثبت القرآن الكريم أن للنمل لغة تخاطب وتفاهم يتفاهم بها فيما بينهم وقد علمها الله سليمان عليه السلام .

(١) انظر تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص٢١٢ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج٦ ، ص٧٢ .

(٢) انظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ، ج٥ ، ص٤٤٨ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج٦ ، ص٧٣ .

(٣) انظر التحرير والتتوير ، ج٢٠ ، ص٥٨-٥٩ .

قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمَلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (النمل : ١٨) .

والآية دليل على أن للنمل لغة يتخاطب بها وهذا ما أثبتته الأبحاث العلمية الحديثة بوسائلها العلمية الدقيقة عن حياة النمل الاجتماعية القائمة على التفاهم فيما بينها وهذه اللغة تتجاذب بها أطراف الحديث بكلام خاص أو بإشارات مسموعة وغير ذلك مما علمه الله لنبيه سليمان عليه السلام حيث يقوم النمل كما هو مشاهد بمشروعات جماعية مثل مد الطرق وإقامة الجسور وبناء المستعمرات ولا يمكن التعاون على إقامة هذه الأشياء إلا بالتفاهم بلغة متداولة بينها يتعاملون بها . والنمل هو الوحيد الذي يتلاقى في مجتمعات للتعارف والتبادل في المنافع كما أنه الوحيد الذي يهتم بدفن موته مما يدل على حياة منظمة نشطة لها كيان ودستور يحكمها في سلوكها (١) .

فالقرآن الكريم ذكر مجموعة من الحيوانات التي لها لغة تخاطب ، فالهدهد يتكلم بلسان فصيح محاوراً سليمان عليه السلام في أمر ملكة سبأ وكذلك النحل الذي يعيش في مملكة واضحة التنظيم والعمل المستمر والغراب الذي بعثه الله ليعلم ابن آدم كيف يورثي سوءة أخيه . فهذه أم أمثالنا تعيش وفق مراد الله تعالى .

يقول تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ مِّثْلِكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (الأنعام : ٣٨) فالله جل جلاله أخبر محمداً صلى الله عليه وسلم بأن كل صنف من هذه الحيوانات بكافة أشكالها وأنواعها وهذه الطيور والحشرات كل منها يمثل أمة مستقلة لها لغاتها وعاداتها ونمط حياة يختص بها .

ولقد أثبتت الأبحاث العلمية الحديثة التي قام بها علماء التاريخ الطبيعي أن الحيوان قد زود بحواس ثلاثم بيئاته وصدق الله حيث يقول : ﴿ قَالَ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ (طه : ٥٠) (١) .

(١) انظر في ظلال القرآن ، ج ٥ ، ص ٢٦٣٤ ، والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، د. عبد السلام اللوح

المسألة الثانية : عالم النبات :

ينظر الناس إلى أن خروج النبات من الأرض أمر عادي طبيعي فجاء العلم وكشف عن بعض خصائص الخلايا التي تحتويها كل بذرة مهما دقت ، ووقف العلماء عاجزين أمام القوة الكامنة التي تجعل النبات وسوقه وما يتبع ذلك من فروع وأوراق وثمار ولكن لماذا تمتص بذرة الحنظل مثلاً العناصر الشديدة المرارة وتمتص بذرة البطيخ رغم التشابه الكبير بينهما العناصر الحلوة ، لم ينجح واحد من العلماء في ذكر سبب علمي معقول حتى قال العالم الألماني تشالز آرتست : إن كل خلية حية من الخلايا الموجودة في البذور أو في النباتات بلغت من التعقيد درجة من المستحيل على العقل البشري حل طلاسمها وأنا لا أملك إلا القول إن ذلك يرجع إلى قدرة هائلة في تكوينها وهي قدرة خالق هذا الكون .

قال جون زمرمان " إننا نخدع أنفسنا إذا اعتقدنا أن النظريات العلمية التي لدينا تكفي لإنبات البذور وإنماء النبات نحن نقول إن الماء والهواء والمواد الكيميائية التي تمتصها الجذور من الأرض التي تنبت النباتات ولكن ذلك كله هراء إذا لم تؤمن بوجود قوة قادرة هي التي توجه التفاعلات الكثيرة المتشابكة التي تعمل في توافق عجيب ، والدليل القاطع على ذلك أننا على الرغم مما ندعيه من تقدم العلوم لا يمكننا صنع أي بذرة من البذور مهما بلغ صغر شأنها".

يقول تعالى : ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي هِمٍّ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ (النمل : ٦٠) ، وكان العالم جون زمرمان يقرر ويثبت ما قاله القرآن إن المنبت للزرع هو الله لأنهم لا يستطيعون أن يوجدوا بذرة واحدة فما بالك " ٥٠٠.٠٠٠ " بخمسمائة ألف نوع من النباتات ، من أوجدها ومن يكلاها حتى تنمو وتنبت (٢) .

(١) انظر الأساس في التفسير ، ج٧ ، ص٣٩٩٥ ، وفي ظلال القرآن ، ج٥ ، ص٢٦٣٦ .

(٢) انظر الله يتجلى في عصر العلم ، ص١١٨-١٢٥ ، ومعجزة القرآن للشعراوي ، ص٢٦٦ .

إنه الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ﴾
(البقرة ٢٩) (١) .

شجرة الزيتون : تلك الشجرة المباركة قال تعالى : ﴿ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ (النور ٣٥) ، فهذه الشجرة تزرع في معظم أنواع التربة حتى الجاف منها ، وتعمر طويلاً قرابة ألف عام ، وهي دائمة الخضرة يصل ارتفاعها نحو عشرين متراً ، وقد ورد ذكر الزيتون في كل الكتب السماوية تقريباً ، ومن زيتها عوفيت ألوف النفوس والأبدان من الأجسام المعتلة ... وغصنه رمز للسلام (٢) .

يقول أبو حامد الغزالي : تأمل الحكمة في خلق الشجرة وأصناف النبات . فإنها لما كانت محتاجة إلى الغذاء الدائم ولم يخلق فيها حركات تتبعث بها ولا آلات توصل إليها غذاءها جعلت أصولها مركوزة في الأرض لتجذب الماء من الأرض فتغذي به ، ثم انظر كيف رتب الباري سبحانه وتعالى الأشجار والثمار والأزهار وجعلها مختلفة الألوان والأشكال والطعوم والروائح ، فأشكالها ، ما بين طويل وقصير وجليل وحقير ، وألوانها ما بين أحمر وأبيض وأصفر وأخضر ثم كل لون منها مختلف إلى شديد وصاف ومتوسط ، وطعومها ما بين حلو وحامض ومز (*) ومر ، وروائحها متنوعة إلى عطرates لذيذات مختلفة .

قوله تعالى : ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَيِّغَ لِّلْأَكْلِينَ ﴾ (المؤمنون : ٢٠) ، فأخرج سبحانه فيما بين الحجر والماء زيتاً صافياً لذيداً نافعاً كما أخرج اللب من بين فرث ودم ، وأخرج من النحل شراباً عسلاً مختلفاً ألوانه فيه شفاء للناس (٣) .

(١) انظر معجزة القرآن للشيخ محمد متولي الشعراوي ، الكتاب الأول ، ص ٢٦٧ .

(٢) الإعجاز الطبي في القرآن للدكتور السيد الجميلي ، ص ١٨١-١٨٢ .

(*) مَز : أي بين الحلو والحامض المعجم العربي الأساسي ، ص ١١٣٢ .

(٣) انظر الحكمة في مخلوقات الله لأبي حامد الغزالي ، ص ١٢٥-١٣١ .

انظر إلى النبات الممتد على وجه الأرض ، مثل البطيخ واليقطين وما أشبه ذلك وما فيه من التدبير ، فإنه لما كان عود هذا النبات رقيقاً رياناً ، ذا احتياج إلى الماء ولا ينبت إلا به ، جعل ما ينبت منه منبسطاً على وجه الأرض .

فلو كان منتصباً قائماً كغيره من الشجر لما استطاع حمل هذه الثمار مع طراوة عودها ولينها ، فكانت تسقط قبل بلوغها ، فهي تمتد على وجه الأرض لبلوغ الغاية ، وتحمل الأرض عودها وأصل الشجرة والسقي يمدّها .^(١)

المسألة الثالثة : عالم البحار :

فقد جاء في سورة النمل قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خَلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَّ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِلْأَكْثَرُ هُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (النمل: ٦١) .

قال سيد قطب رحمه الله : البحر الملح الأجاج - والنهر العذب الفرات - سماها بحرين على سبيل التغليب من حيث مادتهما المشتركة وهي الماء ، والحاجز يجعل البحر لا يفيض على النهر فيفسده ، إذ سطح النهر أعلى من مستوى البحر فيصب فيه .^(٢)

قال الزندانى : ((إن حاجزاً يحجز البحر الأحمر عن المحيط الهندي ولولا هذا الحاجز لطغت صفات مياه المحيط على مياه البحر لأن البحر شيء يسير بجانب المحيط ووجود هذا الحاجز بينهما لكي لا يطغى هذا على هذا ثم هذا الحاجز ليس ثابتاً لكنه في حالة ذهاب وإياب واضطراب .

وفي نهاية المحاضرة عرض الشيخ عبد المجيد صوراً للبرزخ والحجر أخذت عن طريق سفن الفضاء وقال هذا الخط الأزرق الخفيف هو الحجر (المصب) الذي يكون بين البحر والنهر ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴾ والبرزخ هو الحاجز الذي يفصل بين الماعين)) .^(٣)

(١) الحكمة في مخلوقات الله لأبي حامد الغزالي ، ص ١٣٣ .

(٢) انظر في ظلال القرآن لسيد سابق ، ج ٥ ، ص ٢٦٥٨ .

(٣) شريط مسجل للزندانى بعنوان : آيات الله تعالى في الأنفس والآفاق ، واتجاهات التفسير في القرن

الرابع عشر ص ٦٢٨-٦٣٠ .

والحجر في لغة العرب هو الشيء الذي يمنع به أشياء ولذلك يقال هذه أرض محجورة أي تسمح لبعض الحيوانات وتحجر عن غيرهم فالموجود بين النهر والبحر اسمه المصب ، ولها خواص مشتركة جمعت بين صفات البحر والنهر ومحجورة عن بعض الأنواع فقط ، قال تعالى ﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (النمل: ٦١)

وهذا دليل واضح على إعجاز القرآن وصدق ما جاء به محمد ﷺ إذ إنه لم يركب البحر ولم يملك وسائل وتقنية في رؤية الخط الحاجز بين البحرين فسبحان من أحاط بالعلوم جميعاً (١) .

المسألة الرابعة : عالم الإنسان :

قال تعالى : ﴿ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلُ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (النمل: ٦٤) .

إن الذي أبدع الخلق من غير سابق مثال قادر على أن يعيده إلى الحياة الأولى مرة أخرى .

ولقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة متعلقة بخلق الإنسان ومراحل تكونه وهو في بطن أمه وكيف قد أحسن خلقه وأبدع بناءه إلى أن أصبح رجلاً كبيراً وما في ذلك من إعجاز علمي يكشفه التقدم العلمي عصراً بعد عصر . (٢)

فالله خلق الإنسان من تراب ثم من طين ثم من حمأ مسنون ثم من صلصال كالفخار ثم نفخ فيه من روحه .

فإذا أخذنا التراب ثم أضفنا إليه الماء أصبح طيناً ثم إذا تركناه لتتفاعل عناصره أصبح حمأ مسنوناً كالذي يستخدمه البشر في صناعاتهم ثم إذا جف أصبح صلصالاً ، فهذه أطوار خلق الجسد البشري والبشر والخلق من الطين ، أي من عناصر الأرض .

(١) انظر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، ص ٢١٢-٢١٤ .

(٢) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، د. عبد السلام اللوح ، ص ١٨٣ .

ومن المعلوم إن مقومات الحياة من الأرض ... من الطين ، وهذه القشرة
الخصبة هي التي تعطي كل مقومات الحياة .

ولقد حلل العلماء جسد الإنسان فوجدوه مكوناً من ١٦ عنصراً .. أولها
الأكسجين .. وآخرها المنجنيز .. والقشرة الأرضية مكونه من نفس العناصر ،
إذن فعناصر الطين الخصب هي نفس عناصر الجسم البشري الذي خلق منه ، هذه
التجربة العملية هي إثبات صحة القرآن وما ورد فيه (١) .

أمثلة :

١- قال تعالى : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾

(الطارق ٥-٦) فالماء الدافق هو: المنى يسبح فيه ملايين من العلق ، ولولاه
ما كان حمل ولا جنين ، وآية خلق الإنسان من علق قد تضمنت معجزة
علمية خالدة مر الناس عليها مرور الكرام حتى أذن الله بظهورها حيث
كشف العلم عنها (٢) .

٢- ومن الآيات الدالة على بديع الصنع ، ودقة الخلق قوله تعالى :

﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعُ عِظَامَهُ * بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾

(القيامة ٣-٤) تبين الآية الكريمة أن القرآن من عند الله إذ من المحال أن
يعرف الرسول ﷺ الذي نشأ بين جبال مكة وصحاريها أن لكل بنان من البشر
رسوماً تختلف عن الآخرين إذ كيف يعرف هذا السر والمجهر لم يكن
موجوداً في ذلك الوقت ، فهذه حقيقة لم يكشف عنها العلماء إلا في العصر
الحديث بعد بحث دقيق وجهد طويل وموازنة بين أصابع الملايين من الناس
وفحصه بالمجهر .

وبهذا ندرك أن البصمات أدل على الإنسان من صورة وجهه ومن هيئته
وصورته وهي من أخص خصائصه .

(١) معجزة القرآن للشيخ محمد متولي الشعراوي ، الكتاب الأول ، ص ١٢٥ .

(٢) انظر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، د. عبد السلام اللوح ، ص ١٨٣ .

فلو احترق جلد الأصبع وتكون مكانه جلد جديد ظهر الجلد الجديد وبه نفس الأشكال التي كانت في جلده القديم وإن الخطأ في معرفة الرجال بالبصمات محال فسبحان المبدع للكون والإنسان والحيوان والنبات والجماد . (١)

٣- قال تعالى : ﴿ أَيِنَّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ ﴾

(النساء : ٧٨) إن الله سبحانه وتعالى يتحدى ، فمهما وصلتكم من العلم فلن

تستطيعوا أن تتجوا من الموت ، إنكم تقولون في العلم الأرضي أن الموت

يحدث بسبب جرائم كذا وأمراض كذا إلى آخره ؟ شيدوا برجاً وضعوا فيه

إنساناً وأبعدوه عن كل المخاطر التي في رأيكم وفي نظركم تسبب الموت ،

فلا هو يحارب ولا يمشي في مكان ليصاب في حادث فلا يستنشق

هواء ملوثاً بل هواء نقي ويأكل طعاماً مطهراً على أحدث الوسائل الصحية .

هنا نكون قد أبعدنا عن هذا الإنسان كل مسببات الموت التي نعرفها ،

فهل يمكن أن يكتب لإنسان مثل هذا الخلود ؟ والجواب طبعاً مستحيل ؛ لأن الله

هو الذي يحيي ويميت والأسباب لا تفعل بنفسها بل بإرادة الله (٢) ، ثم تحدى الله

العالم كله في القرآن بخمسة مغيبات .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي

الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾

(لقمان: ٣٤) .

تحدى الله بهذه المغيبات البشر جميعاً فالقرآن كما تحدى العرب في اللغة

عندما نزل ، حمل التحديات للعالم أجمع ، وقال لهم : إنكم لن تصلوا إلى كذا

وكذا ... الخ ، عشرات التحديات التي ساقها القرآن للبشرية جميعاً ، قال لن

تصلوا إلى كذا ، ولن تفعلوا كذا .. لن تخلقوا كذا ، وكانت هذه التحديات لكل

البشرية ولكل العصور ، وما زالت قائمة حتى الآن ، وما زالت البشرية كلها

(١) انظر مناهل العرفان في علوم القرآن للاستاذ محمد عبدالعظيم الزرقاني ، ج ١ ، ص ٢٦ ، والإعجاز

الطبي في القرآن للسيد الجميلي ، ص ٦٨ .

(٢) انظر معجزة القرآن للشيخ محمد متولي الشعراوي ، الكتاب الأول ، ص ١٣١-١٣٢ .

عاجزة أمام قدرة الله ، لماذا ؟ إن السر يكمن في كلمتين **سُبْحَانَ اللَّهِ** وليس كمثلته شيء (١) .

ومن آيات الإعجاز العلمي التي توضح الأدوار التي يمر بها الجنين وهو في عالم الغيب قبل أن تتمكن علوم التشريح والطب من تصوير هذا الجنين .
قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** ﴾
(المؤمنون ١٢-١٤) .

يقول الكاتب الفرنسي موريس بوكاي : تذكر هذه الآيات مراحل خلق الإنسان وتطور الجنين كما هو فالقرآن يتجاوب مع كل ما نعرفه اليوم عن ذلك وهو لا يحتوي أية آية ينقدها العلم الحديث (٢) .

الرجل مسئول عن إنجاب الذكر أو الأنثى ، قال تعالى : ﴿ **فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى** ﴾ (القيامة : ٣٩) .

إعجاز طبي قرآني : وهو أن الذكر أو مني الرجل مسئول عن عنصر الذكورة في اللاقحة وليست الأنثى ، وهذا يوضحه قوله تعالى : ﴿ **فَجَعَلَ مِنْهُ** ﴾ ولم يقل " فجعل منها " والرجل هو المسئول لأن الصبغي "ص" المختص بالذكورة هو في الرجل وليس في الأنثى (٣) .

(١) معجزة القرآن للشيخ محمد متولي الشعراوي ، الكتاب الأول ، ص ١٣٢ .

(٢) القرآن والعلم الحديث لموريس بوكاي ، ص ٦٠ .

(٣) انظر الإعجاز الطبي في القرآن للدكتور السيد الجميلي ، ص ٥٠ .

الفصل الثالث

المتشابه والمشكل

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : المتشابه .

ويشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول : معنى المتشابه لغة واصطلاحاً .

المطلب الثاني : أقسام المتشابه .

المطلب الثالث : حكمة ورود المتشابه .

المطلب الرابع : المتشابه في سورة النمل .

المبحث الثاني : المشكل :

ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : معنى المشكل .

المطلب الثاني : المشكل في سورة النمل .

المبحث الأول

المتشابه

ويشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول : معنى المتشابه لغة واصطلاحاً .

المطلب الثاني : أقسام المتشابه .

المطلب الثالث : حكمة ورود المتشابه .

المطلب الرابع : المتشابه في سورة النمل .

المطلب الأول

معنى المتشابه لغة واصطلاحاً

المتشابه لغة : من شبّه ومعناه المماثلة ، والمماثلة بين أمرين تعني ألاّ يتميز أحدهما عن الآخر لما بينهما من التشابه (١) .

قال ابن قتيبة : أصل التشابه : أن يُشبه اللفظ اللفظ في الظاهر والمعنيان مختلفان قال تعالى : ﴿ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ (البقرة: ٢٥) ، أي متفق المناظر مختلف الطعوم .

ويقال لكل ما غمضَ ودقّ متشابه ، وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشبه بغيره (٢) .

المطلب الثاني

المتشابه في اصطلاح العلماء وأقسامه

ينقسم المتشابه في اصطلاح العلماء إلى قسمين :

الأول المتشابه اللفظي :

وهو ما نجده بين بعض آيات القرآن ، كأن تقدم جملة في آية وتؤخر في آية ، أو نجد كلمة في آية ولا نجدها في أخرى ، مثله قوله تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ (طه ٩-١٠) وفي سورة النمل قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ (النمل: ٧) .

(١) انظر اتقان البرهان في علوم القرآن ، ج ١ ، ص ٤٨٦ .

(٢) انظر تأويل مشكل القرآن ، ص ١٠١-١٠٢ .

هذه الآيات تشتمل على ذكر رؤية موسى النار وأمره أهله بالمكث وإخباره أنه آنس ناراً وإطماعهم أن يأتيهم بنار يصطلون بها أو بخبر يهتدون به إلى الطريق التي ضلوا عنها ، لكنه نقص في سورة النمل ذكر رؤية النار اكتفاء بما تقدم (١) .

الثاني التشابه المعنوي (٢) :

قال الراغب: المتشابه ما لم يتضح معناه إلا بعد إحاطة نظر وإعمال فكر والمتشابه على ثلاثة أضرب :

١- ضرب لا سبيل للوقوف عليه كوقت الساعة وخروج الدابة من الأرض وكيفيتها ونحو ذلك وهذا ليس فيه نزاع لأنه ليس من تفسير القرآن الكريم .
٢- ضرب للإنسان سبيل إلى معرفته ، كالألفاظ الغريبة كالأب أو الاشتراك كاليد واليمين .

٣- وضرب متردد بين الأمرين يجوز أن يختص بمعرفته بعض الراسخين في العلم ويخفى على من دونهم ، وهو الضرب المشار إليه بقوله ﷺ لابن عباس " اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل (*) " (٣) .

وخلاصة الأمر في المتشابه : أن في القرآن آيات متشابهات أي غير واضحة الدلالة فإما أن تصل إليها أفهام الراسخين في العلم بعد النظر ، وإما أن تصل إليها أفهام بعض العلماء دون بعض وفهمهما إما أن يكون على وجه مفصل وإما أن يكون على وجه محتمل تحصل به فائدة للمخاطب وإن لم تصل إلى كنه المراد منه كآيات الواردة في بعض أحوال يوم القيامة .

(١) انظر أسرار التكرار للكرماني ، ص ١٧٣ .

(٢) انظر اتقان البرهان ، ج ١ ، ص ٤٨٦-٤٨٨ .

(*) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة رضوان الله عليهم ، باب فضائل عبدالله بن عباس ، ص ١٣٤٦ .

(٣) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٤٤٤-٤٤٥ ، وسائح في رياض القرآن ، ص ١٤٩ .

المطلب الثالث

حكمة ورود المتشابه

تختلف حكمة ورود المتشابه باختلاف الآراء فيه :
فالذين يرون أن المتشابه ما استأثر الله بعلمه فتلخص في أنه مما ابتلى الله به عباده وتعبدهم به فهم يؤمنون به دون أن يعلموا المراد منه (١) .
أما الذين يرون أن المتشابه ما خفيت دلالاته فيذكرون له فوائد كثيرة منها يظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم على أن يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا باستخراج معانيها والتوفيق بينها وبين الآيات المحكمات معالي الدرجات . (٢)

المطلب الرابع

المتشابه اللفظي في سورة النمل

١- قوله تعالى : ﴿ طَس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (النمل: ١) وقوله تعالى : ﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ ﴾ (الحجر: ١) لم تقدم وصف القرآنية في سورة النمل وآخر الكتاب وقدم الكتاب وآخر القرآن في سورة الحجر . (٣)

يقول الإمام الشوكاني : تقدم وصف القرآنية في سورة النمل لتقدم حال القرآنية على حال الكتابة .

(١) انظر الاتقان في علوم القرآن ، ج ٢ ، ص ٢٣ ، وإتقان البرهان ، ج ١ ، ص ٥٠٠ .

(٢) انظر الاتقان في علوم القرآن ، ج ٢ ، ص ٢٣ .

(٣) انظر أضواء على متشابهات القرآن ، ج ٢ ، ص ٨٤ .

وآخر في سورة الحجر نظراً إلى حالته التي قد صار عليها فإنه مكتوب
والكتابة سبب القراءة .(١)

٢- قال تعالى ﴿ وَأَلْقَ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا
مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ * إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ
سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النمل ١٠-١١) .

كيف وصف العصا هنا بقوله : كأنها جان ، ووصفها في سورة الشعراء
بقوله : ﴿ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ ﴾ (الشعراء : ٣٣) .

الجان هي الحية الصغيرة ، والثعبان هو الحية الكبيرة ، فالعصا كانت
كالجان سريعة الحركة مع عظم حجمها لتترك أثراً في نفس موسى ﷺ وليبيان
قدرة الله الذي يتلقى الرسالة منه وكانت العصا كالثعبان عند ملاقاته موسى ﷺ
بفرعون وقبل اجتماعه بالسحرة ، إذن فالقصة مختلفة والمكان مختلف . (٢)

٣- قال تعالى ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا
بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ﴾ (النمل: ٦٠) ، وفي
سورة إبراهيم قال تعالى : ﴿ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ﴾ (إبراهيم: ٣٢) .

* لماذا قدم في سورة النمل لفظ "لكم" وأخرها في سورة إبراهيم ؟

إن الآية التي في سورة إبراهيم ﷺ قد تقدمها قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ
الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ (إبراهيم: ٣١) ، فعلم المؤمنون أن الله غني عن
العالمين وأن المنزل من السماء إنما هو رحمة للعباد وإحياء للأرض بالثمرات
مما به صلاح العباد ، فلم يحتاج إلى تنبيههم بأن ذلك لهم إذ حالهم التذکر
والاعتبار ، أما آية النمل فقد تقدمها قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾
(النمل: ٥٩) ، فلما تضمنت تعنيفاً للمشركين على سوء عملهم وعماهم عن التفكير
والاعتبار قصد تحريكهم وإيقاظهم من رقدة الغفلة ، فقيل : ﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ ﴾

(١) انظر فتح القدير ، ج ٤ ، ص ١٥٦ .

(٢) انظر أضواء على متشابهات القرآن ج ٢ ص ٧٩ .

فحصل تنبيههم وإعلامهم أن إنزال الماء من السماء إنما هو لهم وإنه لا حاجة به سبحانه إليه ، فاستجر الكلام تعنيفهم ، ويشهد لهذا قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا إِلَهًا مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ ، أي يعدلون بربهم غيره ويعدلون بعبادته إلى عباده غيره . وكل هذا شرك لا فلاح معه .

فلما قصد في الآية الثانية ما ذكرنا قدم المجرور ، وشأنه أبداً إذا قدم إحراز معنى التنبيه حيث يقصد التحريك والإيقاظ لدى عقله ، أما إذا تأخر فلا يحرز هذا المعنى (١) .

٤- قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَنَا لَمُخْرَجُونَ * لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (النمل ٦٧-٦٨) ، وفي سورة المؤمنين قال تعالى : ﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ * قَالُوا إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَا لَمَبْعُوثُونَ * لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (المؤمنون ٨١-٨٣)

للسائل أن يسأل عن تقديم المضمرة المذكور والمعطوف عليه على المفعول الذي هو "هذا" في آية المؤمنين وعكس ذلك في آية النمل .

لما تقدم قبل آية المؤمنين قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (المؤمنون: ٦٨) ، فتقدم التعريف في هذه الآية أن آباءهم قد جاءهم الرسل وأنذروا كما أنذر هؤلاء لهذا قالوا : ﴿ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (المؤمنون: ٨٣) .

ولما تقدم في آية النمل ذكر إنذار آبائهم كان أهم شيء ذكر الموعود به الذي هو "هذا" فقالوا : ﴿ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا ﴾ (٢) .

٥- قال تعالى : ﴿ (وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ (النمل: ٨٧) ، وفي سورة

(١) انظر ملك التأويل ، ج ٢ ، ص ٧١٧-٧١٨ .

(٢) انظر ملك التأويل ، ج ٢ ، ص ٨٨٠ .

الزمر : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ (الزمر: ٦٨) .
خصت سورة النمل بقوله "ففرع" موافقة لقوله تعالى : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴾ (النمل: ٨٩) ، وخصت سورة الزمر بقوله تعالى "فصعق" موافقة لقوله : ﴿ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ (الزمر: ٣٠) ؛ لأن معنى الصعق الموت (١) .

٦- قال تعالى : ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (النمل: ٩١) ، وفي سورة يونس قال تعالى : ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس: ١٠٤) .
للسائل أن يسأل عن اختصاص سورة يونس بالمؤمنين وفي سورة النمل بالمسلمين .

قبل هذه الآية في سورة يونس قوله : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس: ١٠٣) ، فقال بعده وأمرت أن أكون من المؤمنين أما في سورة النمل فإن قبل هذه الآية منها : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (النمل: ٨١) ، فكأنه قال أمرت أن أكون ممن إذا سمع بآياته آمن بها وكان من المسلمين الذين مدحوا بأن النبي ﷺ يسمعهم ، أي ينتفعوا بما يستمعون منه فلما تقاربت اللفظتان وكانتا تستعملان لمعنى واحد حملت كل واحدة منهما على اللفظ الذي تقدمها ولاعماها (٢) .

(١) أسرار التكرار ، ص ١٥٨ .

(٢) درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز ص ٢١٥ .

المبحث الثاني

المشكل

ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : معنى المشكل .

المطلب الثاني : المشكل في سورة النمل .

المطلب الأول معنى المشكل

من أشكل أي دخل في شكل غيره فاشبهه وشاكله ثم يقال لما غمض وإن لم يكن غموضه من هذه الجهة أي جهة الشبه بغيره مشكل . (١)

المطلب الثاني المشكل في سورة النمل

١- قال تعالى : ﴿ طَسَ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (النمل : ١) .
لم نكر الكتاب وعرّف القرآن ؟

ليبهم بالتنكير فيكون له أعظم وأجل . (٢)

٢- قال تعالى ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ (النمل: ٧) .

من المعلوم أنه لم يكن مع موسى ﷺ إلا زوجته فكيف قال ﴿ سَآتِيكُمْ ﴾ ثم قال ﴿ أَوْ آتِيكُمْ ﴾ ثم قال ﴿ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ بصيغة جمع الذكور وهي وحدها وليس معه غيرها ؟

ذكر الصاوي في حاشيته على الجلالين أن المقصود من قوله "لأهله" ، أي زوجة موسى ﷺ وهي بنت شعيب ﷺ وولده وخادمه . (٣)

وذكر ابن عاشور أن المراد بالأهل هو زوجة موسى ﷺ وابنان صغيران أي أن خطاب موسى ﷺ كان يتناسب مع المخاطبين (٤) .

٣- قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ من كان في النار ؟ ومن كان حولها حتى يباركه الله .

(١) تأويل مشكل القرآن ، ص ١٠١-١٠٢ .

(٢) انظر أضواء على متشابهات القرآن ، ج ٢ ، ص ٨٤-٨٥ .

(٣) انظر حاشية الصاوي على الجلالين ، ج ٣ ، ص ١٥٥ .

(٤) انظر تفسير التحرير والتنوير ، ج ١٩ ، ص ٢٢٥ .

المراد بمن في النار هو نور الله الذي تجلى لموسى عليه السلام في النار بآياته سبحانه وكلامه فيها ، ولا خلاف أن من حولها هم الملائكة الذين وكلوا بها (١) .
قال ابن عاشور : المراد بمن في النار هو موسى عليه السلام ، فإنه لما حل في موضع النور صار محيطا به ، فتلك الإحاطة تشبه إحاطة الظرف بالمظروف ، فعبر بـ "من في النار" هو موسى عليه السلام (٢)

٤- قال تعالى : ﴿ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ * إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النمل: ١٠-١١)

الآية توهم أن بعض المرسلين ظلموا ، لم يقع الاستثناء من المرسلين وإنما وقع من معنى مضمرة في الكلام كأنه قال لا يخاف لدي المرسلون بل غيرهم الخائف . (٣)

٥- قوله تعالى : ﴿ وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرَتًا مَكَرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (النمل: ٥٠) .
ما معنى المكر منه سبحانه وتعالى ؟ المكر منه تعالى هو المجازاة على مكرهم والله أعد لهم . فمكرهم ظلم ومكر الله عدل إنما أضاف المكر إلى نفسه من باب مزوجة الكلام . (٤)

٦- قال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ نَاتٍ بِهَجَةٍ ﴾ (النمل: ٦٠) .

لِمَ قَالَ ﴿ فَأَنْبَتْنَا بِهِ ﴾ ولم يقل "فأنبت به" تبعاً لسياق الكلام ؟
للتأكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والإيدان بأن إنبات الحدائق المختلفة الأصناف والألوان والطعوم والروائح والأشكال مع حسنها وبهجتها بماء واحد لا يقدر عليه إلا الله ، ألا ترى كيف رشح الاختصاص قوله ﴿ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ﴾ ومعنى ما كان أن تأتي ذلك محال من غيره (٥) .

(١) انظر أضواء على متشابهات القرآن ، ج ٢ ، ص ٨٥ .

(٢) انظر التحرير والتنوير ، ج ١٩ ، ص ٢٢٦ .

(٣) انظر تأويل مشكل القرآن ، ص ٢١٨ .

(٤) انظر أضواء على متشابهات القرآن ، ج ٢ ، ص ٨٧-٨٨ .

(٥) انظر أضواء على متشابهات القرآن ، ج ٢ ، ص ٨٨ .

٧- قال تعالى : ﴿ أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ ﴾ في خمس آيات :

فختم الآية الأولى بقوله تعالى : ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ (النمل: ٦٠) ،
وختم الآية الثانية بقوله تعالى : ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (النمل: ٦١) ، وختم
الآية الثالثة بقوله تعالى : ﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (النمل: ٦٢) ، وختم الآية الرابعة
بقوله تعالى : ﴿ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (النمل: ٦٣) ، وختم الآية الخامسة
بقوله تعالى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (النمل: ٦٤) .

تناسب نواهي الآيات على معنى تلك الآيات فكان المعنى : عدلوا إلى
الذنوب وأول الذنوب : العدل عن الحق ، ثم لم يعلموا ، لو عملوا ما عدلوا ثم
لم يذكروا فيعلموا بالنظر والاستدلال ، فأشركوا عن غير حجة وبرهان
قل لهم يا محمد ﷺ ﴿ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (النمل: ٦٤) (١) .
واعتقب كل واحدة من هذه الجمل قوله تعالى : ﴿ أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ ﴾ على
سبيل التوكيد والتقرير أنه لا إله إلا هو تعالى (٢) .

٨- قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا ﴾ (النمل: ٨٣) .

إن دخول (من) في لكلام يوجب التبويض فدل ذلك على أن المشار إليه
في هذه الآية يحشر فيه قوم دون قوم وليس في ذلك صفة يوم القيامة الذي يقول
الله فيه ﴿ وَحَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ (الكهف: ٤٧) .

المراد باليوم هنا يوم القيامة والمراد بالفوج من الرؤساء والمتبوعين في
الكفر حشروا وجمعوا لإقامة الحجة عليهم ، أي جعل لهم موقفاً خاصاً
اهتماماً بعقابهم (٣) .

٩- قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي
الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ (النمل: ٨٧) .

لَمْ قَالَ فَفَزِعَ وَلَمْ يَقُلْ فَيَفْزَعُ ؟

(١) اسرار التكرار للكرماني ، ص ١٥٨ .

(٢) تفسير البحر المحيط لأبي حيان ، ج ٧ ، ص ٨٦ .

(٣) انظر أضواء على متشابهات القرآن ، ج ٢ ، ص ٨٩ .

ذلك لئلا تكون هي الإشعار بتحقيق الفزع وثبوته وأنه كائن لا محالة واقع على أهل السموات والأرض .

ولم قال ﴿ وَكُلُّ أَتَوَهُ دَاخِرِينَ ﴾ والوجه أن يقال " وكل أتاه داخراً".

لأن التتوين بدل عن مفرد ومقتضى المطابقة ذلك .

وقال آخرون الجمع مراعاة لإفراد الناس والمناسبة رؤوس الآيات . (١)

(١) انظر أضواء على متشابهات القرآن ، ج ٢ ، ص ٩٠ .

الخاتمة

بعد أن أكرمني الله تعالى بإتمام هذا البحث ، تبين لي من خلاله ما يلي :

التمهيد :

للسورة ثلاثة أسماء وهي : سورة النمل ، وسورة سليمان عليه السلام ، وسورة الهدى .

سورة النمل كلها مكية ، وآياتها ثلاث وتسعون ، وهي السورة السابعة والعشرون في ترتيب المصحف .

نزلت سورة النمل في المرحلة المتقدمة من الجهر بالدعوة إلى الله في جو مشحون بالمواجهة والتحدي للمشركين .

ومن خلال دراسة علاقة سورة النمل بما قبلها - سورة الشعراء - وما بعدها - سورة القصص - تبين وجود ترابط وتناسب واضح بين السور الثلاث .

الفصل الأول : تنقسم السورة إلى سبعة عشر مقطعاً مترابطاً ومتناسقاً في تحقيق غرضها الأساس وهو تثبيت العقيدة الصحيحة وهي عبادة الله وحده لا شريك له ، وتخدم محورها الأساس (الرسالة وجدية القيادة) .

الفصل الثاني : عرضت السورة عدة موضوعات هامة بحثت بالتفصيل وهي : رسالة القرآن كتاب هداية للمؤمنين في شتى نواحي الحياة بشقيها العلمي والعملية والديني والأخروي .

فقصة موسى عليه السلام تمثل رسالة الداعي إلى الله المزود بالآيات المعجزات التي هي أقوى من قوة الجيوش العاتية مثل قوة فرعون وجنوده .

حاور موسى عليه السلام فرعون في ادعائه الألوهية ، فرد فرعون على ذلك بالكيد لموسى عليه السلام ، فاستدرج الله فرعون في طريق ظنه فرعون مكرمة له بأن فتح له طريق في البحر يمشي عليه ليصل إلى موسى عليه السلام فيقتله ومن معه ، فأهلك الله تعالى فرعون وجنوده ونجا الله موسى ومن معه .

وبعد ذكر موسى عليه السلام ذكرت السورة رسالة داود وسليمان عليهما السلام وهم من بني إسرائيل ، وورثة سليمان لداود عليهما السلام وما آتاه الله

مما لا ينبغي لأحد من العالمين ، ومن ذلك تعليمه منطق الطير بأجناسها وأنواعها المختلفة ، فقصة النملة الصارخة على أخواتها النملات بالدخول إلى بيوتها خوفاً عليها وسلامة لها ، امتثلت النملات لنداء قيادتها فنجت .

ثم ترسم الآيات شخصية لطائر صغير يمثل القيادة الحكيمة العاملة لإقرار الوجدانية لله على الأرض ، ويعجب الهدهد لرؤية ملكة وقومها يسجدون للشمس من دون الله تعالى ، تفكر الهدهد لهؤلاء القوم بالهداية ، فأخبر سليمان عليه السلام بما رأى ، فكتب سليمان عليه السلام كتاباً وأرسله مع الهدهد يدعوهم فيه إلى الله ولا يقبل غير ذلك .

بعد أن شاورت قومها استجابت الملكة لدعوة سليمان عليه السلام فأسلموا جميعاً ، ثم ذكرت السورة صالحاً عليه السلام وهو من العرب حيث دعا قومه إلى الله فانقسم قومه إلى فريقين : مؤمن موحد لله ، وكافر يجادل في الله ويطلب المعجزات كأن يخرج لهم من الصخر ناقة ، واستجاب الله لنبيه صالحاً ما طلبوا فأخرج لهم من الصخر ناقة ، وعاشت الناقة بينهم تأكل وتشرب ، ولكن عادة الأشرار والمجرمين التعدي على آيات الله فقتلوا الناقة ، ثم فكروا بقتل صالح عليه السلام ودبروا له مكيدة ، ولكن الله عاجلهم بالعقوبة فقتلهم جميعاً ، وهذا جزاء من يخالف نهج الأنبياء عليهم السلام .

ثم تأتي قصة لوط عليه السلام في رسالة واضحة لتصحيح مسيرة قوم درجوا على جريمة لم يسبقهم إليها أحد من العالمين ، وهي إتيان الرجال شهوة من دون النساء ، فنصحهم نبيهم عليه السلام وحذرهم فأبوا إلا الاستمرار على إجرامهم ، فجاءت الملائكة على صورة رجال ضيوف عند نبي الله لوط عليه السلام ، فعلم القوم بضيوف لوط عليه السلام ، فجاء المجرمون لبيت لوط عليه السلام ليأخذوا الضيوف ، فوقف لهم لوط عليه السلام حزيناً لما يحدث إلى ضيوفه فقام أحد الضيوف فضربهم ضربة واحدة فطمست أعينهم ودمر الله تعالى مدنهم بأن جعل عاليها سافلها ، وأنجى الله لوطاً ومن آمن معه .

ثم بينت السورة أدلة الوجدانية والقدرة المتحققة في النفوس والآفاق وأن هذا الكون من إبداع الله تعالى وقدرته ، وأن القلوب تتوجه إلى الله ، فبعد دعوة الأنبياء والمرسلين أقوامهم إلى الله وتذكيرهم بيوم القيامة وحساب الناس أمام الله .

جاءت آمارات القيامة رسالة دالة على ذلك مثل إخراج الدابة التي تكلم الناس بموعد الله وتحققه ، وما يتبعها من النفخ في الصور الذي فيه يصعق الناس إلا ما شاء الله ، ثم تسيير الجبال وزوالها .

ثم ختمت السورة بدعوة النبي عليه السلام لتلاوة القرآن والاشتغال بدعوة الناس إلى الله تعالى .

هذا هو جهد الطالب المتواضع فإن أحسنت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان فأسأل الله العفو والمغفرة إنه نعم المولى ونعم النصير .
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفهارس

- أولاً : فهرس الآيات .
- ثانياً : فهرس أطراف الأحاديث النبوية .
- ثالثاً : فهرس المصادر والمراجع .
- رابعاً : فهرس الموضوعات .

أولاً : فهرس الآيات القرآنية
سورة الفاتحة

الرقم	طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
١	بسم الله الرحمن الرحيم	١	٨٣

سورة البقرة

الرقم	طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
١	هدى للمتقين	٢	١٩٢
٢	وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله	٢٣	٢٢
٣-	وأتوا به متشابهاً	٢٥	٣١٠
٤-	خلق لكم ما في الأرض جميعاً	٢٩	٣٠٢
٥-	قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل	١٣٦	١٨٨
٦-	هدى للناس	١٥٨	١٩٢-١٩١
٧-	سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة	٢١١	٢٣
٨-	ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه	٢٣١	
٩	إن آية ملكه أن يأتكم التابوت فيه سكينه من ربكم .. تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين	٢٤٨	٢٣
		٢٥٢	١٧٨
١٠	فبهت الذي كفر	٢٥٨	٢٣٠-٢٢٨
١١	وإذ قال إبراهيم ربّ أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى	٢٦٠	٢٢٧

سورة آل عمران

الرقم	طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
-------	-----------	-------	------------

٢٦٢	١٥	فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم	١
٢٥٩	١٥٩	فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله	٢
٢٥٣	١٧٣	قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل	٣

سورة النساء

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية	الرقم
١٩٣	١	يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة	١
٣٠٦	٧٨	أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وآتينا داود زبوراً	٢
٢١٩	١٦٣		
٥٢	١١٠	ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً	٣-

سورة المائدة

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية	الرقم
١٩٣	١١٦	تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك	١

سورة الأنعام

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية	الرقم
٣٠٠	٣٨	وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم	١
٢٥	٩٧	وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها	٢

سورة الأعراف

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية	الرقم
١٢	١	المر	١
٢٣٥	٧٣	يا قوم هذه ناقه الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله	٢

٢٣٤	٧٥	قال المأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم	٣
٢٣٤	٧٦	قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون	٤
٢٣٢	٧٧	يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين	٥
٢١٣	١٢٢-١١٥	قالوا يا موسى إما أن تلقي	٦
٢١٣	١٢٩	أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا	٧

سورة التوبة

الرقم	طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
١	لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه	١٢٨	١٩٩

سورة الأنفال

الرقم	طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
١	يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول	٢٤	٢٥٩

سورة يونس

الرقم	طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
١	ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقاً علينا ننجي المؤمنين تفصيل كل شيء	١٠٤	٣١٥
٢	ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم	١٥٧	١٨٩

سورة هود

الرقم	طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
١	وكللاً نقص عليك من أنباء الغيب ما ثبت به فؤادك	٥	
٢	يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة منه فعميت عليكم	٢٨	٢٣٠
٣	تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك	٤٩	٢٠٠
٤	يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره	٦١	١٨٠
٥	يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا	٦٢	٢٣٥-٢٣٣
٦	فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب	٦٤	٢٣٥-١٨٠
٧	تمتعوا في داركم ثلاثة أيام	٦٥	٢٣٧-١٨١
٨	ولما جاءت رسلنا سيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يوم عصيب قال لقد علمت ما لنا في بناتك	٧٧-٧٨	٢٤٣
٨	قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد	٨٠	٢٤٣

الرقم	طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
٩	يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك	٨١	٢٤٤
١٠	فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود	٨٢-٨٣	٢٤٥-١٨١
	وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به	١٢٠	١٩٩

سورة يوسف

الرقم	طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
١	وما أبريء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا من رحم ربي	٥٣	١٩٤
٢	وتفصيل كل شيء	١١١	٢٤

سورة الرعد

الرقم	طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
١	المص	١	١٢

سورة إبراهيم

الرقم	طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
١	الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور	٢-١	١٨٨
٢	قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة	٣١	٣١٣
٣	الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماءً	٣٢	٣١٣
٤	يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار	٤٨	٢٥٧

سورة الحجر

الرقم	طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
١	الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين	١	٣١٢
	إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون		

٢٨	٩		
----	---	--	--

الرقم	طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
٢	وجاء أهل المدينة يستبشرون قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون	٧١-٦٧	٢٤٣
٣	إنها لبسبيل مقيم	٧٦	٢٤٦

سورة النحل

الرقم	طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
١	وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون	٣٣	٤٦
	وتبيناً لكل شيء		
		٨٩	٢٤
٢	إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى	٩٠	١٩٦

سورة الإسراء

الرقم	طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
١	يهدي للتي هي أقوم	٩	١٩٨
	وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم		
		٤٤	٢٦٩
٢	يهدي للتي هي أقوم	٤٩	١٩٠
٣	وآتينا داود زبوراً	٥٥	١٧٩
٤	ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات	١٠١	٤٤

سورة مريم

الرقم	طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
١	واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً	٥٣-٥١	٢٠٥
٢	إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً	٩٣	٢٥٢

سورة طه

الرقم	طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
١	هل أتاك حديث موسى إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً	٩	٣١٠

الرقم	طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
٢	يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى	١٢-١١	٢٠٧
٣	وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري	١٤-١٣	٢٠٧ ٢٠٨
	خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى	٢١	٢٠٩
٤	اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري اذهباً .. فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل	٤٣-٤٢ ٤٧	٢٠٩-١٧٩ ٢٠٩
٥	لا تخف إنك أنت الأعلى وألق ما في يمينك	٦٩-٦٨	٢١٢
	وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً	٨٢ ١٠٧-١٠٥	٥٢ ٢٥٥

سورة الأنبياء

الرقم	طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
١	وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي	٢٥	١٩٩
	ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها	٨١	٢٢١
٢	وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم	٧٩-٧٨	٢٢٠
٣	وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم	٨٠	٢١٩
٤	ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض	١٠٥	٢٢٠

سورة المؤمنون

الرقم	طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
-------	-----------	-------	------------

٣٠٢	٢٠	وشجرة تخرج من طور سيناء	١
٢٣	٥٠	وجعلنا ابن مريم وأمه آية	٢
٣١٤	٨٣-٨١	بل قالوا مثل ما قال الأولون قالوا أنذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أننا لمبعوثون	٣

سورة النور

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية	الرقم
٣٠٢	٣٥	يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية	١

سورة الفرقان

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية	الرقم
١٩٣	٢٩-٢٧	ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً	١
١٧٤	٥٢	فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً	٢

سورة الشعراء

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية	الرقم
١٢	٢-١	طسم تلك آيات الكتاب المبين	١
١٥	٣	لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين	٢
١٥	٤	إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين	٣
١٥	٥	وما تأتيهم من ذكرٍ من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين	٤
١٥	٦	فقد كذبوا فسيأتتهم أنباء ما كانوا به يستهزئون	٥
١٤	١٦	إنا رسول رب العالمين	٦
٢١٠	٢٠-١٨	قال فعلتها إذا وأنا من الضالين ففرت منكم لما خفتكم	٧
٢١٠	٢٢	تلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل	٨
٢١٠-١٤	٢٣	رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين	٩

١٤	٢٦	قال ربكم ورب آبائكم الأولين	١٠
٢١١	٢٩	قال لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين	١١
٢١١	٣٠	قال أولو جنّتك بشيء مبين	١٢
٢١١	٣١	قال فأنت به إن كنت من الصادقين	١٣
٣١٣	٣٣	فإذا هي ثعبان	١٤
٣٠	٣٨	وزين لهم الشيطان أعمالهم	

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية	الرقم
١٨١-١٣	١٠٨	فاتقوا الله وأطيعون	١٥
٢٣٤	١٥٣	قال إنما أنت من المسحرين	١٦
٢٣٤	١٥٤	ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين	١٧
٢٣٥	١٥٥	لها شرب ولكم شرب يوم معلوم	١٨
٢٤١	١٦٠	كذبت قوم لوط المرسلين إذ قال لهم أخوهم لوط	١٩
١٥	٢١٣	فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين	٢٠
١٦-٤	٢١٤	وأنذر عشيرتك الأقربين	
١٦	٢١٩	وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم ...	٢١
	٢٢٠	إنه هو السميع العليم	٢٢
١٤	٢٢١	هل أنبئكم على من تنزل الشياطين	٢٣
١٤	٢٢٢	تنزل على كل أفك أثيم	٢٤
١٤	٢٢٣	يلقون السمع وأكثرهم كاذبون	٢٥
١٤	٢٢٤	والشعراء يتبعهم الغاؤون	٢٦
١٥	٢٢٧	وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون	٢٧

سورة القصص

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية	الرقم
١٢	٢-١	طسم تلك إلى الكتاب	١
١٦	٨-٧	وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه	

٢٠٨		فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني	
	٩	وحرمنا عليه المراضع من قبل	٢
٢٠٨	١٣	فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق	٣
١٧	٢٠	وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملائم يأترون بك	٤
٢٠٦-٣٨	٣٠	نودي من شاطيء الواد الأيمن من البقعة المباركة ..	٥
٢٠٧	٣١	أقبل ولا تخف إنك من الأمنين	٦

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية	الرقم
٢٠٩	٣٢	اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء ...	٧
٢١١	٣٨	وقال فرعون يا أيها الملائم ما علمت لكم من إله غيري	٨
٢١٥	٣٩	واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق	٩
٢١٥-١٧	٤٠	فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين	١٠
٢٩٤	٤٤	وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين	١١
١٨	٥٦	إنك لا تهدي من أحببت	
١٨	٦٢	ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون	١٢
١٧	٧١	قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله	١٣
	٨١	فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه	١٤

سورة العنكبوت

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية	الرقم
------------	-------	-----------	-------

٢٤٢	٢٩ ائتتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين	١
١٩٢	٤٣	وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون	٢
١٢٣	٦٥		

سورة الروم

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية	الرقم
٢٩٧	٣-١	ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين	١
٢٣	٢٢	ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم	٢
	٢٥	هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه	٣
٢٥٢	٣٥	ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ...	٤

سورة لقمان

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية	الرقم
٤٦	١٣ إن الشرك لظلم عظيم	١
	١٦ ألا لعنة الله على الظالمين	٢
٣٠٦	٣٤	إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام	٣

سورة سبأ

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية	الرقم
٢١٨-١٨٠	١٠	ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أوبي معه والطير	١
٢١٨	١١	وأنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد ...	٢
٢٢٢	١٢	ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر	٣
٢٢٢	١٣	ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن الله ومن يزغ منهم عن أمرنا	٤
٢٢٤	١٤	فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته	٥

١٨٩	٢٨	وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً	٦
-----	----	---	---

سورة فاطر

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية	الرقم
٢٥٢	٩	والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت	١
	٣٢	فمنهم ظالم لنفسه	٢

سورة يس

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية	الرقم
١٢	١	يس	١
٢٢٧	٧٨	وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم	٢

سورة الصافات

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية	الرقم
٢٠٠	١٠٢	يا أبت افعل ما تؤمر	١
٢٤٦	١٣٧-١٣٨	وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون ..	٢

سورة ص

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية	الرقم
٧	٤	وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب	١
٧	٥	أجعل الآلهة إلهاً واحداً	٢
٢١٩	٢٠	وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب	٣
٢٢١	٣٠	ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب	٤
٢٢١	٣٤-٣٥	ولقد فتننا سليمان وألقينا على كرسيه	٤
٢٢٢-٦٢	٣٧	والشياطين كل بناء وغواص	٥

سورة الزمر

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية	الرقم
-٢٥٣-٣١٤ ٢٥٤	٦٨	ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا	١

سورة غافر

الرقم	طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
١	وقال موسى إني عدت بربي وربكم من كل متكبر ..	٢٦-٢٧	٢١٤

سورة فصلت

الرقم	طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
١	حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته ...	١-٣	٦
٢	لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه	٢٦	٢١
	فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات	١٥	١٩٩

سورة الشورى

الرقم	طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
١	والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم	٣٨	٢٥٩
٢	وجزاء سيئة سيئة	٤٠	٤٦

سورة الزخرف

الرقم	طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
١	وأخذناهم بالعذاب لعلمهم يرجعون وقالوا يا أيها الساحر	٤٨-٤٩	٢١٥
٢	فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون	٥٠	٢١٥
٣	فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين	٥٤	٢١٥

سورة الدخان

الرقم	طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
١	حم والكتاب المبين	١	٢٤

سورة الأحقاف

الرقم	طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
١	قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل	١٠	١٨٩

سورة الحجرات

الرقم	طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
١	يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم	١٣	١٩٤

		شعوباً وقبائل
--	--	---------------------

سورة الذاريات

الرقم	طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
١	فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بسلام عليم	٢٨	٢٤٢
٢	قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين لنرسل عليهم	٣١-٣٣	٢٤٢
٣	فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين	٣٦	١٨١

سورة القمر

الرقم	طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
١	فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه إنا لفي ضلال وسعر ..	٢٥	٢٣٤

الرقم	طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
٢	أعلقى الذكر عليه من بيننا	٢٦	٢٣٤
٣	إنا مرسلو الناقة فتنة لهم	٢٧	٢٣٥
٤	إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر	٣١	١٨١-٢٣٨
٥	ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر	٣٧	٢٣٥-٢٤٤

سورة الواقعة

الرقم	طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
١	وبست الجبال بساً فكانت هباءً منبثاً	٥-٦	٢٥٦

سورة التحريم

الرقم	طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
١	ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا	١٠	٢٤٥

سورة الحاقة

الرقم	طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
١	وحملت الجبال فدكتنا دكة واحدة	١٤	٢٥٦

سورة المدثر

الرقم	طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
١ فإذا نقر في الناقور	٨	٢٥٢

سورة القيامة

الرقم	طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
١	لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة	٢-١	١٩٣
٢	أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوي بنانه	٤-٣	٣٠٥
٣	فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى	٣٩	٣٠٧

سورة النبأ

الرقم	طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
١	وسيرت الجبال فكانت سراباً	٢٠	٢٥٧

سورة الطارق

الرقم	طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
١	فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق	٦-٥	٣٠٥

سورة الفجر

الرقم	طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
١	يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية	٣٠-٢٧	١٩٤

سورة الشمس

الرقم	طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
١	ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها	١٠-٧	١٩٣

سورة المسد

الرقم	طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة

٢٩٥-٥	٣-١	تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى ناراً ذات لهب	١
-------	-----	---	---

ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

رقم الصفحة	طرف الحديث	الرقم
٤	اقروا الزهراوين البقرة وآل عمران	١
٥	يا بني فهر ، يا بني عدي لبطن قريش	٢
٦	اجتمعت قريش ... فقال رسول الله ﷺ فرغت ، قال : نعم ، قال رسول الله ﷺ : "بسم الله الرحمن الرحيم حم"	٣
٧	فقال يا عم إني إنما أريدهم على كلمة واحدة تدين لهم العرب	٤
٨	يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا	٥
٨	بينما النبي ﷺ ساجد وحوله ناس من قريش جاء عقبه بن أبي معيط	٦
٨	لقد كان من قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحمه ..	٧
١٠	ننزل غداً إن شاء الله بخيف بني كنانة	٨
١٨٩	ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشي على وجه الأرض من أهل الجنة إلا لعبد الله	٩
٨١	تصافحوا يذهب الغل وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء	١٠
٦٤	أن نملة قرصت نبياً من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرقت	١١
٥٧	لا نورث ما تركنا فهو صدقة	١٢
١٠٧	أقروا الطير على وكناتها	١٣
١١٤	من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به	١٤
١١٤	من وقع على بهيمة فاقتلوه واقتلوا البهيمة معه	١٥
	قال الله عز وجل : "ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخاقي فليخلقوا ذرة أو ليقضوا حبة أو ليقضوا شعيرة"	١٦
١٥٨	ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً : طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض	١٧

	رحمة الله على لوط لقد كان يأوي إلى ركن شديد ، يعني الله تعالى	١٨
٢٤٩	يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر أول خرجة بأقصى اليمن	١٩
٢٥٠	تخرج الدابة ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتجلوا وجه المؤمن بالعصى وتخطم أنف الكافر	٢٠
رقم الصفحة	طرف الحديث	الرقم
٢٥١ قرن ينفخ فيه	٢١
٢٥٢	خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه	٢٢
	قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل	٢٣
٢٥٤ ما بين النفختين أربعون	٢٤
٢٦٤ من استشاره أخوه فأشار عليه بغير رشده فقد خانته	٢٥

ثالثاً : فهرس المصادر والمراجع

١. إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر لأحمد بن محمد الدمياطي المتوفى سنة ٣٧٠هـ .
٢. إتقان البرهان في علوم القرآن للدكتور فضل حسن عباس - دار الفرقان - إربد - الأردن .
٣. أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي سنة ٤٦٨-٥٤٣هـ - تحقيق علي محمد البجاوي - دار الفكر .
٤. أساس البلاغة - تأليف محمود بن عمر الزمخشري سنة ٤٦٧-٥٣٨هـ - دار صادر بيروت .
٥. أسد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين بن الأثير - تحقيق وتعليق محمد إبراهيم البنا دار الشعب - القاهرة .
٦. أسرار التكرار في القرآن - محمود حمزة الكرمانى المتوفى سنة ٥٠٥هـ - دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا - دار بوسلامة - تونس .
٧. أسلوب المحاوراة في القرآن الكريم للدكتور عبد الحليم حفنى - مطبعة السنة المحمدية عابدين - القاهرة .
٨. أشهر النساء في التاريخ للمهندس أحمد الجبالي - المركز العربي الحديث - القاهرة .
٩. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - تأليف محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي المتوفى سنة ١٣٩٣هـ - خرج آياته وأحاديثه الشيخ محمد عبد العزيز الخالدي دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
١٠. أضواء على متشابهات القرآن بقلم الشيخ خليل ياسين - منشورات دار ومكتبة الهلال - الطبعة الثانية - بيروت .
١١. أنبياء الله للكاتب أحمد بهجت - دار الشروق - القاهرة .
١٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل تأليف القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي المتوفى سنة ١٣٠٥هـ - شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .
١٣. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر - دكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي - الطبعة الأولى - الرياض - المملكة العربية السعودية .

- ١٤ . الإتيان في علوم القرآن للإمام أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
- ١٥ . الأحاديث القدسية - مجموعة من العلماء - الطبعة الأولى سنة ١٤٠٢هـ - دار الفكر بيروت - لبنان .
- ١٦ . الأساس في التفسير تأليف الإمام سعيد حوى المتوفى سنة ١٩٨٩م - دار السلام للطباعة .
- ١٧ . الإعجاز الطبي في القرآن للدكتور السيد الجميلي - دار ومكتبة الهلال - بيروت .
- ١٨ . الإعجاز العلمي في القرآن الكريم للدكتور عبد السلام اللوح - مكتبة آفاق - غزة - فلسطين .
- ١٩ . الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل بهجت عبد الواحد صالح - الطبعة الثانية - دار الفكر - عمان - الأردن .
- ٢٠ . الإيجابية في حياة الداعية للدكتور عادل الشويخ - رسائل العين ٥ - دار البشير للثقافة والعلوم - طنطا .
- ٢١ . البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل بن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ .
- ٢٢ . البداية والنهاية للإمام إسماعيل بن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ - حققه الدكتور أمدم أبو ملح وغيره - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
- ٢٣ . البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشي سنة ٧٤٥-٧٩٤هـ - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - مكتبة دار التراث - القاهرة .
- ٢٤ . التحرير والتنوير - تأليف الإمام محمد الطاهر بن عاشور المتوفى سنة ١٨٦٨م - دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس .
- ٢٥ . التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة - تأليف شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي المتوفى سنة ٦٧٢هـ - مكتبة أبو بكر أيوب - نيجيريا - كانو .
- ٢٦ . التفسير العلمي للقرآن الكريم في الميزان - دكتور أحمد عمر أبو حجر - الطبعة الأولى سنة ١٤١١هـ - دار قتيبة للطباعة والنشر - بيروت - دمشق .
- ٢٧ . التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي فخر الدين محمد الرازي المتوفى سنة ٥٤٤هـ - الطبعة الثانية - دار الكتب العلمية - طهران .

٢٨. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج - تأليف الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي
دار الفكر المعاصر - بيروت - لبنان - دار الفكر - دمشق - سورية .
٢٩. التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق - تأليف الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي
دار النفائس - الأردن .
٣٠. الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى
سنة ٦٧١هـ - راجعه وضبطه وعلق عليه دكتور محمد إبراهيم الحفناوي ، وخرج
أحاديثه دكتور محمود حامد عثمان - دار الحديث - القاهرة .
٣١. الدليل المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للدكتور حسين محمد فهمي الشافعي -
الطبعة الأولى سنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م - دار السلام - القاهرة .
٣٢. الشورى في الإسلام - د. محمد بركة .
٣٣. الشورى في الإسلام للمحامي محمود بابلي - دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت .
٣٤. العلم يدعو للإيمان - تأليف أ. كريس موريسون - ترجمة محمود صالح الفلكي -
مكتبة النهضة المصرية .
٣٥. القرآن والعلم الحديث بقلم دكتور موريس بوكاي - ترجمه على العربية دكتور نبيل
عبد السلام هارون - دار الطلائع - القاهرة .
٣٦. القرآن وعالم الحيوان - تأليف محمد محمود عبد الله - دار الشواف - بيروت - لبنان .
٣٧. الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه أهل التأويل - تأليف أبي القاسم
جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي سنة ٤٦٧-٥٣٨هـ - دار الفكر .
٣٨. اللباب في علوم الكتاب - تأليف أبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي
المتوفى سنة ٨٨٠هـ - تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي
محمد معوض - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
٣٩. الله يتجلى في عصر العلم - أشرف على التحرير جون كلوفر مونسما - راجعه وعلق
عليه دكتور محمد جمال الفندي .
٤٠. المختار الصحاح - تأليف محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي المتوفى سنة
٦٦٦هـ - الطبعة الأولى سنة ١٩٦٧م - دار الكتب العربي - بيروت .
٤١. المستدرک على الصحيحين في الحديث للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف
بالحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥هـ - مكتبة المعارف بالرياض .

- ٤٢ . المعجم العربي الأساسي - تأليف جماعة من كبار اللغويين العرب - تونس .
- ٤٣ . النشر في القراءات العشر لأبي الخير محمد بن محمد الدمشقي المشهور بابن الجزري المتوفى سنة ٨٣٣هـ - أشرف على تصحيحه ومراجعته للمرة الأخيرة علي محمد الضباع - دار الفكر .
- ٤٤ . النكت والعيون - تفسير الماوردي تصنيف أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري المتوفى سنة ٣٦٤-٤٥٠هـ - راجعه وعلق عليه السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم - مؤسسة الكتاب الثقافية .
- ٤٥ . بحث في قصص القرآن بقلم السيد عبد الحافظ عبد ربه - دار الكتاب اللبناني - بيروت .
- ٤٦ . بهجة المعارف - موسوعة - المجموعة ٤ الحياة - ترجمة دكتور خليل الجسر - الشركة العربية للنشر والتوزيع - طرابلس - ليبيا .
- ٤٧ . تأويل مشكل القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة - المكتبة العلمية - المدينة المنورة .
- ٤٨ . تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير للإمام عبد الحميد بن محمد ابن باديس الصنهاجي سنة ١٣٠٨هـ-١٣٥٩هـ - جمع وترتيب د. توفيق محمد شاهين - محمد صالح رمضان - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
- ٤٩ . تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي المتوفى سنة ٧٤٥هـ - دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
- ٥٠ . تفسير الدر المنثور للإمام جلال الدين السوطي المتوفى سنة ٩١١هـ - الكتب العلمية الطبعة الأولى - بيروت .
- ٥١ . تفسير القرآن العظيم للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ - تحقيق ناصر الدين الألباني - الطبعة الأولى سنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م - مكتبة الصفا - القاهرة .
- ٥٢ . تفسير المراغي تأليف الأستاذ أحمد مصطفى المراغي المتوفى سنة ١٣٧١هـ - الطبعة الثانية ١٩٨٥م - دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- ٥٣ . تفسير النسفي لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي المتوفى سنة ٧١٠هـ - دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي - القاهرة .

٥٤. تفسير روح المعاني لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود - دار إحياء التراث العربي بيروت .
٥٥. تقريب التهذيب لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد المعروف بابن حجر العسقلاني سنة ٧٧٣-٨٥٢هـ - حققه وعلق عليه مسعد عبد الحميد السعداني - مكتبة دار القرآن - عابدين - القاهرة .
٥٦. جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ - ضبط وتوثيق وتخريج صدقي جميل العطار - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان .
٥٧. حاشية الصاوي على الجلالين للإمام أحمد الصاوي - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - بدون تاريخ .
٥٨. حجة القراءات للإمام أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة سنة ٤٠٠هـ تقريباً تحقيق سعيد الأفغاني - مؤسسة الرسالة - بيروت .
٥٩. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية - تأليف عبد العظيم إبراهيم محمد - الطبعة الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٢م - مكتبة وهبة - القاهرة .
٦٠. دراسة في السيرة للدكتور عماد الدين خليل - الطبعة الثالثة عشر سنة ١٤١٢هـ - دار النفائس - بيروت .
٦١. درة التنزيل وغرة التأويل برواية ابن أبي الفرج الأردستاني للخطيب الإسكافي - منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت .
٦٢. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل شهاب الدين محمود الألويسي المتوفى سنة ١٢٧٠هـ - الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان .
٦٣. سائح في رياض القرآن - تأليف محمود محمد عمارة - الطبعة الأولى سنة ١٤١٧هـ-١٩٩٧م - مكتبة الإيمان - المنصورة - جامعة الأزهر .
٦٤. سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة المتوفى سنة ٢٧٩هـ - تحقيق دكتور مصطفى محمد حسين الذهبي - دار الحديث - القاهرة .
٦٥. شرح العقيدة الطحاوية للعلامة أبو العز الحنفي .

٦٦. شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية - تأليف العلامة محمد خليل هراس -
خرج أحاديثه مركز التراث لخدمة الكتاب والسنة - مكتبة التراث الإسلامي - عابدين
القاهرة .
٦٧. شرح نهج البلاغة لعز الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين بن أبي
الحديد المدائني سنة ٥٨٦-٦٥٥هـ - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الجيل -
بيروت .
٦٨. صحيح البخاري للإمام محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ - دار القلم -
بيروت - لبنان .
٦٩. صحيح مسلم للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفى سنة
٢٠٦-٢٦١هـ - دار المغني ودار ابن حزم .
٧٠. صفوة التفاسير للشيخ محمد علي الصابوني - دار الصابوني - القاهرة .
٧١. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - تأليف محمد بن علي بن
محمد الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠هـ - راجعه وعليه عليه الشيخ هشام البخاري -
خضر عطاري - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت .
٧٢. فقه السيرة النبوية للأستاذ محمد سعيد البوطي - دار الفكر المعاصر - الطبعة
الحادية عشر سنة ١٩٩١م - بيروت - لبنان .
٧٣. فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي
سنة ٥١٠هـ - دراسة وتحقيق محمد إبراهيم سليم - مكتبة ابن سينا - القاهرة .
٧٤. في ظلال القرآن بقلم سيد قطب المتوفى سنة ١٩٦٦م - الطبعة الشرعية الثالثة عشر
سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م - دار الشروق - بيروت - القاهرة .
٧٥. فيض الرحيم في القراءات السبع بروايات - إعداد سعيد محمد اللحام - الطبعة الأولى
سنة ١٤١٥هـ - عالم الكتب - بيروت .
٧٦. قصص الأنبياء للإمام إسماعيل بن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ - تحقيق عماد زكي
البارودي ، خيرى سعيد - المكتبة التوفيقية - القاهرة .
٧٧. قصص الأنبياء للإمام ياسين الجمل - المركز العربي الحديث - القاهرة .
٧٨. قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار - دار الفكر - بيروت .
٧٩. قصص القرآن - محمد أحمد جاد المولى وغيره - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان

٨٠. كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق - تأليف دكتور محمد سعيد رمضان البوطي - مطبعة مسودي - القدس - وادي الجوز .
٨١. كتاب السنن الكبرى للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي سنة ٤٥٨هـ - وفي ذيله الجواهر النقي - دار المعرفة - بيروت - لبنان .
٨٢. كتابة الإبانة عن معاني القراءات - تأليف أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي سنة ٣٥٥-٤٣٨هـ - حققه وقدم له دكتور محي الدين رمضان - دار المأمون للتراث .
٨٣. لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم بن منظور سنة ٦٣٠-٧١١هـ - دار صادر - بيروت .
٨٤. لطائف الإشارات تفسير صوفي كامل للقرآن الكريم للإمام عبد الكريم القشيري - قدم له وحققه وعلق عليه دكتور إبراهيم بسيوني - الطبعة الثانية - مركز تحقيق التراث - مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب .
٨٥. مباحث في التفسير الموضوعي - بقلم دكتور مصطفى مسلم - دار القلم - دمشق .
٨٦. مسند الإمام أحمد - مؤسسة التاريخ العربي - دار إحياء التراث العربي - الطبعة الثانية سنة ١٤١٤هـ - بيروت - لبنان .
٨٧. معجزة القرآن للإمام محمد متولي الشعراوي - مكتبة التراث الإسلامي - عابدين - القاهرة .
٨٨. معجم البلدان لياقوت الحموي - تحقيق فريد عبد العزيز الجندي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
٨٩. معجم مفردات ألفاظ القرآن للعلامة الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني المتوفى سنة ٥٠٣هـ - دار الفكر - بيروت - لبنان .
٩٠. معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي المتوفى سنة ٣٩٥هـ - وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
٩١. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل للإمام أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي - تحقيق سعيد الفلاح - الطبعة الأولى - دار الغرب الإسلامي - بيروت - لبنان .
٩٢. مناهل العرفان في علوم القرآن للإمام محمد عبد العظيم الزرقاني - دار الفكر .

٩٣. موطأ الإمام مالك بن أنس - تخريج وتعليق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي -
الطبعة الثانية سنة ١٤١٣هـ - دار الحديث - القاهرة .
٩٤. نشأة الفكر السياسي وتطوره في الإسلام - د. جمال شرف .
٩٥. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر
البقاعي المتوفى سنة ٨٨٥هـ - خرج أحاديثه وآياته ووضع حواشيه عبد الرزاق
غالب المهدي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
٩٦. نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار للإمام محمد بن علي محمد الشوكاني المتوفى سنة
١٢٥٥هـ - مكتبة التراث - القاهرة .
٩٧. هذا القرآن فأين منه المسلمون - تأليف محمد زكي الدين محمد قاسم - الطبعة الثانية
سنة ١٩٩٠م - دار الصفوة - القاهرة .

رابعاً : فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
أ	مقدمة البحث
ب	أسباب اختيار البحث
ج	الدراسات السابقة للموضوع
ج	منهج الباحث في البحث
د	منهج الباحث في تفسير السورة
م	شكر وتقدير
ن	الإهداء
١	التمهيد : تعريف عام بسورة النمل
٢	أولاً : أسماء السورة وسبب التسمية
٤	ثانياً : زمن نزول السورة
٤	ثالثاً : الجو الذي نزلت فيه السورة
١١	رابعاً : عدد آيات السورة
١٢	خامساً : علاقة سورة النمل مع سورتي الشعراء والقصص
١٣	سادساً : علاقة سورة النمل بسورة الشعراء التي قبلها
١٦	سابعاً : علاقة سورة النمل بسورة القصص التي بعدها
١٩	الفصل الأول التفسير التحليلي للسورة
	المبحث الأول : رسالة القرآن ، ويشتمل على ثلاثة مطالب :
٢٠	المطلب الأول : القرآن كتاب هداية للمؤمنين وفيه : (الآيات ١-٣)
٢٩	المطلب الثاني : جحود عاقبته الخسران (الآيات ٤-٥)
٣٣	المطلب الثالث : مصدر القرآن الكريم (آية ٦)
٣٥	المبحث الثاني : موسى عليه السلام بالواد المقدس (الآيات ٧-١٤)
٥٥	المبحث الثالث : قصة داود وسليمان عليهما السلام ، ويشمل ثلاثة مطالب :
٥٥	المطلب الأول : نعم الله على داود وسليمان عليهما السلام (١٥-١٩)

رقم الصفحة	الموضوع
٦٥	المطلب الثاني : قصة الهدد مع سليمان عليه السلام (٢٠-٢٨)
٧٦	المطلب الثالث : جواب الملكة بلقيس على كتاب سليمان عليه السلام (الآيات ٢٩-٣٧)
٨٥	المطلب الرابع : إسلام بلقيس (الآيات ٣٨-٤٠)
٩٧	المبحث الرابع : دعوة صالح عليه السلام (الآيات ٤٥-٥٣)
١٠٩	المبحث الخامس : قصة لوط عليه السلام (الآيات ٥٤-٥٨)
١١٤	الأحكام
١١٨	المبحث السادس : أدلة الوجدانية والقدرة الإلهية (الآيات ٥٩-٦٤)
١٣٦	المبحث السابع : لا يعلم الغيب إلا الله (الآيات ٦٥-٦٦)
١٤٢	المبحث الثامن : إنكار المشركين للبعث (الآيات ٦٧-٧٥)
١٤٨	المبحث التاسع : إثبات نبوة محمد ﷺ بالقرآن الكريم (الآيات ٧٦-٨١)
١٥٥	المبحث العاشر : أمارات القيامة
١٥٥	المطلب الأول : إخراج الدابة (٨٢-٨٦)
١٦٠	المطلب الثاني : النفخ في الصور وتيسير الجبال (٨٧-٩٥)
١٦٥	المبحث الحادي عشر: الاشتغال بعبادة الله وحده وتلاوة القرآن(٩١-٩٣)
١٦٩	الفصل الثاني التفسير الموضوعي لسورة النمل
١٧٠	التمهيد : التعريف بالتفسير الموضوعي
١٧١	أولاً : نشأة علم التفسير الموضوعي
١٧١	ثانياً : معنى التفسير الموضوعي
١٧٣	ثالثاً : ألوان التفسير الموضوعي
١٧٣	الأول : التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني
١٧٣	الثاني : التفسير الموضوعي للموضوع القرآني
١٧٤	الثالث : التفسير الموضوعي للسورة القرآنية
١٧٤	رابعاً : أسباب ظهور التفسير الموضوعي

١٧٤	خامساً : أهمية التفسير الموضوعي
-----	---------------------------------

رقم الصفحة	الموضوع
١٧٧	المبحث الأول : المحاور الرئيسية والفرعية لسورة النمل
١٧٨	المطلب الأول : المحور الرئيس في سورة النمل (الرسالة وجدية القيادة)
١٨٣	المطلب الثاني : المحاور الفرعية في سورة النمل
١٨٣	المحور الأول : علم الله المطلق بالظاهر والباطن
١٨٤	المحور الثاني : أدلة الوحدانية والقدرة الإلهية
١٨٧	المبحث الثاني : الرسالة القرآنية والقدرة الإلهية
١٨٨	المطلب الأول : الرسالة القرآنية (دعوة ومنهاج)
١٩١	المسألة الأولى : أنواع الهداية في القرآن الكريم
١٩٢	المسألة الثانية : هداية القرآن في توجيه الإنسان من خلال عقله ونفسه وسلوكه
١٩٧	المطلب الثاني : التعريف بالقصص القرآني
١٩٧	المسألة الأولى : أسلوب القصة القرآنية
١٩٨	المسألة الثانية : تعريف القصة وأهدافها
٢٠٠	المسألة الثالثة : الفرق بين القصة وغيرها
٢٠١	المطلب الثالث : القصص القرآني كما تعرضها سورة النمل
٢٠١	المسألة الأولى : قصة موسى عليه السلام
٢٠٢	المسألة الثانية : قصة داود وسليمان عليهما السلام
٢٠٢	المسألة الثالثة : قصة صالح عليه السلام
٢٠٣	المسألة الرابعة : قصة لوط عليه السلام
٢٠٤	المبحث الثالث : قصة موسى عليه السلام ومعجزاته
٢٠٥	المطلب الأول : موسى عليه السلام ودعوته
٢٠٥	المسألة الأولى : التعريف بنبي الله موسى عليه السلام
٢٠٥	المسألة الثانية : موسى عليه السلام بالواد المقدس وبعثته
٢٠٧	المسألة الثالثة : وعود ووفاء
٢١١	المطلب الثاني : معجزات موسى عليه السلام

٢١١	تمهيد
٢١٤	المسألة الأولى : آيات الله لفرعون وقومه
رقم الصفحة	الموضوع
٢١٥	المسألة الثانية : هلاك فرعون وجنوده
٢١٧	المبحث الرابع : نعم الله الجلييلة على داود وسليمان عليهم السلام
٢١٨	المطلب الأول : نعم الله على داود عليه السلام
٢٢٠	المطلب الثاني : نعم الله على سليمان عليه السلام
٢٢٥	المبحث الخامس : الحوار في القرآن الكريم
٢٢٦	المطلب الأول : تعريف الحوار في القرآن
٢٢٦	المطلب الثاني : طبيعة الحوار في القرآن
٢٢٩	المطلب الثالث : أهداف الحوار في القرآن الكريم
٢٣١	المبحث السادس : قصة صالح عليه السلام
٢٣٢	المطلب الأول : التعريف بصالح عليه السلام وقومه
٢٣٢	المسألة الأولى : نبي الله صالح عليه السلام في القرآن
٢٣٢	المسألة الثانية : تعريف بثمود ومساكنهم
٢٣٢	المسألة الثالثة : دين ثمود
٢٣٣	المطلب الثاني : دعوة صالح عليه السلام
٢٣٣	المسألة الأولى : دعوة صالح إلى عبادة الله وحده
٢٣٤	المسألة الثانية : دور العقيدة الصحيحة للهداية
٢٣٥	المسألة الثالثة : التآمر سياسة قديمة حديثة
٢٣٩	المبحث السابع : دعوة لوط عليه السلام
٢٤٠	المطلب الأول : التعريف بالنبي لوط عليه السلام وقومه
٢٤٠	المسألة الأولى : نسب لوط عليه السلام
٢٤٠	المسألة الثانية : من هم أهل سدوم
٢٤١	المطلب الثاني : دعوة لوط عليه السلام
٢٤١	المسألة الأولى : تكليف لوط عليه السلام بدعوة قومه
٢٤٤	المسألة الثانية : عسر ويسر
٢٤٥	المسألة الثالثة : هلاك قوم لوط

٢٤٧	المبحث الثامن : من أمارات القيامة ومقدماتها
٢٤٨	المطلب الأول : إخراج الدابة
رقم الصفحة	الموضوع
٢٤٨	المسألة الأولى : صفاتها
٢٤٩	المسألة الثانية : زمان خروج الدابة ومتى تخرج
٢٤٩	المسألة الثالثة : مكان خروج الدابة وعدد خرجاتها
٢٥٠	المسألة الرابعة : ماذا مع الدابة
٢٥٠	المسألة الخامسة : هل ينفع الإيمان عند خروج الدابة
٢٥١	المطلب الثاني : النفخ في الصور
٢٥١	المسألة الأولى : تعريف الصور
٢٥٣	المسألة الثانية : اختلاف العلماء في عدد النفخات
٢٥٤	المسألة الثالثة : اختلاف العلماء في المستثنى من الصعق
٢٥٥	المطلب الثالث : تيسير الجبال
٢٥٥	المسألة الأولى : متى تسير الجبال
٢٥٦	أحوال الجبال في الآخرة
٢٥٨	المبحث التاسع : الشورى
٢٥٩	تمهيد
٢٦١	المطلب الأول : الشورى وأهميتها
٢٦١	المسألة الأولى : تعريف الشورى
٢٦٢	المسألة الثانية : أهمية الشورى
٢٦٢	المسألة الثالثة : حكم الشورى في الإسلام
٢٦٣	المسألة الرابعة : كيفية الشورى
٢٦٣	المسألة الخامسة : مجالات الشورى
٢٦٣	المطلب الثاني : فوائد الشورى
٢٦٤	المطلب الثالث : الفرق بين الشورى والديمقراطية
٢٦٦	المبحث العاشر : الناصحون
٢٦٧	المطلب الأول : النملة
٢٦٧	تمهيد

٢٦٨	المسألة الأولى : لغة الحيوان
٢٦٩	المسألة الثانية : ظن النمل بالإنسان
رقم الصفحة	الموضوع
٢٧٠	المسألة الثالثة : أنواع النمل كما ذكرت في القرآن
٢٧٥	المطلب الثاني : الهدهد
٢٧٦	تمهيد
٢٧٦	المسألة الأولى : لغة الطير
٢٧٨	المسألة الثانية : عدالة سليمان
٢٧٩	المسألة الثالثة : الهدهد في صفوف المجاهدين
٢٧٩	المسألة الرابعة : الهدهد يقدم حجته لسليمان
٢٨١	المسألة الخامسة : الهدهد الداعي إلى الله
٢٨٢	المطلب الثالث : الحكمة بلقيس
٢٨٣	تمهيد
٢٨٤	المسألة الأولى : ديانة بلقيس
٢٨٤	المسألة الثانية : رد سليمان على تقرير الهدهد
٢٨٥	المسألة الثالثة : دراسة كتاب سليمان والرد عليه
٢٨٧	المسألة الرابعة : سليمان ورسل بلقيس
٢٨٨	المسألة الخامسة : إسلام بلقيس وقومها
٢٩١	المبحث الحادي عشر : الإعجاز العلمي في سورة النمل
٢٩٢	تمهيد
٢٩٢	المطلب الأول : تعريف الإعجاز العلمي
٢٩٣	المطلب الثاني : توافق قواعد العلم الحديث مع القرآن
٢٩٤	المطلب الثالث : التحدي القرآني على مر الزمان
٢٩٧	المطلب الرابع : التحدي القرآني في سورة النمل
٢٩٧	المسألة الأولى : الأحرف المقطعة في بداية السورة
٢٩٨	المسألة الثانية : خلق السماوات والأرض
٢٩٨	المسألة الثالثة : النبات
٢٩٨	المسألة الرابعة : بدأ الخلق وإعادته

٢٩٩	المسألة الخامسة : علم الغيب خصوصية ربانية
٢٩٩	المسألة السادسة : علمه تعالى بالسر والعلن
رقم الصفحة	الموضوع
٢٩٩	المسألة السابعة : حمد الله على نعمه على الإعجاز العلمي
٢٩٩	المطلب الرابع : أمثلة تطبيقية على الإعجاز العلمي
٢٩٩	المسألة الأولى : النملة ولغة التفاهم
٣٠١	المسألة الثانية : عالم النبات
٣٠٣	المسألة الثالثة : عالم البحار
٣٠٤	المسألة الرابعة : عالم الإنسان
٣٠٨	الفصل الثالث المتشابه والمشكل
٢٠٩	المبحث الأول : المتشابه
٣١٠	المطلب الأول : معنى المتشابه لغة
٣١٠	المطلب الثاني : المتشابه في اصطلاح العلماء وأقسامه
٣١٢	المطلب الثالث : حكمة ورود المتشابه
٣١٢	المطلب الرابع : المتشابه اللفظي في سورة النمل
٣١٦	المبحث الثاني : المشكل
٣١٧	المطلب الأول : معنى المشكل
٣١٧	المطلب الثاني : المشكل في سورة النمل
٣٢١	الخاتمة
٣٢٤	فهرس الآيات القرآنية
٣٣٧	فهرس الأحاديث النبوية
٣٣٩	فهرس المصادر والمراجع
٣٤٧	فهرس الموضوعات
٣٥٤	ملخص البحث باللغة الإنجليزية

The Epilogue

After Allah confer upon me to complete this research, I pointed it clarify that :

Preamble :-

This sura, (chapter of Holy Quran) has three names, which are (Alnamel) Ants, (Suleiman) prophet's name, and (Alhudhud) Hoopoe .

All verses of Alnamel's sura were descended in Mecca, it has thirty nine verses, and it's the seven-twentieth sura in Quran.

Alnaml sura was descended at the earlier level of (Da'awa) Islamic propaganda overtness to Islam in sensitive circumstances full of challenges to polytheists, through the studying of the relations between this sura and previous sura (alshuara) and the following sura (alqasas) we can find clear real connections and proportions.

Chapter One

This sura is divided to seventeen parts connected and adequate to each that helps to achieve its primary aim stabilization of right to worship Allah, only him with 40 partner. And help in its basic pivot "the message and seriousness of leading".

Chapter Two

This sura shows many important subjects in details, which are, The message of Quran that is guidance to believers in all aspects of life practical or scientific temporal or relating to the beyond. Therefore, the story of prophet Moses - peace be upon him - shows the message of propagandist to Allah, provided with miracles and wonders that have the power of great armies as pharaoh and his army. Moses discussed with pharaoh the speaking that pharaoh is good but he face this by deception. So that Allah persuade pharaoh to the sea and cleave the sea for him, as he think its anoble deed he entered this way through the sea and died there with his army and Moses survived so as his believers.

Later in this sura, we have David and Suleiman - peace be upon them - who are prophets of Isrealiam family, and the heritage of Suleiman to David - peace be upon them - that Allah had give to him of

what is not available to any man but to him, for example his ability to understand the language of birds with its kinds and types. As a reason we find the story of an ant which asked the other ants to hide in its burrow because she was afraid of Suleiman's army. So all hid and survived.

Then the verses drew a picture of a small bird showing the wise leading that works to admit the singleness of God to Allah the only God through the universe. This hoopoe as to the news of seeing the queen and her people prostrate to the sun and not to Allah. The hoopoe hoped to them the guidance of real God. So it told Suleiman about them by the way he wrote to them a message asking them to return to the only God (Allah). After the queen discussing with her people all of them entered Islam.

After that, in the sura we find it speak about the Arabian prophet Saleh – peace be upon him – who asked people to come to Allah, by the way they became two groups, one with Saleh the other against him. This group asked many miracles as the creation of she-camel from the rocks so Allah fulfill his prophet of his asking about their request, the she-camel lived between them eat and drink. But it's a habit of wicked to infract so they kill the she-camel and they thought of killing Saleh-peace be upon him, and start their stratagem, but Allah destroyed them before they start, all of them. This is the punishment of the refusal of Allah's orders and his prophets.

Now we have the story of Lot – peace be upon him – (a prophet to Sodom city). In a clear message to correct the criminals in their created crimes. Not any man have ever do before, which is sodomy. As a reason for their crime their prophet advised them to leave this crime, however, no any accept this. Moreover, Allah sent his angels in men appearance and went to Lot as guests; the criminal went to Lot's home with his guests, but he refused and feel sad because of their shame behaviors. One of Lot's guests struck the criminal once, then all of them became blind. Then Allah destroyed their cities and made it upside down. Nevertheless, Lot and his believer survived.

Then this sura showed evidences of singleness and the ability that available in souls and horizons, and this universe in a creation of Allah and his ability. Moreover, to him all souls and spirits should pray, because of his prophet's propagandas.

The signs of the day of resurrection come in this level of sura. For example the trumpet's appearance, which will talk to people about Allah's promises verification. And what is the following events like blowing a trumpet and death of all aspects of life all over the world except what Allah want to stay alive, also the moving and destruction of mountains.

The end of this sura we find the asking of Mohammad – peace be upon him – to read Quran and mission to Allah.

Chapter Three

This chapter contains such verses which have lateral similarity to such other verses in other suras. The researcher has shown the meaning of these great verses that is a consequence of this similarity.

In addition, this chapter contains some problematic verses and its discussion and analyses. Then show the problematic points and its solutions.

All this is what Allah had helped me to do, what is perfect is from Allah the only god, and what is not perfect and limited is from my self and from devil.

Therefore, I ask Allah's forgiveness, and I return to him repentant and praying to Allah the only god of all human and existence.

Hassan